

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



الجزء الثاني عشر

ميسر البابي الجليلي وشركاه

الطبعة الثانية
(١٣٧٨ هـ - ١٩٦٧ م)
جميع الحقوق محفوظة

مركز تحقيق تكوین برهان سوری

منشورات مکتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم - ایران ١٤٠٤ هـ ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد المعدل

(٢٢٣)

الأصل

ومن كلام له عليه السلام :

الله بلاد فلان ؛ فلقد قوّم الأود ، ودأوى الممد ، وأقام السنة ، وخلف الفتنه ؛
ذهب نقي الثوب ، قليل العيب ، أصاب خيرها ، وسبق شرها .
أدى إلى الله طاعته ، وأتقاه ربه . رحل وتركهم في طرق مشعبه ، لا يهتدى
بها الضال ، ولا يستيقن المهتدى .

• • •

الشرح :

العرب تقول : الله بلاد فلان ، والله در فلان ، والله نادي فلان ، والله فائح
فلان ! والمراد بالأول : الله البلاد التي أنشأته وأبنته ، والثاني : الله الذي أرضاه
وبالثالث : الله المجلس الذي ربي فيه ، والرابع : الله النايمة التي تنوح عليه وتندبه ؛
ماذا تفهد من محاسنه .

ويروى : « الله بلاد فلان » ، أي الله ماصع ! وفلان المكفي عنه عمر بن الخطاب ، وقد
وجدت النسخة التي بخط الرضوي أبي الحسن جامع " نهج البلاغة " ، وتحت « فلان » « عمر » ،

حدثني بذلك نزار بن معد الموسوي الأودي الشاعر ، وسألت عنه النقيب أبا جعفر يحيى ابن أبي زيد العلوي ، فقال لي : هو عمر ، فقلت له أئبني عليه أمير المؤمنين عليه السلام هذا الثناء ؟ فقال : نعم ؛ أما الإمامية فيقولون : إن ذلك من التقية واستصلاح أصحابه . وأما الصالحيون ^(١) من الزيدية فيقولون : إنه أثني عليه حق الثناء ، ولم يضع المدح إلا في موضعه ونصابه . وأما الجارودية ^(٢) من الزيدية فيقولون : إنه كلام قاله في أمر عثمان أخرجه مخرج الدم له ، والتنقم ^(٣) لأعماله ، كما يمدح الآن الأمير المبيت في أيام الأمير الحئي بعده ، فيكوه ذلك تعريضا به .

قلت له : إلا أنه لا يجوز التعريض والاستزادة للحاضر بمدح الماضي ، إلا إذا كان ذلك المدح صدقا لا بخالطه ريب ولا شبهة . فإذا اعترف أمير المؤمنين بأنه أقام السنة ، وذهب نقي الثوب ، قليل العيب ، وأنه أدى إلى الله طاعته ، واتقاه بحقه ، فهذا غاية ما يكون من المدح . وفيه إبطال قول من طعن على عثمان بن عفان . فلم يحين بشيء ، وقال : هو ما قلت لك !

فأما الراوندي ، فإنه قال في الشرح : إنه عليه السلام مدح بعض أصحابه بحسن السيرة ، وأن الفتنة هي التي وقعت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاختيار والأثرة . وهذا بعيد ؛ لأن لفظ أمير المؤمنين يشر إشاراً ظاهر بأنه يمدح والياً ذا رعية وسيرة ، ألا تراه كيف يقول : « فلقد قوّم الأود ، ودأوى العمد ، وأقام السنة ، وخلف الفتنة » ! وكيف يقول : « أصاب خيرها وسبق شرها » ! وكيف يقول : « أدى إلى الله طاعته » ! وكيف يقول : « رحّل وتركهم في طرق منشعبة » !

(١) الصالحون من الزيدية : أصحاب الحسن بن صالح . وانظر آراءهم في المال والنحل للشهرستاني ١٤٢

(٢) الجارودية من الزيدية : أصحاب أبي الجارود زياد بن أبي زياد . المال والنحل للشهرستاني ١٤٠

(٣) كذا في ب ، وفي أ : « النفس » .

وهذا الضمير ، وهو الهاء والميم في قوله عليه السلام : « وتركهم » ، هل يصح أن يعود إلّا إلى الرعايا ! وهل يسوغ أن يقال هذا الكلام لسوقة من عرض الناس ! وكل من مات قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله كان سوقاً لا سلطان له ، فلا يصح أن يُحمل هذا الكلام على إرادة أحد من الذين قُتلوا أو ماتوا قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله ؛ كعثمان بن مظعون ، أو مصعب بن عمير ، أو حمزة بن عبد المطلب ، أو عبيدة بن الحارث ، وغيرهم من الناس . والتأويلات الباردة الغثة لا تعجبني ، على أن أبا جعفر محمد بن جرير الطبري قد صرح أو كاد يصرح بأن المعنى بهذا الكلام عمر ، قال الطبري : لما مات عمر بكنته النساء ، فقالت إحدى نواديه : واحزنّاه على عمر ! حزناً اقتشر ، حتى ملأ البشر ^(١) . وقالت ابنة أبي حنيفة : واعمرّاه ! أقام الأود ، وأربأ العبد ، وأمات الفتن ، وأحيا السنن . خرج نقي الثوب ، بريثا من العيب ^(٢) .

قال الطبري : فروى صالح بن كيسان ، عن المغيرة بن شعبة ^(٣) ، قال : لما دفن عمر أتيتُ عليّاً عليه السلام ، وأنا أحب أن أسمع منه في عمر شينا ، فخرج ينفخ رأسه ولحيته ، وقد اغتسل ، وهو ملتحف بثوب لا يشك أن الأمر يصير إليه ، فقال : رحم الله ابن الخطاب ! لقد صدقت ابنة أبي حنيفة : « ذهب بخيرها ، ونجا من شرها » ، أما والله ما قالت ، ولكن قوّلت ! » .

وهذا كما ترى يقوّي الظن ؛ أن المراد والمعنى بالكلام إنما هو عمر بن الخطاب .

• • •

(١) الطبري : « وأخرى على عمر ، حرا انتفخ فلا البشر » . وبسده : وقالت أخرى : « وأخرى على عمر ، حرا انتفخ حتى شاع في البشر » .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٢١٨ (طبعة دار المعارف) .

(٣) في الطبري : « حدثني عمر ، قال : حدثني علي ، قال : حدثنا علي ، قال : حدثنا ابن دأب وسعيد ابن خالد عن صالح بن كيسان عن المغيرة بن شعبة ... » .

قوله : « فقد قَوْمُ الأَوْدِ » أى المِوَج ، أود الشيء بالكسر يَأْوُدُ أَوْدًا ، أى اعوج ، وتأوَد العود ، يتأوَد .

والمَعْد : انفضاخ^(١) سنام البعير ، ومنه يقال للعاشق : عَمِد القلب ومعهوده .

قوله : « أصاب خيرها » أى خير الولاية ، وجاء بضميرها ولم يجر ذكرها لعادة العرب فى أمثال ذلك ، كقوله تعالى : « حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ »^(٢) .

وسبق شرها ، أى مات أو قتل قبل الأحداث والاختلاط الذى جرى بين المسلمين .
قوله : « واتقاه بحقه » ، أى بأداء حقه والقيام به .

فإن قلت : وأى معنى فى قوله : « واتقاه بأداء حقه » ؟ وهل يتق الإنسان الله بأداء الحق ! إنما قد تكون التقوى علة فى أداء الحق ، فأما أن يتق بأدائه فهو غير مقول .

قلت : أراد عليه السلام أنه اتقى الله ، ودلنا على أنه اتقى الله بأدائه حقه ، فأداء الحق علة فى علنا بأنه قد اتقى الله سبحانه .

ثم ذكر أنه رحل وترك الناس فى طرق متشعبة متفرقة ، فالضال لا يهتدى فيها ، واليهتدى لا يعلم أنه على المنهج القويم ، وهذه الصفات إذا تأملها النصف ، وأماط عن نفسه الهوى ، علم أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يَمُنْ بها إلا عمر ؛ لو لم يكن قد روى لنا توقيفاً ونقلًا أن المعنى بها عمر ، فكيف وقد روينا عن لا يتهم فى هذا الباب !

■ ■ ■

[نسكت من كلام عمر وسيرته وأخلاقه]

ونحن نذكر فى هذا اللوح نسكتنا من كلام عمر وسيرته وأخلاقه .

(١) انفضح سنام البعير : انهدخ .

(٢) سورة ص ٣٢ .

أَتَى عُمَرُ بِمَالٍ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ حَبَسْتَ مِنْ هَذَا الْمَالِ فِي بَيْتِ الْمَالِ لِنَائِبَةٍ تَكُونُ ، أَوْ أَمْرٍ يَحْدُثُ ! فَقَالَ : كَلِمَةٌ مَاعَرَضٌ بِهَا إِلَّا شَيْطَانُ كِفَانِي حُجَّتْهَا ، وَوَقَانِي فَتْنَتُهَا . أَعْصَى اللَّهُ الْعَامَ مَخَافَةَ قَابِلٍ ! أَعَدَّ لَمْ تَقْوَى اللَّهُ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ ^(١) .

اسْتَكْتَبَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ نَصْرَانِيًّا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : اعْزِلْهُ وَاسْتَعْمَلْ بَدَلَهُ حَنِيفِيًّا ، فَكَتَبَ لَهُ أَبُو مُوسَى : إِنَّ مِنْ غَنَائِهِ وَخَيْرِهِ وَخَيْرَتِهِ كَيْتٌ وَكَئِيتٌ . فَكَتَبَ لَهُ عُمَرُ : لَيْسَ لَنَا أَنْ نَأْتِمِنَهُمْ ، وَقَدْ خَوَّنَهُمُ اللَّهُ ، وَلَا أَنْ نَرْفَعَهُمْ وَقَدْ وَضَعَهُمُ اللَّهُ ، وَلَا أَنْ نُسْتَمِيعَهُمْ فِي الدِّينِ وَقَدْ وَتَرَمُ الْإِسْلَامَ ، وَلَا أَنْ نَمِزَّهُمْ وَقَدْ أَمَرْنَا بِأَنْ يُعْطُوا الْجَزِيَّةَ عَنْ يَدِهِمْ صَافِرُونَ .

فَكَتَبَ أَبُو مُوسَى : إِنَّ الْبَلَدَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : مَاتَ النَّصْرَانِيُّ وَالسَّلَامُ .

وَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ : إِيَّاكَ وَالْاِحْتِجَابَ دُونَ النَّاسِ ، وَاتَّذِنَ لِلضَّعِيفِ ، وَأَذِنَ حَتَّى يَنْتَبِطَ لِسَانُهُ ، وَتَجْتَرِي قَلْبُهُ ، وَتَمُودَ الْغَرِيبَ ^(٢) ، فَإِنَّهُ إِذَا طَالَ حَبْسُهُ وَدَامَ إِذْنُهُ ، ضَعُفَ قَلْبُهُ ، وَتَرَكَ حَقَّهُ .

عَزَلَ عُمَرُ زَيْدًا عَنْ كِتَابَةِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فِي بَعْضِ قَدَمَاتِهِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : عَنْ تَجْزِيرِ أُمٍّ عَنْ خِيَانَةٍ ؟ فَقَالَ : لَا مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُجِيلَ عَلَى الْعَامَةِ فَضْلَ حَقِّكَ .

(١) سُورَةُ الطَّلَاقِ ٣ .

(٢) ب : هـ الْغَرِيبُ هـ .

وقال : إني والله لا أدعُ حقاً لله لشكايه تظاهر ، ولا لضيق يحتمل ، ولا محاباة لبشر .
وإنك والله ما عاقبتَ مَنْ عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه .

وكتب إلى سعد بن أبي وقاص : يا سعد سعد بنى أهيب ! إن الله إذا أحب عبداً
حببه إلى خلقه ، فاعتبرْ منزلتك من الله بمنزلك من الناس . واعلم أن مالك عند الله
مثل ما لله عندك .

وسأل رجلاً عن شيء ، فقال : الله أعلم ، فقال : قد شقينا إن كنا لا نعلم أن الله
أعلم ! إذا سئل أحدكم عما لا يعلم ، فليقل : لا أدري .

وقال عبد الملك [على المنبر]^(١) : أنصفونا يا معشر الرعية ، تريدون منا سيرة أبي بكر
وعمر ، ولم تسبروا في أنفسكم ولا فينا سيرة أبي بكر وعمر ! نأل الله أن يمين كلّا
على كل .

ودخل عمرُ على ابنه عبد الله ، فوجد عنده لحماً عبيطاً مملقاً^(٢) ، فقال : ما هذا اللحم ؟
قال : اشتريتُ فاشتريت ، فقال : أوكلنا اشتيت شيئاً أكلته ا كفى بالمرء سرقة أن
أكل كل ما اشتهاه .

مرَّ عمر على مزبلة ، فتأذى بريحها أصحابه ، فقال : هذه دنياكم التي
تحرصون عليها .

(٢) لحم عيط : طرى .

(١) من ١

ومن كلامه للأحنف: يا أحنف، مَنْ كَثُرَ ضَجِجُكَ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، وَمَنْ مَزَحَ اسْتُخِفَ بِهِ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عَرَفَ بِهِ، وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ.

وقال لابنه عبد الله: يَا بَنِيَّ اتَّقِ اللَّهَ بِقُوكَ، وَأَقْرِضِ اللَّهَ بِمِيزِكَ، وَاشْكُرْهُ بِزِدْكَ. واعلم أَنَّهُ لَا مَالَ لِمَنْ لَا رِفقَ لَهُ، وَلَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا خُلُقَ لَهُ، وَلَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ.

• • •

وخطب يوم استخلف، فقال: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَيْسَ فِيكُمْ أَحَدٌ أَقْوَى عِنْدِي مِنَ الضَّعِيفِ حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ لَهُ، وَلَا أَضْعَفُ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ مِنْهُ.

وقال لابن عباس: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَنْتُمْ أَهْلُ رَسُولِ اللَّهِ وَآلِهِ وَبَنُو عَمِّهِ، فَمَا تَقُولُ مَنَعَ قَوْمَكُمْ مِنْكُمْ؟ قَالَ: لَا أَهْدِي عِلْمَهَا، وَاللَّهِ مَا أَضْمُرُ لَهُمْ إِلَّا خَيْرًا. قَالَ: اللَّهُمَّ غُفْرًا، إِنَّ قَوْمَكُمْ كَرِهُوا أَنْ يَجْتَمَعَ لَكُمْ النُّبُوَّةُ وَالْخِلَافَةُ، فَذَهَبُوا فِي السَّمَاءِ شَمْعًا وَبَذَخًا، وَلَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ أَخْرَجَكُمْ، أَمَّا إِنَّهُ لَمْ يَهْدِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ خَضِرَ أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ بِمُحَضَّرَتِهِ أَحْزَمُ مِمَّا فَعَلَ، وَلَوْلَا رَأْيُ أَبِي بَكْرٍ فِي الْجَعْلِ لَكُمْ مِنَ الْأَمْرِ نَصِيبًا، وَلَوْ فَعَلَ مَا هُنَاكُمْ مَعَ قَوْمِكُمْ. إِنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ نَظَرَ الثَّوْرِ إِلَى جَارِهِ.

• • •

وكان يقول: لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَشْنَى مِنْ غِبْلِي! أَحِينَ أَقْدَرُ فَيَقَالَ لِي: لَوْ غَفَوْتَ، أَمْ حِينَ أَجْهَلُ فَيَقَالَ: لَوْ صَبَرْتَ!

• • •

ورأى أعرابياً يصلي صلاة خفيفة، فلما قضاها قال: اللَّهُمَّ زَوِّجْنِي الْخَوَرَ الْعَيْنِ. فقال له: لَقَدْ أَسَأْتَ النَّقْدَ، وَأَعْظَمْتَ الْخَطِيئَةَ!

وقيل له: كَانَ النَّاسُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَدْعُونَ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُمْ فَيُسْتَجَابُ لَهُمْ، وَلَسْنَا نَرَى

ذلك الآن . قال : لأنّ ذلك كان الحاجزَ بينهم وبين الظلم ، وأما الآن فالساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ .

• • •

ومن كلامه : مَنْ عَرَضَ نَفْسَهُ لِلتَّهْمَةِ فَلَا يُلَومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ ، وَمَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتْ الْخِطْبَةُ بِيَدِهِ .

ضع أمرَ أخيك على أحسنِهِ ، حتّى بِأَتَيْكَ مِنْهُ مَا يَفْلِيكَ ، وَلَا تَغْنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجْتَ مِنْ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ شَرًّا وَأَنْتَ تَجِدُهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا .

وعليك يا خِوَانُ الصَّدِّقِ وَكَيْسُ أَكْيَاسِهِمْ ، فَانْتَهَمَ زِينَةُ فِي الرِّخَاءِ ، وَعُدَّةُ عَشْدِ الْبَلَاءِ ، وَلَا تَهَاوَنَنَّ بِالنَّاسِ فِيهِمْ أَفْهٌ وَلَا تَعْرِضْ بِمَا لَا يَنْبَغُ لَكَ ، وَاعْتَزِلْ غَدْلُوكَ ، وَتَحَنَّنْ مِنْ خَلِيْلِكَ إِلَّا الْأَمِينَ ، فَإِنَّ الْأَمِينَ مِنَ النَّاسِ لَا يَبَادِلُهُ شَيْءٌ ، وَلَا تَصْحَبِ الْفَاجِرَ فِيهِ لَمَكٌ مِنْ خُورِهِ ، وَلَا تُفْشِرْ إِلَيْهِ ^(١) سِرَّكَ ، وَاسْتَشِرْ فِي أَمْرِكَ أَهْلَ التَّقْوَى ، وَكُنْ بِكَ عَمِيًّا أَنْ يَبْدُوَ لَكَ مِنْ أَخِيكَ مَا يَخْفَى عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَأَنْ تُؤْذِيَ جَلِيْلَكَ بِمَا تَأْتِي مِثْلَهُ .

وقال : ثَلَاثُ يُصْنِفِينَ لَكَ الْوُدَّ فِي قَلْبِ أَخِيكَ : أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ إِذَا لَقَيْتَهُ ، وَأَنْ تَدْعُوهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ ، وَأَنْ تَوَسَّعَ لَهُ فِي الْجُلُوسِ .

وقال : أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ كَالصَّبِيِّ ، وَإِذَا أَصْبَحَ إِلَيْهِ كَانَ رَجُلًا .

• • •

بينما عمر ذات يوم إذ رأى شابًا يخطُر بيديه ، فيقول : أنا ابنُ بَطْنَاءِ مَكَّةَ كَدَّيْهَا وَكَدَّاهَا ^(٢) . فناداه عمر : فُجَاءَ قَتَالُ : إِنْ يَكُنْ لَكَ دِينٌ فَلَكَ كَرَمٌ ، وَإِنْ يَكُنْ لَكَ عَقْلٌ فَلَكَ مَرُوءَةٌ ، وَإِنْ يَكُنْ لَكَ مَالٌ فَلَكَ شَرَفٌ ، وَإِلَّا فَأَنْتَ وَالْحَارِ سَوَاءٌ .

(١) ساقطة من ب .

(٢) كدَى وكدنا : موضحان ، وقيل : ما جعلان بمكة ، وقد قيل : كدأ بالتعسر . (اللسان) .

وقال : يا مشر الماجرين ، لا تكثروا الدخول على أهل الدنيا وأرباب الإمرة والولاية ، فإنه مسخطة للرب ، وإياكم والبطنة ؛ فإنها مكسلة عن الصلاة ، ومفسدة للعبد ، مورثة للسم ، وإن الله يُبْعِضُ الْخَبَرَ التَّيِّنَ ، ولكن عليكم بالقصد في قوتكم ، فإنه أدى من الإصلاح ، وأبعد من السرف ، وأقوى على عبادة الله ، ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه .

وقال : تعلموا أن الطمع فقر ، وأن اليأس غنى ، ومن يشى من شيء استغنى عنه ، والثؤدة في كل شيء خير إلا ما كان من أمر الآخرة .

وقال : من اتقى الله لم يشب الله غيظه ، ومن حاف الله لم يخل ما يريد ، ولولا يوم القيامة لكان غير ماثرون .

وقال : إني لأعلم أحود الناس ، وأجلم الناس ، (أحودهم من أعطى من حرمة ، وأجلهم من عا عن ظله .

وكتب إلى ساكني الأمصار : أما بعد ، فسلموا أولادكم العوم^(١) والفروسيّة ، رؤوم ماسار من المثل وحسن من الشر .

وقال : لا تزال العربُ أعزّة ماتزعت في القوم ، ونزّت^(٢) في ظهور الخيل وقال وهو يذكر النساء : أكثروا لمن قول : « لا » فإن « نعم » مفسدة تعريهن على المسألة .

وقال : ما هال أحدكم يشي الوسادة عند امرأة مشربة^(٣) ، إن المرأة لم على وضم إلا ماذب عنه .

(٢) نزت : وهبت .

(١) ب : « العوم » تصحيف .

(٣) المشربة : المرأة للأزوجة

وكتب إلى أبي موسى : أما بعد ، فإن الناس نفرة عن سلطانهم ، فأعوذ بالله أن يدركني وإياك تمهية بجهولة ، وضعتن محولة ، وأهواء متممة ، ودنيا مؤثرة . أقم الحدود ؛ واجلس المظالم ولو ساعة من سهار ، وإذا عرّص لك أمران : أحدهما لله ، والآخر للدنيا ، فابدأ بعمل الآخرة ، فإن الدنيا عفى ، والآخرة تبقى . وكن من مال الله عز وجل على حذر ، واحف الفساق ، واجعلهم يدا وبدا ، ورحلا ورحلا ، وإذا كانت بين القاتل نائرة^(١) يالغلا بالغلان ! فإتأ تلك بجوى الشيطان ، فاصرمهم بالسيف حتى يعيشوا إلى أمر الله ، وتكون دعواهم إلى الله ، وإلى الإسلام . وقد ماوى أن صبة تدعو : بالصبة ! وإني والله أعلم أن صبة ماساق الله بها حيرا قط ، ولا مفع بها من سوء قط . فإذا حاك كتابي هذا فاسمهم^(٢) ضربا وعقوبة ، حتى يعرفوا إن لم ينفهوا ، والصق بميلان بن حرشة من بينهم . وعذ مرصى السليبي ، وشهد حائرهم ، وافتح لهم بابك ، وباشر أمورهم بتمسك ، فإتأ أنت رجل منهم ، غير أن الله قد جعلك أثقلهم حلا . وقد ملعى أنه مشاك ولأهل بيتك هيئة في لباسك وبطملك ، ومركبك ، ليس السمين مثلها ، وإياك يا عبد الله بن قيس أن تكون بمنزلة البهيمة التي مرّت بواد حصيب ، فلم يكن لها همة إلا السمن ، وإتأ حطبها من السمن لغيرها . واعلم أن للعامل مرذا إلى الله ، فإذا راغ العامل زاعت رعيته ، وإن أشقى الناس من شقيت به نفسه ورعيته . والسلام .

وخطب عمر ، قال : أما بعد ، فإني أوصيكم بتقوى الله الذي يبقى ويهني ماسواه ، والذي طاعته ينفع أوليائه ، ويمحصيته يضر أعداءه . إنه ليس لهالك هلك عذري في تعدد صلاة حسبها هدى ، ولا ترك حق حسبه صلاة . قد ثبتت الحجة ، ووصحت الطرق ، وانقطع العذر ، ولا حجة لأحد على الله عز وجل . ألا إن أحق ما تعاهد به الراعي

(١) النائرة : العداوة والدعوة للغير .

(٢) نهكة : بالغ في ضربه وعقوبته .

رعيته أن يتعاهدكم بالذي لله تعالى عليهم في وظائف دينهم الذي هدام به ، وإنما علينا أن نأمركم بالذي أمركم الله به من طاعته ، وننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته ، وأن نقيم أمر الله في قريب الناس ونصيدهم ، ولا سأل على من قال الحق ، ليتعلم الجاهل ، ويتعظ المفرط ؛ ويقتدى المتقدي . وقد علمت أن أقواماً يتمنون في أنفسهم ، ويقولون : نحن نصلي مع المصلين ، وعاهد مع المحاهدين . ألا إن الإيمان ليس بالتمنى ولستكم بالحقائق . ألا من قام على الفرائض ، وسدد بيته ، واتقى الله ، فذلكم الساجي . ومن راد اجتهدا وحده عند الله مزيدا .

وإنما المحاهدون الذين حاهدوا أهواءهم ، والجهاد احتساب الحارم . ألا إن الأمر جد ، وقد يقاتل أقوام لا يريدون إلا الدكر ، وقد يقاتل أقوام لا يريدون إلا الأجر ، وإن الله يرمى منكم باليسير ، وأثابكم على اليسر الكثير .
الوظائف الوطائف ! أدوها يؤدكم إلى الجنة . والسنة السنة ! الزموها تنحكم من البدعة .

تعلموا ولا تعجزوا ، فإن من هجز تكلف ؛ وإن شرار الأمور محدثاتها . وإن الاقتصاد في السنة خير من الاحتياط في الصلاة ، فافهموا ما توعدون به ، فإن الحريص من حرب^(١) دينه ، وإن السعيد من وعظ سيرة .

وقال : وعليكم بالسَّمع والطاعة ، فإن اقتضى لها بالمرّة ، وإياكم والفرق والمصية ، فإن الله قضى لها بالذلة .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

• • •

بعث سعد بن أبي وقاص أيام القنادسية إلى عمر قاء كسرى وسيفه ، ومنطقته ،

(١) حرب دينه : أي سلب .

وسراويله ، وتاجه ، وقيصه ، وحفيه ؛ فنظر عمر في وجوه القوم عنده ، فكان أجسمهم وأمذم قامه سُرّاقه بن مالك بن حنم المدبلي . فقال : يا سراق ، قم فالبس ، قال سُرّاقه : طمعت فيه فممت طمعت ، فقال : أدبر فأدبرت ، وقال : أقبل ، فأقبلت ، فقال : بحر بحر ! أعرابي من بني مُذَلْج ، عليه قباء كسرى وسراويله وسيفه ومطقة وتاجه وخفاه ! ربّ يوم يا سراق لو كان فيه دون هذا من متاع كسرى وآل كسرى لكان شرّاً لك ولقومك . انزع ! فزعت ، فقال : اليوم إنك منعت هذا بئيك ورسولك ، وكان أحبّ إليك مني وأكرم ، ومنعته أبا بكر وكان أحبّ إليك مني وأكرم ؛ ثم أعطيتني ، فأعوذ بك أن تكون أعطيتني لتكره بي . ثم بكى حتى دحه من كان عنده .

وقال لعبد الرحمن بن عوف : أتيت عليك لما نمت ثم قمته قبل أن تُمسي ، فما أدركه المساء إلا وقد بيع وقسم ثمنه على المسلمين .



حتى . تاج كسرى إلى عمر ؛ فاستعظم الناس قيسته ، فجراهم التي كانت عليه ، فقال : إن قوماً أذوا هذا الأماناء ! فقال عليّ عليه السلام : إنك عصمت فعضوا ؛ ولورثت لرتعوا^(١) .



كان عمر يصنّ ليلاً ، فنزلت رقة من التحار بالصلّى ، فقال لعبد الرحمن بن عوف : هل لك أن تحرسهم الليلة من السرقة ؟ فهاها يجرّسانهم ، ويصليان ما كتب الله لها ، فسمع عمر بكاء صبي ، فأصغى نحوه ، فقال بكاءه ، فوجه إليه ، فقال لأمه : اتقي الله وأحسني إلى صبيك . ثم عاد إلى مكانه ، فسمع بكاءه ، فعاد إلى أمه ، فقال لها مثل ذلك ، ثم عاد إلى مكانه ، فسمع بكاءه ، فأتى أمه ، فقال : ويحك ! إني لأراك أمّ سوء ! لا أرى ابنك يفرّ منذ الليلة ! فقالت : يا عبد الله ، لقد آذيتني منذ الليلة ، إني أريته

(١) يقال : دمع فلان : إذا أكل وحرب ما شاء .

هل القطام فيأى ؟ قال : ولم ؟ قالت : لأن عمر لا يفرض لرضيع ، وإنما يفرض للفقير ، قال : وكم له ؟ قالت : اثنا عشر شهرا ، قال : وبحك لا تعطيه ! فصلى العجرو وما يستعين الناس قراءته من عتبة البكاء عليه ، فصا سَم قال : يا بؤساء لمصركم ! كم قتل من أولاد المسلمين ، فطلب مناديا فنادى : ألا لا تُصلحوا صيباكم عن الرصاص ؛ ولا تظلموا قتل أوام القطام ، فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام .
وكتب بذلك إلى سائر الآفاق ^(١) .



مرة عمر بشاب من الأنصار وهو ظمان ، فاستقاء ، فحاض له عسلا ، فردموه ولم يشرب وقال : إني سمعت الله سبحانه ، يقول : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتُمْ بِهَا ﴾ ^(٢) قال الفتى : إني والله لست لك ، فاقرا يا أمير المؤمنين ما قلتما : ﴿ وَيَوْمَ يُرْضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ؛ أَحْسَنَ مِنْهُمْ اقْتَرَب ، وقال : كل الناس أكلة من عمر ؟



وأوصى عمر حين طعنه أبو لؤلؤة من يستخلفه المسلمون بعده من أهل الشورى ، فقال : أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيرا ، أن تعرف لم سابقتهم ، وأوصيك بالأنصار خيرا ؛ أقبل من محسبهم ، ونجاوؤهم من ميسبهم . وأوصيك بأهل الأنصار خيرا ، فإنهم رذء الملو ، وحبة النوى ، لا تحمل فيثنتهم إلى غيرهم إلا عن فضل منهم ، وأوصيك بأهل البادية خيرا ، فإنهم أصل العرب ، ومادة الإسلام : أن يؤخذ من حواشي أموالهم ، فيرد على قرائتهم ؛ وأوصيك بأهل القدمة خيرا ، أن تقاتل

(١) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ٤٨ .

(٢) سورة الأحقاف ٢٠ .

من ورائهم ، ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدوا ما عليهم للمسلمين طوعا أو عن يدر
وم صاعرون .

وأوصيك بتقوى الله ، وشدة الحذر منه ومحافة مقلته ؛ أن يطلع منك على ريبة .
وأوصيك أن تحشى الله والناس ، ولا تحشى الناس في الله ، وأوصيك بالعدل في الرعية ،
والتعزغ لخواجهم ونعمورهم ، والآتين غيبهم على فقيرهم ، فإن في ذلك بإذن الله سلامة
لقلبك ، وحطاً لذنوبك ، وحيراً في عاقبة أسرك . وأوصيك أن تشد وأسر الله في حدوده ،
والزجر عن معاصيه ، على قريب الناس بعيدهم ، ولا تأخذك الرأفة والرحمة في أحديهم ،
حتى تنهبك منه مثل حرمة ، واحمل الناس عندك سواء ، لا تسأل على من وحب الحق ،
لا تأخذك في الله لومة لائم . وإياك والآخرة والخاصة فيما ولاك الله مما أفاض الله على المسلمين ،
فتحور وتظلم ، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك ، فإنك في منزلة من مسائل
الدنيا ، وأنت إلى الآخرة حذق قريح ، فإن صدقت في دينك عفة وعدلاً فيما بسط لك ،
اقتربت رحواً وإيماناً ، وإن غلبك الهوى واقتربت به سقط الله ومته .

وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لعيرك في ظلم أهل الذمة .

واعلم أني قد أوصيتك وحصنتك وصحتك ، أثنى بذلك وجه الله والدار الآخرة ،
ودلتك على ما كنت دالاً عليه نفسي ، فإن عملت بالله وعظمتك ، وانتهيت إلى الذي
أمرتك ؛ أخذت منه نصيباً وافراً ، وحطاً وافياً ، وإن لم تقبل ذلك ، ولم تعمل ولم تترك
معاظم الأمور عند الذي يرضى الله به سبحانه عنك ، يكن ذاك لك انتقاصاً ، وبكن رأبك
فيه مدخولاً ، فالأهواء مشتركة ، ورأس الخطيئة ليس الداعي إلى كل هلكة ، قد أضل
القرون السالفة قبلك ، وأوردتهم النار ، ولبس الثمن أن يكون حظ امرئ من دنياه موالاة
عدو الله ، الداعي إلى معاصيه .

لركب الحق ، وخص إليه القمرات ، وكن واعظاً لنفسك .

وَأَشَدُّكَ لَنَا تَرَحُّمَتْ إِلَى عَمَاجَةِ السَّالِينَ ، وَأَجَلَّتْ كَيْدَهُمْ ، وَرَحِمَتْ صَفِيرَهُمْ ،
وَقَرَّتْ عَالَمَهُمْ . لَا تَعْمُرْهُمْ فَيَدُلُّوا ، وَلَا تَسَاوِرْ عَلَيْهِمْ بِاللَّيْلِ ، فَتُعْصِبَهُمْ ، وَلَا تَحْرِمَهُمْ
عَطَايَاهُمْ عِدَّ مَحَلِّهَا فَتَقْعِرَهُمْ ، وَلَا تَحْرِمَهُمْ ^(١) فِي الْبُعُوثِ فَتَقْطَعَ سَبَابَهُمْ ، وَلَا تَعْمَلِ الْأَمْوَالَ
دَوْلَةً بَيْنَ الْأَعْنِيَاءِ مِنْهُمْ ، وَلَا تَعْلِقِ بِأَنْفِكَ دَوَسَهُمْ ، فَيَأْكُلَ قَوَائِمَهُمْ صَعِيدَهُمْ .
هَذِهِ وَصِيَّتِي إِيَّاكَ : وَأَشْهَدُ اللَّهَ عَيْبِكَ . وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدٌ .

وحطب عمر فقال :

لَا يَنْلَمِي أَنَّ امْرَأَةً تَحَاوِرُ صِدَاقَهَا بِصِدَاقِ رُسُلِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِلَّا ارْتَحِمَتْ ذَلِكَ مِنْهَا . فَقَامَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ ، فَقَالَتْ : (اللَّهُ مَا حَمَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لَكَ ، إِنَّهُ تَعَالَى
يَقُولُ : ﴿ وَآتَيْنَاكُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ ^(٢) . فَقَالَ : عُمَرُ : أَلَا
تَسْعَوْنَ مِنْ إِمَامٍ أَعْطَا ، وَامْرَأَةً أَصَابَتْ إِمَامَكُمْ فَصَلَّتْ ^(٣) !

■ ■ ■

وَكَانَ يَمْسُ لَيْلَةً ، فَمَرَّ بِدَارٍ سَمِعَ فِيهَا صَوْتًا ، فَارْتَابَ وَتَوَرَّ ، فَرَأَى رَجُلًا عَسَدَ
امْرَأَةٍ وَرِيقَ حَمْرٍ ، فَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَظَلَمْتَ أَنْ اللَّهَ بِتَرْكِ وَأَتَّ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ؟ فَقَالَ :
لَا تَعْمَلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ كُنْتَ أَحَدُتُ لِي وَاحِدَةً فَقَدْ أَخْطَأْتُ فِي ثَلَاثٍ : قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَحْسَبُوا ﴾ ^(٤) وَقَدْ تَحَسَّسْتَ مَوْقَالَ : ﴿ وَأَنْتُمْ أَلْكَيْتُمْ مِنْ أَنْوَاسِهَا ﴾ ^(٥) .

(١) جمر الجبل : حبسه في أرض العسود ولم يقدرهم من الأمر . وفي الحديث : لا تهمروا الجبل
فتضموم .

(٢) صلته : سنته وغلته .

(٣) سورة النور ١٨٩ .

(٤) سورة النساء ٢٠ .

(٥) سورة المحررات ١٢ .

وقد نوزت ، وقال : ﴿ فِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا ﴾ ^(١) وما سلمت . فقال : هل عندك من خير إن عفوتُ عنك ؟ قال : نعم ، والله لا أعود ، فقال : اذهب فقد عفوت عنك .

• • •

وخطب يوما ، فقال : أيها الناس ، ما الجزع مما لا بد منه ! وما الطمع فيما لا يرجى ! وما الحيلة فيما سيزول ! وإنما الشيء من أصبه ، وقد مصت قلسكم الأصول ونحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد ذهب أصله !

إنما الناس في هذه الدنيا أغراضٌ تنشِلُ فيهم للناسِ نُصَبُ المصائب ، في كلِّ جرعة شرق ، وفي كلِّ أكلة عَصَص ، لا تملؤن سعة إلا بفراق أخرى ، ولا يستقيل ممر من عمره يوما إلا يهدم آخر من أجله ، وهم أعوان الخُوف على أنفسهم ، فأين المهرب مما هو كائن ! ما أصغر المصيبة اليوم ، مع عظم القاتلة عدا ! وما أعظم حيلة الخائب ، وخسران الخاسر ، ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ !

وأكثر الناس روى هذا الكلام لعلَّ عليه السلام ، وقد ذكره صاحب " نهج البلاعة " ، وشرحناه فيما سبق .

• • •

سُجِّلَ من العراق إلى مصر مالٌ نفرج هو وموتى له ؛ فنظر إلى الإبل فاستكثرها ، فجعل يقول : الحمد لله ؛ يكررها ويردها ، وجعل مولاه يقول : هذا من فضل الله ورحمته . وبكررها ويردها .

فقال عمر : كذبتَ لا أم لك ! أظنك ذهبت إلى أن هذا هو ما عناء سبعاثه ،

بقوله : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ هَذَا هُوَ الْحَقُّ لَا يَأْتِي الْحَقُّ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَأْتِي إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (١) ! وهذا مما يحتمون .

وروى الأحنف بن قيس ، قال : قدما على عمر نفتح عظيم ببشره به ، فقال : أين زلتُم ؟ قلنا : في مكان كذا ، فقام معا حتى اتينا إلى مآخ ركابنا ، وقد أضفها الكلال ، وجهدها السير ، فقال : هلا اتقيتم الله في ركابكم هذه ؟ أما علمتم أن لها عليكم حقا ! هلا أرحتوها ؟ هلا علمتم بها فأكلت من بيت الأرض ! قلنا : يا أمير المؤمنين ، إنا قدما نفتح عظيم ، فأحبنا القسرع إليك وإلى المسلمين عما يسرهم .

فانصرف راحنا ونحن معه ، فأتى رجل فقال : يا أمير المؤمنين إن فلانا ظلمني ، فأعذني^(٢) عليه ، فرفع في السماء ديرة ، (وضرب بها رأسه) ، وقال : تدعون عمرو وهو مريض لكم ، حتى إذا شعل في أمر المسلمين أتيتموه : أعذني أعذني ! فانصرف الرجل يتذمر ، فقال عمر : هل بالرجل ، جئ به فأتني إليه الحق^(٣) ، فقال : اقتصر ، قال : بل أدمه الله ولك ، قال : ليس كذلك ، بل تدعُه إماما لله وإرادة ما عنده ، وإما تدعُه لي ، قال : أدعُه الله ، قال : انصرف . ثم جاء حتى دخل منزله ، ونحن معه ، فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم جلس فقال : يا ابن الخطاب ، كنت وصيحا فرمعتك الله ، وكنت ضاللا فهداك الله ، وكنت دليلا فأعزك الله ، ثم حملك على رقاب الناس ، لجاء رجل يستمديك على من ظلمه . فصرية ، ماذا تقول لربك غدا ! لعل يسأب نعمة مصابة طمنت أمه من خير أهل الأرض .

(١) سورة يونس ٥٨ .

(٢) أعذني عليه : انصرفني وأعني .

(٣) الحق : العدة بضرب بها .

وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام في "عريب الحديث" أن رجلاً أتى عمر يسأله ،
ويشكو إليه الفقر ، فقال : هلكتُ يا أمير المؤمنين ، فقال : أهلكتَ وأنتَ تَدِثُ
تَدِثُ الحِمِيثَ ^(١) ! أعطوه . فأعطوه مَرَّةً ^(٢) من مال الصدقة ، تنعموا ظنراها . ثم أثنى يحدث
عن نفسه ، فقال : لقد رأيتني وأختي أُنزِلَ على أبينا ناصحاً ^(٣) لنا ، قد ألبسنا أَمَنَّا
نُفْسَهَا ^(٤) ، وزودتنا يَمْتَنِيهَا هَيْباً ^(٥) ، فخرج ناصحاً ؛ فإذا طلعت الشمس ، أُلقيت النقة
إلى أختي ، وخرجت أسي عرياناً ، فترجع إلى أَمَنَّا ، وقد جعلت لنا نَفِيتَ ^(٦) من
ذلك الهيد ، فيا خَصِيَاءَ !

• • •

وروى ابن عباس رضي الله عنه ، قال : دخلتُ على عمر في أول خلافته ، وقد أتى
له صاعٌ من تمر على خَصْفَةٍ ^(٧) ، فدعاني إلى الأكل ، فأكلت ثمرة واحدة ، وأقبل بأكل
حقِّي أتى عليه ، ثم شرب من جِرَرٍ ^(٨) كان عنده ، واستلقى على مِرْفَقَةٍ له ، وطلق يَحْمَدُ الله
بكر ذلك ، ثم قال : من أين جئت يا عبد الله ؟ قلتُ : من للسعد ، قال : كيف جئت
ابن عمك ؟ فقلتُ : يعني عبد الله بن حنظل ، قلتُ : جئتُ يلمب مع أترابه ، قال : لم أعثر
ذلك ، إنما عنيتُ عظيمكم أهل البيت ، قلتُ : جئتُ يمتح بالعرب ^(٩) على نَحِيلَاتٍ من
فلان ، وهو يقرأ القرآن ، قال : يا عبد الله ، عليك دماء البُدُنِ إن كنتَ تنبها ! هل بقي في نفسه

(١) قال ابن الأثير : فت المرق يث إذا رشح ماله من السر . أراد : أتيتك وحسبك كأنه يظن دسماً
والنثيث : أن يرشح ويرق من كثرة لحمه . وروى : « تحت » ظليم . والحِمِيث : الزق والناهي .

(٢) الرصة : مؤث الربح ، وهو الضمير ينتج في الربيع .

(٣) الناصح : البعير يمتن عليه ؛ ثم استعمل في كل بعير وإن لم يحصل الماء .

(٤) النقة : ثوب كالإزار ، يجعل له حجرة محببة . (٥) الهيد : حب الخنظل .

(٦) النفية : البصيرة المظلمة ؛ لأنها تظلمت ، أي تلوى .

(٧) الخصة ، محركة : الخلة فصل من الخوص قصر .

(٨) الجر ينتج الظلم وكثيرة الرأ . آية من حرف ، الواحدة جرة .

(٩) المنرب : الخلو .

شيء من أسر الخلافة ؟ قالت : نعم ، قال : أيزعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله نصر عليه ؟ قلت : نعم ، وأزبدك ، سألت أبي عما بدعيه ، فقال : صدق ، فقال عمر : لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله في أسره ذرو^(١) من قول لا يثبت حجة ، ولا يقطع عذرا ، ولقد كان يربع أسره وقتا ما ، ولقد أراد في سره أن يصرح باسمه فنمت من ذلك إشفاقا وحيلة على الإسلام ، لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبدا ! ولو وليها لانتقصت عليه العرب من أقطارها ، فلم رسول الله صلى الله عليه وآله أنى علمت ما في نفسه ، فأمسك ، وأبى الله إلا بمضاء ما حتم .

ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه ، مسدا .



انتفى أبو سفيان داراً بمكة فأتى أهله ، فقال : إنه قد صيقت علينا الوادي ، وأسل طليبا الماء ، فأنام عمر فقال : حدثنا الخبر قصه هناك ، وارفع هذا واحفص هذا ، فعزل ، فقال : الحمد لله الذي أدان أبا سفيان بأنطح مكة .



وقال عمر : والله لقد لان قلبي في الله حتى لهُوَ أَلين من الرمد ، ولقد اشتد قلبي في الله حتى لمَوْ أشد من الحجر .



كان عمر إذا أتاه الحصان برك على ركبتيه وقال : اللهم أعني عليهما . فإن كلاً منهما يريدني عن ديني .



وخطب عمر ، فقال : أيها الناس ، إنما كنا نعرفكم والنبي صلى الله عليه وآله بين أظهرنا ، إذ ينزل الوحي ، وإذا يفتننا الله من أحباركم ، ألا وإن النبي صلى الله عليه وسلم قد انطلق ، والوحي قد انقطع ، وإنما نعرفكم بما يبدؤ منكم . من أظهر خيرا غلبنا به حيرا ، وأحببناه عليه ، ومن أظهر شرا غلبنا به شرا ، هو أفضأ . سرائركم بينكم وبين ربكم . ألا إنه قد أتى على حين ، وأنا أحسب أنه لا يقرأ القرآن أحداً إلا يريد به وجه الله وما عند الله ، وقد خيل إلى بأخرة ، أن رجلاً قد قرعوه يريدون به ما عند الناس ، فأريدوا الله بقراءتكم ، وأريدوا الله بأعمالكم .

ألا وإني لا أرسِلُ عُتَالِي إليكم أيها الناس ليصربوا أشارككم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أرسلهم إليكم ليمدوكم ديسكم وسختكم ، فمن فعل به سوى ذلك طيرفه إلى لأخص له ، قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقتصر من نفسه . ألا لاتصربوا المسلمين قتلوم ، ولا تهموم حقوقهم فتعقروم ، ولا تنزلوم النياض فتصيعوم .

• • •

وقال مرة : قد أعياني أهل الكوفة ، إن استعملت عليهم لينا استصعوه ، وإن استصت عليهم شديداً شكوه ! ولوددت أني وجدت رجلاً قويا أميا أستعمله عليهم . فقال له رجل : أنا أدلك بأمر المؤمنين على الرجل القوي الأمين ، قال : من هو ؟ قال : عبد الله بن عمر ، قال : قاتلك الله ! والله ما أردت الله بها ، لاها الله ! لا أستعمله عليها ولا على غيرها ، وأنت قم فاحرج ، فذ الآن لا أسمىك إلا المنافق . فقام الرجل وخرج . وكتب إلى سعد بن أبي وقاص أن شاور طليعة بن خويلد وعمر بن معد يكرب فإن كل صانع أعلم بصنعه ، ولا تولهما من أمر المسلمين شيئا .

• • •

وغضب عمر على بعض عماله ، فكلم امرأة من نساء عمر في أن تسترضيه ، فكلمته فيه ، فغضب ، وقال : وفيم أنت من هذا بأعلوة الله ؟ إنما أنت لعة تلعب بك وتقرّ كين^(١) .



ومن كلامه : أشكو إلى الله جأه الخائن ، وعجزه الثقة .

قال عمرو بن ميمون : لقد رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يُصاب بأذى ، واقفاً على خذيفة بن اليان ، وعثمان بن حنيف ، وهو يقول لها : أتحلفان أن تكونا حلتما الأرض مالا تطيقه ؟ فقالا : لا : إنما حلتماها أسراً هي له مطيقة ، فاعاد عليهما القول : انظرا أن تكونا حلتما الأرض مالا تطيقه ! فقالا : لا ، فقال عمر : إن عشت لأدعن أرامل العراق لا يحتضن بعدى إلى رحل أبداً ، فما أنت عليه رامة بحق أصيب .



كان عمر إذا استعمل عاملاً كتب عنه كتاباً ، وأشهد عليه رهطاً من المسلمين ألا يركب برؤفونا ، ولا يأكل رقيقاً^(٢) . ولا يلبس رقيقاً ، ولا يعلق بابه دور حاجات المسلمين ، ثم يقول : اللهم اشهد .



واستعمل عمر النعمان بن عدي بن نضلة على ميسان ، فبلغه عنه الشعر الذي قاله ، وهو :

وَمَنْ مَبْلَغُ الْحَسَاءِ أَنْ حَلِيَابَهَا مَيْسَانَ يَنْتَقِي مِنْ رُجَاجٍ وَحَتْمٍ !^(٣)
إِذَا شَتَّ غَتْنِي دَهَاقِينَ قَرِيبَةً وَصَاحَةً تَحْدُو عَلَى كُلِّ مَنِيَمٍ

(٢) التقي : الشعر .

(١) مخر كين : تصيب .

(٢) المنم : المرة المضراء .

فإن كنتَ نَذْمَانِي فَبِأَلَا كِبَرٍ أُتْقِنِي وَلَا تَنْفِي بِالْأَصْفَرِ لِلتَّسْلِمِ
 لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَهُ نَادُمُنَا بِالْجَوْسِقِ الْمَهْدَمِ
 فكتب إليه : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (حَمْدُ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ •
 غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ • ذِي الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي الْمَعِينِ) ^(١)
 أما بعد ، فقد بعني قولك :

• كَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَهُ • البيت

وأيُّمُ الله إنه لبسوءني ، فأقدم قد عزلتك .
 فلما قدم عليه ، قال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، والله ما شرتُها قط ، وإِنَّمَا هُوَ شَرٌّ طَمَعٌ عَلَى
 لِسَانِي وَإِنِّي لَشَاعِرٌ .

فقال عمر : أَظُنُّ ذَاكَ ، وَلَسَكِ لَا تَعْمَلِينَ عَلَى عَمَلِ أُنْدَا .

• • •

استعمل عمر رجلاً من قريش على حملهِ ، فبلغه عنه أَنَّهُ قَالَ :
 اسْقِنِي شَرْبَةً تُرَوِّى عِظَامِي وَأَسْقِ بِاللَّهِ مِثْلَهَا ابْنُ هِشَامٍ
 فأشحصه إليه ، وفطن القرشي ، فعم إلى بيتنا آخر ، فلما مثل بين يديه ، قال له
 أُمْتُ الْقَائِلِ :

• اسْقِنِي شَرْبَةً تُرَوِّى عِظَامِي •

قال : نعم يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَبِأَلَا أَلَمْتُكَ الْوَائِي مَا بَعْدَهُ ؟ قَالَ : مَا الَّذِي بَعْدَهُ ؟ قَالَ :
 صَلَاً بَارِحاً بِمَاءِ غُصَامٍ إِنِّي لَا أَحِبُّ شَرْبَةَ الْغُصَامِ
 قَالَ : أَقْبَرُ اللَّهُ ! ثُمَّ قَالَ : ارْجِعْ إِلَى عَمَلِكَ .

• • •

قال صر : أيتما عامل من عمالي ظلم أحدا : ثم بلغت مظلته ، فلم أغيرها ، فأنا
الذي ظلمته .

وقال للأحنف بن قيس ، وقد قدم عليه فاحتبه عنده حزولا : يا أحنف ، إني قد
خبرتك وبلوتك ، فرأيت علايتك حسنة ، وأنا أرحو أن تكون سريرتك مثل
علايتك ، وإن كنا لنحدث أنه إنا يهلك هذه الأمة كل مساق عليم .

وكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص : إن « مترس »^(١) بالفارسية هو الأمان ، فصر
قلم له ذلك ممن لا يفقه لسانكم قد أتمنوه .

وقال لأمير من أسراء الشام : كيف سيرتك ؟ كيف تصنع في القرآن والأحكام ؟
فأخبره ، فقال : أحسنت ، اذهب ، فقد أقررتك على سميتك . ولما ولى رجع فقال : يا أمير
المؤمنين ، إني رأيت البارحة رؤيا أقصها عليك ، رأيت الشمس والقمر يقتلان ، ومع كل
واحد منهما جنود من الكواكب ، فقال : مع أيهما كنت ؟ قال : مع القمر ، فقال :
قد عزلتك ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَعَرَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا
آيَةَ النَّهَارِ مُبْهِرَةً ﴾^(٢)

كان عمر جالسا في للسعد ، فمر به رجل ، فقال : وبل لك يا عمر من النار ! فقال :
قرَّبوه إلي ، فدنا منه ، فقال : لم قلت لي ما قلت ؟ قال : تستعمل عمالك ، وتشترط عليهم

(١) في الألفاظ الفارسية لأدى شهر ١٤٣ : « المترس » ما ينسب به من حائط ونحوه من الصدور .
وخشية توسع خلف الباب .
(٢) سورة الإسراء ١٢ .

ثم لا تنظر هل وفوا لك بشروط أم لا ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : عاملك على مصر اشترطت عليه ، فترك ما أمرته به ، وارتكب ما نهيت عنه ، ثم شرح له كثيرا من أمره . فأرسل عمر رجلين من الأنصار ، قتل لهما : اتبعا إليه ، فأسألا عنه ، فإن كان كذب عليه فأعديا ، وإن رأيتا ما يسوءكما فلا تملكاه من أمره شيئا حتى تأتيا به ، فذهبا فأسألا عنه ، فوجداه قد صدق عليه ، فجاءا إلى بابه ، فاستدما عليه ، فقال صاحبه : إنه ليس عليه اليوم إذن ، قالا : ليخرجن إلينا أو نعرقن عليه بابه . وجاء أحدهما بشقة من نار ، فدخل الأذن ، فأخبره فخرج إليهما ، قالا : إنا رسولاهم إليك لتأنيه ، قال : إن لنا حاجة : تمهلتنى لأتوود ، قالا : إنه عزم علينا ألا نملكك ، فاحتملاه ، فأتيا به عمر ، فلما أتاه سلم عليه فلم يعرفه ، وقال : من أنت ؟ - وكان رجلا أسمر ، فلما أصاب من ريف مصر ابيض وسم - فقال : أنا عاملك على مصر ، أنا فلان ، قال : لم يملك ! ركت ما نهيت عنه ، وترك ما أمرت به ! والله لأعاقنك عقوبة أبليغ إليك فيها ، آتوني نكساء من صوف ، وعصا وثلاثمائة شاة من غنم الصدقة ، فقال : ليس بهذه الدراعة ^(١) ، فقد رأيت أهلك وهذه خير من دراعته ، وخذ هذه المصافى خير من عصا أهلك ، واذهب بهذه الشياه فارعيها في مكان كذا - وذلك في يوم صائف - ولا تمنع السابقة من ألبانها شيئا إلا آل عمر ، فإنى لا أعلم أحدا من آل عمر أصاب من ألبان غنم الصدقة ولحمها شيئا .

فلما ذهب رده ، وقال : أفهيت ما قلت ! فضرب بنعمه الأرض ، وقال : أمير المؤمنين ، لا أستطيع هذا ، فإن شئت فاضرب عنق ، قال : فإن رجدتك فأى رجل تكون ؟ قال : والله لا يملكك بعدها إلا ما تحب . فردّه ، فكان نم الرجل . وقال عمر : والله

(١) الدراعة ، كرمانة : جبة مقلوبة القمم ، ولا تكون إلا من صوف .

لَا تُزَعْنَ فَلَانَا مِنَ الْقَعَاءِ حَتَّى أَسْتَمْلَ عِيَوْضَهُ رَجُلًا إِذَا رَأَى الْفَاجِرَ فَرَّقَى .

وروى عبد الله بن بريدة ، قال : يسا عمر يعس ذات ليلة انتهى إلى باب متجاف ، وامرأة تغنى نسوة .

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى خَيْرٍ فَاشْرَهَا أَمْ هَلْ سَبِيلٌ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ
فقال عمر : أَمَا ماعشت فلا .

فَمَا أَصَحَّ دَعَا نَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ - وهو نصر بن الحجاج بن غلابط البهزي السلمي -
فأنصره وهو من أحسن الناس وحبها ، وأصعبهم وأملهم حسا ، فأمر أن يُطعم^(١) شعره ،
نخرحت حبيته فارداد حسا ، فقال له عمر : اذهب فاعتم ، فاعتم فبدت وفرته^(٢) ، فأمر بحلقها
فازداد حسا ، فقال له : فنت ساء المدينة يا ابن حجاج ! لا تحاورني في بلدة أنا مقيم بها ،
ثم سيّره إلى البصرة .

فروى الأصمعي ، قال : أبرد عمر ريذاً إلى عتبة بن أبي سفيان بالبصرة ، فأقام بها
أَتَامًا ، ثم نادى منادى عتبة : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَوْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
شَيْئًا ، فَلْيَكْتُبْ ، فَإِنَّ رِيْدَ الْمَسْذِينَ خَارِجٌ .

فكتب الناس ، ودرس نصر بن حجاج كتاباً فيه :

لَعَسَدَ اللَّهِ عَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ، أَمَا بَعْدُ ،
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :

لَعَمْرِي لَنْ سَيَّرَ تَنِي أَوْ حَرَمَتَنِي لَمَّا بَلَّتَ مِنْ عِرْصِي عَلَيْكَ حَرَامُ
أَتَيْنُ نَحْتِ الذُّلْفَاءِ بَوْمًا بِمُنْبِيَةٍ وَنَعْرُ أُمَانِي النَّسَاءِ غَرَامُ

(١) طم شعره : عقمه .

(٢) الوفرة : ما سأل على الأديب من الشعر .

ظننتَ بي الظنَّ الذي ليس بعده فلا فالي في التديي كلامُ
وأصحتُ منفيًا على غير ربيته وقد كان لي بالمكتين مقامُ^(١)
سيمعني بما تظنُّ تكرهني وآباءُ صدقٍ سالفون كرامُ
ويعمها بما تمتَّتْ صلاتُها وحالُ لها في ديبها وصيامُ
مهاثنَ حالًا نأهل أنت راجعُ قد حبَّ مني كاهلٌ وسنامُ^(٢)
فقال عمر : أما ولي ولاية فلا . وأقطعهُ أرمًا بالبصرة ودارا .

فلما قتل عمر ركب راحلته وخلق بالمدينة .
وذكر للبرد محمد بن يزيد الشامي ، قال : كان^(٣) عمر أصلع ، فلما حلق وفرة نصر
ابن حجاج^(٤) ، قال نصر ، وكان شاعرا ،
نصرتَ ابنَ خطابٍ على منجةٍ / كذا رجلتَ تهتزُّ هزَّ السلاسلِ
صلَّعَ رأسًا لم يصلِّعه ربهُ برفٍ رفيقا بمد أسود جاتلٍ^(٥)
لقد حسد القرعان أصلع لم يكن إذا ما شئ بالقرع بالمتعائلِ^(٦)
محمد بن سعيد ، قال : بينا يطوف عمر في بعض سبيلك للمدينة ، إذ سمع امرأة تهتف
من خدرها :

هل من سبيل إلى خير فاشربها أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

- (١) أي مكة والمدينة ؛ متى على الطبيب .
(٢) حب : قطع .
(٣) الكامل ٧ : ١٧٦ ، وفيه : « وكان نصر بن حجاج السلمي ثم البهري جليلا ؛ فبرز عليه
عمر بن الخطاب رحمه الله في أمر - الله أعلم به - حلق رأسه ، وكانت عمر أصلع لم يبق من شعره
إلا حلق ؛ كذلك قال الأصمعي ؛ قال نصر بن حجاج ، « وأورد الأبيات . . . »
(٤) الجاتل : الشعر الكبير للثعلب .
(٥) القرعان : جمع أقرع ؛ وهو القواق الشعر . قال البرد : قوله : « بالقرع بالمتعائل » ليس أنه
جلى « بالقرع » من صلة المتعائل ؛ فيكون قد قدم المتعائل الموصول ؛ ولكنه جعل قوله : « بالقرع »
مبيناً ، فصار بمنزلة « بك » إلى فتح بعد « صحاح » فبين .

إلى فتى ماجد الأغراق مقبل سهل الحيا كرم غير مدحاج^(١)
تنميه أعراف صدق حين تسمه أحي قداح عن الكروب فراج
سامي النواظر من سهر له قدم نعى صورته في الحالك الداجي

فقال عمر : ألا لا أدرى منى رجلا يهتد به العواتق في حدودهن ! على بنصر
ابن حجاج ، فأتى به ، فإذا هو أحسن الناس وحا وعينا وشعرا ، فأمر شعره لحز ،
فخرجت له وجنتان كأنه قر ، فأمره أن يمتع عتم بهتن النساء بمينيه ، فقال عمر : لا والله
لا تساكنتي بأرض أمابها ، قال : ولم يا أمير المؤمنين ؟ قال : هو ما أقول لك ، فسيره
إلى البصرة .

وحافت المرأة^(٢) التي سمع عمر منها ، فسمع أن يدير إليها منه شيء ، فعدت إليه أبياتا :
قل للأمير الذي تحشى لوائده مالي وللحمر أو نصر بن حجاج
إني نليت أما حمص بصرير شرب الحليب وطرف فاطر ساج
لا تجعل الفنان حقا أو تئنه إن السيل سيل الخائف الراجي
مامنية قلها عرما صائرة والناس من هالك قدما ومن ناج
إن الهوى رعية التقوى نقيده حتى أقر بالجاء وإسراج

فكلى عمر ، وقال : الحمد لله الذي قيد الهوى بالتقوى .

وأنته يوما أم نصر حين اشتدت عليها عيبة انها فتمرست لعمر بين الأذان والإقامة ،
فتمدت له على الطريق ، فلما خرج يريد الصلاة همت به ، وقالت : يا أمير المؤمنين
لأجائيتك^(٣) غدا بين يدي الله عز وجل ، ولأحاصمتك إليه ، يبيت عاصم وعبدالله إلى

(١) للمحاج : من الملاحة ، ومن التماهي في الخصومة .

(٢) ذكروا أن المرأة التميمية من القارعة بنت حنم بن عمرو بن محمود التميمي .

(٣) الجئو : الجلس على الركبتين للخصومة .

جانبك ويبنى وبين ابني الفياض والقفار ، والمفاوز والجبال ! قال : مَنْ هذه ؟ قيل :
أم نصر بن حجاج ، فقال : يأم نصر ، إن عاصما وعبد الله لم تهتف بهما المواتق من
وراء الخدور .

وروى أن نصر بن الحجاج لما سبره عمر إلى البصرة نزل بها على مجاشع بن مسعود
الشفليّ، وكان خليفة أبي موسى عليها، وكانت له امرأة شابة جميلة فهوريت نصرا، وهويتها
فيينا الشيخ جالس ونصر عنده إذ كتب في الأرض شيئا ، فقرأته المرأة ، فقالت :
« أما والله » ، فقال مجاشع : ما قال لك ؟ قالت : إنه قال : ما أصنى لقحتكم هذه ؟ فقال
مجاشع : إن الكلمة التي قلتَ ليست أحقا لهذا الكلام ، عرمت عليك لَمَّا أخبرتني !
قالت : إنه قال : ما أحسن سوار ابتكم هذه ؟ قال : ولا هذه ، فإنه كتب في الأرض ،
فراى الخط فدعا إياه فوصفه عليه (، ثم أحضر كحلما من عِلْمانه ، فقال : اقرأ ، فقرأه
وإذا هو : أنا والله أحكك ، فقال : جلد هذه ، اعتدى أيتها المرأة ، وتروخها بأن أخى
إن أردت .

ثم غدا على أبي موسى ، فأخبره ، فقال أبو موسى : أقسم ما أخرجه عمر عن المدينة
من خير ، ثم طرده إلى فارس وعليها عثمان بن أبي العاص الثقفي ، فزل على دهقانة ،
فأعجبها فأرسلت إليه ، فبلغ خبرها عثمان ، فمضت إليه أن أخرج عن أرض فارس ، فإنك
لم تخرج عن المدينة والبصرة من خير ، فقال : والله لئن أخرجتموني لألقن ببلاد
الشرك ، فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب أن حزوا شعره وثمرروا قيصره ،
وألزموه الساجد .



وروى عبد الله بن بُريدة أن عمر خرج ليلا يمشي ، فإذا نسوة يصعدن ، وإذا هنّ

يقول : أى فتیان المدينة أصبح ؟ فقالت امرأة منهم : أبو ذؤيب والله . فما أصبح عمر سأل عنه ، فإذا هو من بنى سليم ، وإذا هو ابن عم نصر بن حجاج ، فأرسل إليه ، فخصر ، فإذا هو أجمل الناس وأملحهم ، فلما طر إليه قال : أنت والله ذئبها ! يكررها ويرددها ، لا والذي نفسى بيده لا نجتمعن بأرض أبدا .

فقال : يا أمير المؤمنين إن كنت لابد مسرى فبرى حيث سیرت ابن عمى نصر ابن حجاج ، فأمر بتسييره إلى البصرة ، فشحص إليها .

• • •

خطب عمر في الليلة التي دفن فيها أبو بكر ، فقال : إن الله تعالى نهج سبيله ، وكفانا رسوله ، فلم يبق إلا الدعاء والاعتداء . الحمد لله الذي اتلانكم وأبقيكم فيكم بعد صاحبي ، وأعوذ بالله أن أرل أو أضل ، فأعدي له ولياً ، أو أوالى له عدواً . ألا إني وصاحبي كنتم ثلاثة فقلوا من طيبة ، فاخذ أحدهم مهلة إلى داره وقراره فلك أرضاً مضينة منشابة الأعلام ، فلم يزل عن الطريق ، ولم يحرم السبل ، حتى أسلمه إلى أهله ، ثم تلاه الآخر فلك سبيله ، واتبع أثره ، فأنصى إليه ولقى صاحبه ، ثم تلاها الثالث ، فإن سلك سبيلهما واتبع أثرهما أفصى إليهما ولا فها ، وإب زل يمينا أو شمالا لم يجامعهما أبدا .

ألا وإن العرب جعل أيف^(١) قد أعطيت خطامه ، ألا وإنى سامله على المحجة ومستعين بالله عليه .

إلا وإنى دايع فأمنوا ، اللهم إني شحيح فسحقى . اللهم إني غليظ فلينى . اللهم إني صعيق فقوتنى . اللهم أوحب لى بمواليتك وموالاة أوليائك ولايتك ومعونتك ، وأبرثنى

(١) الحبر الأثب : القول الذى يأتى من الرجز والعرب وعطى ما عنده من الخير عنوا سهلا .

من الآفات بمعاداة أعدائك ، وتوفنى مع الأبرار ، ولا تحشرنى فى زمرة الأشقياء . اللهم لا تُكثِرْ لى من الدنيا فاطنى ، ولا تقبل لى فأشقى ، فإن مقلّ وصفى خير مما كثر وألهى .

وفد على عمر قوم من أهل العراق ، منهم حرير بن عبد الله ، فأتاهم بحفنة قد صُفّت بحلّ وزيت ، وقال : خدوا ، فأخذوا أحدا صبغا ، فقال : ما بالكم تقرمون^(١) قرّم الشاة الكبيرة ! أغلّكم تريدون خبوا وحامصا ، وحارّا وباردا ، ثم قدفاً فى الطون ، لو شئت أن أدهق^(٢) لكم لعلت ، ولكنا نستقى من ديار ما نجد فى آخرتنا ، ولو شئنا أن نأمر بصغار الصّان فنسبط^(٣) ، ولات الحمر فيحير ، ونأمر بالرييب فيند لنا^(٤) فى الأسمان^(٥) حتى إذا صار مثل عين اليعقوب^(٦) ، أكلنا هذا وشربنا هذا لعلت ! والله إني ما أهرعن كراكر^(٧) وأسنة وصلاتى^(٨) وصاب^(٩) ، لكن الله تعالى قال لقوم عبّهم أمراً معلوم^(١٠) : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ دُنْيَا ۖ وَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ ،

(١) القوم : الأكل .

(٢) فى اللسان : « دهمى الصبغ » ، وروى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو شئت أن يدهق لى لعلت ؛ ولكن الله تعالى قال يوماً فقال : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ دُنْيَا ۖ وَأَسْتَمْتُمْ بِهَا ۖ ﴾ ، معناه : لو شئت أن يلبس لى الطعام ويجود .

(٣) يقال : سمط الجدى والحمل بسطه أى صبغ به الصوف ووضعه من الشعر .

(٤) السد فى الأصل : طرحك الشيء من يدك أممك أو وراءك ، قالوا : ولأبنا سمي النهد فهداً ، لأن النهد يصطه يأخذ قرأ أو ريباً فيبده ، أى يطرحه فى وعاء أو سقاء عليه الماء ويتركه حتى يغور .

(٥) الأسمان : جمع سمن ، وهو قرية أو إدارة يقطع أسفلها وينتد عنها وتعالى إلى خشفة أو حدع تحلة ثم ينبذ فيها ، ثم يرد ، وهو شبه بطلو الغائب . قال فى اللسان : ومنه حديث عمر : أمرت بصاع من زبيب لحمل فى سمن .

(٦) اليعقوب : ذكر الحمل .

(٧) الكراكر : الصدر من دى الحب .

(٨) الصلاتى : ما عمل بالنار طيباً وشياً .

(٩) الصاب : صباغ يتخذ من الخردل والرييب .

(١٠) سورة الأحقاف ٢٠ .

لجعلت إن أردت الدنيا أضرت بالآخرة ، وإن أردت الآخرة أضرت بالدنيا ، وإذا كان الأمر هكذا فاصبروا بالقاية .

• • •

خرج عمرُ يوماً إلى المسجد ، وعليه قميص في ظهره أربع رقاع ، فقرأ حق انتهى إلى قوله: ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ ^(١) ، فقال : ما الأب ؟ ثم قال : إن هذا هو التكلف ! وما عليك باین الخطأب ألا تدري ما الأب !

• • •

وجاء قوم من النصحانة إلى حمزة فقالوا : لو كُتِبَ أهلك في أن يلين من عيشه ، لعله أقوى له على الطَّرِ في أمور المسلمين ! حمزة فقال : إن ناساً من قومك كلَّوْني في أن أكلمك في أن تلين من عيشك . فقال يابسة : عرَّضْتُ أهلك ، وبصحت لقومك .

ياسمينه وعشقه

وروى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: وثي عمر بعد على ررق أبي بكر الذي كان
فرضه لنفسه، فاشتدَّت حاجته؛ فاجتمع من المهاجرين منهم علي وعثمان وطاعة والزبير،
وقالوا: لوقلنا^(٢) لعمر يزيد في رزقه! فقال عمر: إني عمر، فمهلوا فاستبين^(٣) ما عنده
من وراء وراء؛ فأتى حمصة فكلَّمها وسكتَها أسماء ما. فدخلوا عليها، وسألوها
أن تكلِّمه ولا تخبره بأسماء من أتاها إلا أن يقبل. فطقت عمر في ذلك، فرأت النصب
في وجهه، وقال: من أتاك؟ قالت: لاسيل إلى ذلك، فقال: لو علمت من هم
لسؤت أوجههم، أت بيني وبينهم! شدتكَ الله ما أفصل ما اقتنى رسول الله صلى الله
عليه وآله في بيتك من اللابس؟ قالت: ثوبان ممشَّقان^(٤)، كان يلبسهما للوفد، ويحطب

(١) سورة عبس ٣١ . و ان الكتاب ٤٦٣ : ٥ : الألب : المرعى ، لأنه يؤب ، أى يؤم وينصح .
وروى عن أبي بكر أنه سئل عن الألب ، فقال : أى سماء تطلق ، وأى أرض تطلق إذا قلت فى كتاب
الله ما لا علم لى به . (٢) ١ : ٥ : كتابنا عمر .

(1) ثوب ممشق : مصوغ ،

(۳) ب : د فلتري •

فيهما في أجمع ، قال : فأني طعام ناله عندك أرفع ؟ قالت : خبزنا مرة خبزنا مرة ، فصبت عينا - وهي حارة أسفلها - عكة^(١) لنا كان فيها ثمن وعسل ، فجعلتها هشة حلوة دسمة ، فأكل منها فاستطابها ، قال : فإني مبسط كان يبسط عندك أوطأ ؟ قالت : كساء تخين كنا نرقعه في الصيف فنحمله ثجياً ، فإذا كان الشتاء بطنا نصفه ، وتدثرنا بنصفه ، قال : فأبليهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قدر فوضع الفضول مواضعها ، وتبلغ ما أبر ؟ وإني قدرت فوالله لأصمن^(٢) الفضول مواضعها ، ولأبليهم ما أبر حبة .



وفد على عمر وقد هجر رجال الناس من الآفاق ، فوضع لهم سلطان عاء ، وقدم إليهم طعاما غليظا ، فقالت له أنته حمصة أم المؤمنين : إنهم وحوه الناس وكرام العرب ، فأحس كرامتهم . فقال : يا حفص ، أخبريني بالذي فرأى فرشته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأطيب طعام أكله عندك ؟ قالت : أصبنا كبا من أبدأ عام حمر ، فكنت أفرشه له فينام عليه ، وإني رغبته ليلة ، ولما أصبح قال : ما كان فراشي الليلة ؟ قلت : فراشك كل ليلة ؛ إلا أنني الليلة رغبته لك ليكون أوطأ ، فقال : أعيد به لحالته الأولى ، فإن وطأته منعني الليلة من الصلاة .

وكان لنا صاع من دقيق سلت^(٣) ، ففعلته يوما وطبعته له ، وكان لنا قصب من سمن فصبته عليه ، ففينا هو عليه السلام يأكل إذ دخل أبو الدرداء ، فقال : أرى سمنكم قليلا ، وإن لنا لقعبا من سمن ، قال عليه السلام : فأرسل فأت به ، فجاء به فصبه عليه فأكل ، فهذا أطيب طعام أكله عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأرسل عمر عنيه بالبكاء ، وقال لما : والله لأزیدهم على ذلك العباء وذلك الطعام

(١) العكة : السمن ، كالشكوة لله ، وقبل : العكة أصغر من القرية السمن ، وهي رقيق صلب .

(٢) الصلت ، بالضم : ضرب من الشعر ، أو هو الشعر بعينه .

شيثا وهذا فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا طعامه .

•••

لما قدم عُتْبَةُ بن مَرْثَدٍ أَذْرَبِيحَانِ أَتَى بِالْحَبِيسِ^(١) ، فَلَمَّا أَكَلَهُ وَحَدَّ شِيثَا حُلُوا طَيِّبًا ،
فَقَالَ : لَوْ صَنَعْتَ مِنْ هَذَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَجُعَلُ لَهُ حَيْصًا فِي مَنْقَلَيْنِ عَظِيمَيْنِ ، وَحَمَلَهُمَا عَلَى
بَعِيرَيْنِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ عُمَرُ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : الْحَبِيسُ^(٢) ، فَذَاقَهُ فَوَجَدَهُ حُلْوًا ، فَقَالَ :
لِلرَّسُولِ : وَيَحْك ! أَاكَلَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَكُمْ يَشْعُ مِنْ هَذَا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَارْدُدْهُمَا . ثُمَّ
كَتَبَ إِلَى عُتْبَةَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنْ خَيَّصْتَ الْإِذَى بَشْتَهُ لَيْسَ مِنْ كَذِّ أَيْكَ وَلَا مِنْ كَذِّ
أُمِّكَ ، أَشْبَعَ الْمُسْلِمِينَ عَمَّا تَشْعُ بِهِ فِي رَحْلِكَ وَلَا تَسْتَأْثِرُ ؛ فَإِنَّ الْأَثَرَةَ شَرٌّ وَالسَّلَامَ .

(•••)

وَرَوَى عُتْبَةُ مِنْ مَرَّةٍ أُيْضًا ، قَالَ : قَدِمْتُ عَلَى سَحْمَرَ يَحْلَوَاءَ مِنْ مِلَادِ فَارَسَ ، فِي
سِلَالٍ عَطَامَ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قُلْتُ : طَعَامُ طَيِّبٍ ، أَتَيْتُكَ بِهِ ، قَالَ : وَيَحْك ! وَلَمْ
خَصَصْتَنِي بِهِ ؟ قُلْتُ : أَسْتَ رَحْلٌ تَقْضِي حَاجَاتِ النَّاسِ أَوَّلَ النَّهَارِ ، فَأَحْبَبْتُ إِذَا رَجَعْتُ
إِلَى مَنْزِلِكَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى طَعَامِ طَيِّبٍ ، فَتَصِيبَ مِنْهُ فَتَقْوَى عَلَى الْقِيَامِ بِأَمْرِكَ . فَكَشَفَ
مِنْ سَلْوَةٍ مِنْهَا فَذَاقَ فَاسْتَطَابَ ، قَالَ : عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِأَعْتَبَةٍ إِذَا رَجَعْتَ إِلَّا رَزَقْتَ كُلَّ
رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَهُ ! قُلْتُ : وَالَّذِي يَصْلَحُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أَنْفَقْتُ عَلَيْهِ أَمْوَالَ قَيْسَ
كُلَّهَا لَمَا وَسِعَ ذَلِكَ ، قَالَ : فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ إِذَا . ثُمَّ دَنَا بِقِصْعَةٍ مِنْ ثَرِيدٍ ، وَلَحْمٍ غَلِيظٍ ،
وَحَبْزِ خَشْنٍ ، قَالَ : كُلْ ، ثُمَّ جُعَلُ بَأْسُ كُلِّ أَكَلٍ شَبِيهاً ، وَجُعَلْتُ أَهْوَى إِلَى الْبَيْضَةِ
الْبَيْضَاءِ أَحْسَبُهَا سَنَامًا ، وَإِذَا هِيَ عَصَبَةٌ ، وَأَهْوَى إِلَى الْبَيْضَةِ مِنَ اللَّحْمِ أَمْضُفُهَا ،

(٢) : ١ : « هَذَا الْحَبِيسُ » .

(١) الْحَبِيسُ : ضَرْبٌ مِنَ الْحُلَوَاءِ .

فلا أسيئها ، وإذا هي من علباء العنق^(١) ، فإذا غفل عني جعلتها بين ايلوان والقصة ،
فلما بصي^(٢) من نبيد كاد يكون خلا ، فقال : اشرب ، فلم أستطع ولم أسيئه أن
أشرب ، فشرب ، ثم نظر إلى وقال : ويحك ! إنه ليس بذكر ملك^(٣) العراق وودك^(٤) ،
ولكن ماتا كله أنت وأصحابك .

ثم قال : اسمع إنا نسير كل يوم حرورا ، فاما أوراكها وودكها وأطايها فلن
حضرنا من المهاجرين والأنصار ، وأما عنتها فلا كل عمر ، وأما عظامها وأصلاها فللقراء
المدينة ، نأكل من هذا اللحم الفث ، وشرب من هذا الحيز الحائر^(٥) ، وندع لبن الطعام
ليوم تذهل كل مرصة عما أرمعت ، وتصع كل ذات حمل حائها .

حضر عند عمر قوم من الصحابة ، فاشروا عليه ، وقالوا : والله مارأينا بأمر المؤمنين
رجلا أقمى مثك بالقسط ، ولا أقول بالحق ، ولا أشد على المنافقين منك ! إنك خير
الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال عوف بن مالك : كذبتُم والله ، أبو بكر بعد رسول الله ، خير أمتيه
رأينا أبا بكر .

فقال عمر : صدق عوف والله وكذبتُم ! لقد كان أبو بكر والله أطيبت من ربح
لنك ، وأنا أصل من سير أهلك .

لما أتى عمر الخبير نزول رستم القادسية ، كان يخرج فيستعير الركبان كل يوم عن أهل
القادسية من حين يصبح إلى انتصاف النهار ، ثم يرجع إلى أهله ، فلما جاء البشير بالفتح ،

(٢) المس : القدح الكبير .

(١) اللباء عصاة صفراء في صفة العنق

(٤) لودك ، حركة : الدم من اللحم واللحم .

(٣) اللزومك : دقيق الخوازي .

(٥) حيز النبيد : نخس واشتد

لقية كما يلقى الركبان من قبل ، فسأله فأخبره ، ففعل يقول : يا عبد الله ، إيه ! حدثني !
 فيقول له : هزم الله العدو ، وعمر بحث معه ، ويسأله وهو راجل ، والبشير يسير على ناقته
 ولا يعرفه ، فلما دخل المدينة إذا الناس يسألون عليه باسمه يا ميرة المؤمنين ويهتفون ؛
 فنزل الرجل ، وقال : هلا أخبرني يا أمير المؤمنين رحلت الله ! وجعل عمر يقول : لا عليك
 يا ابن أخي ، لا عليك يا ابن أخي !



وروى أبو المالية الشامي ، قال : قدم عمر الحابية ، على حمل أوزق^(١) ، تلوح صلتته ؛
 ليس عليه قانسوة ؛ فصل رجلاه بين شمتي رحله ، نير ركاب ، وطاؤه كساء أسعاني^(٢)
 كثير الصوف ، وهو طاؤه إذا ركب ، وفراشه إذا نزل ، وحقيقته ميرة محشوة ليفا ، هي
 حقيقته إذا ركب ، ووسادته إذا نزل ، وعليه قميص من كرايس^(٣) قد دسم وتمحرق جيده ،
 فقال : ادعوا إلى رأس القرية . فذعموه له ، فقال : اعلوا قميص هذا وخيطوه ،
 وأعيروني قيصاريتما يحفت قميصي ، فأتوه قميص كتان ، صعب منه ، فقال : ما هذا ؟
 قالوا : كتان . قال وما الكتان ؟ فأخبروه ، فامسه ثم عمل قميصه ، وأتى به فزعه
 قميصهم ولبس قميصه ، فقال له رأس القرية : أنت ملك العرب ، وهذه بلاد لا يصلح بها
 ركوب الإبل ، فأتى بردون^(٤) ، فطرحت عليه قطيعة نير سرج فركبه ، فهتلج^(٥) ،
 تحت ، فقال للناس : احبسوا ، فلبسوه ، فقال : ما كنت أظن الناس يركبون الشيطان قبل
 هذا ! قدموا إلى جلي . فحى به فنزل عن البردون وركبه .



-
- (١) الأوزق من الإبل : ما في لونه يابس إلى سواد . ونهوا : هو من أطيب الإبل لحما ، لا سيرا وعملا .
 (٢) أسعاني ، منسوب إلى مسج ، على ضرب قياس .
 (٣) الكرايس : جمع كرامس ؛ وهو الثوب الخشن ؛ معرب « كرامس » بالفارسية .
 (٤) البردون : ضرب من القواب دون الخيل والتمر من الحجر ؛ يقع على الذكر والأنثى .
 (٥) هتليج البردون : متى مشية سهلة في سرعة ، والمهملة : حسن سير الدابة .

قدم عمرُ الشام ، فلقية أمراء الأجناد وعظماء تلك الأرض ، فقال : وأين أحى ؟
قالوا : مَنْ هو ؟ قال : أبو عبيدة ، قالوا : سيأتيك الآن ، جاء أبو عبيدة على ناقة مخطومة
بجمل ، فسلم عليه ، ورد له ، ثم قال للناس : انصرفوا عنا ، فسار معه حتى أتى منزله ، فنزل
عليه ، فلم ير فيه إلا سيفاً وترساً ، فقل له : لو اتخذت متاع البيت ! قال : حبى هذا
يبلغنى للقليل .

وروى طارق بن شهاب ، أن عمر لما قدم الشام عرّضت له محامدة^(١) ، فنزل عن
مبيرة ، ونزع حرموقيه^(٢) فأمسكها بيده ، وخاض الماء وزمام مبيرة في يده الأخرى ،
فقال له أبو عبيدة : لقد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل هذه الأرض ! فصلت في
صدره ، وقال : لو غيرك قالها بأبأ عبيدته إنكم كنتم أذلّ الناس ، وأحقّ الناس ، وأقلّ
الناس ، فاعزكم الله بالإسلام ، فمهما تطلبوا لكم فغيره يرحمكم إلى الله .

وروى محمد بن سعد صاحب الواقدي ، أن عمر قال يوماً على المنبر : لقد رأيتني ومالي
من أكال^(٣) يأكله الناس ؛ إلا أن لي حالات من بني محروم ، فكنت أستعذب^(٤)
لمن الماء ، فيقبضن لي القصاصات من الرّيب ، فما نزل قبل له : ما أردت بهذا ؟ قال : وجدت
في نفسي ثأواً^(٥) ؟ فأردت أن أطأطئ بها .

(١) المحامدة : موضع الخوض من الماء .

(٢) الحرموق : ما يلبس فوق الخف وغاية له .

(٣) الأكال ، كسحاب : الطعام ، ويجوز : ما ذقت أكالا .

(٤) يستعذب الماء : أي يطلب الماء العذب . (٥) الثأو : السب والغيلاء .

ومن كلام عمر : رحم الله امرأ أهدى إلى عبوبي .

• • •

قدم عمرو بن العاص على عمر ، وكان واليا لمصر ، فقال له : في كم سرت ؟ قال : في عشرين ، قال عمر : لقد سرت سير عاشق ! فقال عمرو : إني والله ما تأبطني الإمام ، ولا حملتني في غبرات المآلى ، فقال عمر : والله ما هذا بجواب الكلام الذى سألتك عنه ! وإن الدجاجة لتفحص في الرماد فتضع لغير الفعل ؛ وإنما تنسب السيئة إلى طرقتها . فقام عمرو مريداً الوجه .

قلت : المآلى : خرق سود يحملها التوامح ، ويسرن بها نأيديهن عند العلم ، وأراد حرق الخيم عاصها ، وشتمها بتلك ، وأسكر عمر عمره بالأمهات ، وقال : إن الفجر للآب الذى إليه النسيب . وسألت القريب أبا حنيفة عن هذا الحديث في عمر ، فقال : إن عمر أقر على عمر ، لأن أم الخطباء ربيعة ، وتعرف بباطل على ، نسي صهاك . فقلت له : وأم عمرو والتابعة أمة من سبايا العرب ، فقال : أمة عربية من عزة ، سببت في بعض الفارات ، فليس يلحقها من النقص عندهم ما يبعث الإمام الرعيات . فقلت له : أكان عمرو يقدم على عمر بمثل ما قلت ؟ قال : قد يكون بلنه عنه قول قدح في نفسه فلم يحملة له ، ونفت بما في صدره منه ، وإن لم يكن حواكاً مطاقاً للسؤال .

وقد كان عمر مع حشوته يحتمل نحو هذا ، فقد حبسه الزبير مرة ، وجعل يحكى كلامه يقطع له ، وحبسه سعد بن أبي وقاص أيضاً ، فغصى عنه . ومرت يوماً في السوق على ناقه له فوثب غلام من بني صكة ، فإذا هو حاصه ، فانتعت إليه ، فقال : فممن أنت ؟ قال : صبي ، قال : جئور والله ، فقال الغلام : على العدو ، ففهم عمر : وعلى الصديق أيضاً ، ما حاجتك ؟ فقصى حاجته ، ثم قال : دع الآن لنا طهر راحلتنا

• • •

ومن كلام عمر : اخشع عند القبور إذا نظرت إليها ، واستمع عند المصيبة ، وذل عند الطاعة ، ولا تبذلن كلامك إلا عند من يشبهه ويتعجده غيباً ، ولا تستمن على حاجتك إلا بمن يحب نجاحها لك ، وأنخ الإخوان على التقوى ، وشاور في أمرك كله ؛ وإذا اشترى أحداًكم بغيرا فليشتره جسيماً ، فإن أخطأته التجارة لم يخطئه السوق .

• • •

أوفد نشر بن مروان وهو على العراق رجلاً إلى عبد الملك ، فسأله عن نشر ، فقال : يأمر المؤمنين ، هو اللين في غير ضعف ، الشديد في غير عُنف ، فقال عبد الملك : ذاك الأحوذى^(١) ابن حنيفة^(٢) الذي كان يأمن عنده الهوى ، ويحافه السقيم ، ويماقب على الدُّب ، ويمرف موضع العقوبة ، لا يشتر بن مروان !

• • •

أدب عمر يوماً للناس ، فدخل شيخ كبير يخرج ، وهو يقول ناقة رحيماً^(٣) يحاذيها ، حتى وقف بين ظهراني الناس ، ثم قال :

وإني مسترعى وإنا رعية وإني مدعو ببياك يا عمر

لدي يوم شر شره لشرايره وحير لمن كانت مؤاسه الخيرة

فقال عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله : من أنت ؟ قال : عمرو بن برة ، قال : ويحك ! فما منعك أن تقول : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾^(٤) . ثم قرأها إلى آخرها ؛ وأمر ساقه فقبضت ، وحمته على غيرها ، وكساه وروده .

• • •

(١) الأحوذى : الرجل الذي يسوى الأمور أحسن مساوئ لها .

(٢) حنيفة : أم عمرو بن الخطاب .

(٣) ناقة رحيج سفر ، أي رحلت فيه صرات .

(٤) سورة الأنفال ٤١ .

بينما يمر في طريق مكة يوماً إذا بالشيخ بين يديه يرتحن ؛ ويقول :
ما إن رأيتُ كفتي الخطابِ أرتَ بالدير وبالأحباب

• بعد النبي صاحب الكتاب •

فطمعته عمر بالسوط في ظهره ، فقال : وبك ! وأين الصديق ! قال : مالي بأمره
علم يا أمير المؤمنين ، قال : أما إنك لو كنت عالماً ، ثم قلت هذا لأوجعت ظهرك .

• • •

قال زيد بن أسلم : كنت عند عمر ، وقد كلمه عمرو بن العاص في الخطيئة ، وكان
محبوساً ، فأخرجه من السجن ، ثم أشده :

ماذا تقول لأفراخ ندى مَرخ رُعب الحواصِلِ لا ماء ولا شَعَرُ^(١)
أقيت كاسيهم في قصر مظلم فاعمرهم عليك سلامُ الله يا عمرُ
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألت إليه مقاليد النُهي البشرُ
ما أتروك ها إذ قد موك لها لكن لأضيم كات بك الأثر^(٢)

فبكى عمر لما قال له : « ماذا تقول لأفراخ » ! فكان عمرو بن العاص بعد ذلك
يقول : ما أقلت الفبراهولاً أظلت الحضرة أبقى من رجل يكي حوقاً من حبس^(٣) الخطيئة !
ثم قال عمر لعلامة يرفأ : على بالكُرسى ، فجلس عليه ، ثم قال : على بالطست ، فأثى بها ،
ثم قال : على بالحصف ، لا بل على بالكبي ، فأثى بها ، فقال : لا بل على بالموسى ، فأنها
أوجى ، فأثى بموسى ، ثم قال : أشيروا على في الشاعر ، فإنه يقول الهُجر ، وينسب بالحرم ،
ويمدح الناس ويذمهم نير مانيهم ، وما أرائي إلا قطعاً لسانه ! ففعل الخطيئة يزيد خوفاً ،
فقال من حضر : إنه لا يعود يا أمير المؤمنين ، وأشاروا إليه قل : لا أعود يا أمير المؤمنين ،
قال : النجاء النجاء ! فلما ولى ناداه : يا خطيئة ! فرجع مرعوباً ، فقال : كأتى بك الخطيئة

(٢) أي الخلافة . ول للديوان : « لم يؤثروك » .

(١) ديوانه ٨ .

(٣) كمال ١ ، وفي ب : « حبه » .

عند فقي من قريش ، قد بسط لك ثمرقة ، وكسر لك أخرى ، ثم قال : عسا يا حطيثة ، فطقت
تفنيه بأعراض الناس . قال : يا أمير المؤمنين ، لا أعود ، ولا يكون ذلك .

قال زيد بن أسلم : ثم رأيت الحطيثة يوماً بعد ذلك عند عبيد الله بن عمر ، قد بسط
له ثمرقة وكسر له أخرى ، ثم قال : تعذيب يا حطيثة ، وهو يعني ، فقلت : يا حطيثة ،
أما تذكر قول عمر لك ا فزع ، وقال : رحم الله ذلك للراء ! أما لو كان حياً ما فعلنا
هدا . قال : فقلت لعبيد الله بن عمر : سمعت أباك يذكر كذا ، فكنت أنت
ذلك الفقي .

• • •

كان عمر يصادر خونة المال ، فصادر أب موسى الأشعري ، وكان عامله على النخعة ،
وقال له : لمعنى أن لك جاريتين ، وإنك تعلم الناس من جفتين ، وأعاده بعد المصادرة
إلى حاله .

وصادر أب هريرة ، وأعطى عليه ، وكان عامله على البحرين ، فقال له : ألا تعلم أني
استمطتكم على البحرين ، وأنت حافٍ لا تمل ورحلك ! وقد لمعنى أملك ست أفراساً
بألف وستمئة دينار . قال أبو هريرة : كانت لما أفراس قضاة ، فقال : قد حبست لك
رزقك ومؤنتك ، وهذا فصل . قال أبو هريرة : ليس ذلك لك ، قال : بلى ، والله وأوهم
ظهورك ! ثم قام إليه بالدرة فصر بظهره ، حتى أدماه ، ثم قال : اثمتها ، فلما أحضرها ،
قال أبو هريرة : سوف أحنسها عند الله ، قال عمر : ذلك لو أخذتها من حبي ، وأذيتها
طائفاً ، أما والله ما رجعت إليك ثمانية أن تحيي أموال هتخروا لجماعة وأقصى البحرين لنفسك ؛
لا لله ولا للسلدين ، ولم ترجُ فيك أكثر من رغبة الحر . وعركه .

وصادر الحارث بن وهب أحد بني ليث بكر بن كنانة ، وقال له : ما قلاص وأعدت لعتها
بمائة دينار ؟ قال : حرحتُ بفقرة لي فاتحرتُ فيها ، قال : وإنا والله ما بعثناك للتجارة ،

أدّها، قال : أما والله لأعمل لك بعدها . قال : أما والله لأستعملك بعدها . ثم صعد المنبر ، فقال : يا معشر الأمراء ، إن هذا المال لو رأينا أنه يحمل لنا لأحطاه لكم ، فأتانا إذ لم يره يحمل لنا وطلّعنا^(١) أنفسنا عنه ، فاطلّعوا عنه أعينكم ، فبى والله ما وجدت لكم مثلاً إلا عطشان ورد اللجة ، ولم ينظر الماتح ، فلما روى عرق .

وكتب عمر إلى عمرو بن العاص وهو عامله في مصر :
أما بعد ؛ فقد بلغني أنه قد ظهر لك مال من إبل وغنم وخدم وعلمان ، ولم يكن لك قبله مال ، ولا ذلك من ررقتك ، فأتى لك هذا ! ولقد كان لي من السابقين الأولين من هو خير منك ، ولكنني استعملتك لعنائك ، فإذا كان عملك لك وعليها ، بيم يؤثر على أنفسنا ! فاكثب إلى من أين مالك ؟ وعجل . والسلام .

فكتب إليه عمرو بن العاص : قرأت كتاب أمير المؤمنين ، ولقد صدق ، فأتانا ما ذكره من مالي ، فأتى قدمت بلدة ؛ الأسفار فيها رحيصة ، والفرو فيها كثير ، فحمت فصول ما حصل لي من ذلك فيما ذكره أمير المؤمنين . والله يا أمير المؤمنين ، لو كانت خيانتك لنا حلالاً ما خناك ؛ حيث ائتمنتنا ، فاقصير عما عاك ، فإن لنا أحساباً إذا رحننا إليها أعنتنا عن العمل لك ، وأما من كان لك من السابقين الأولين ، فهلا استعملتهم ! فوالله ما دقت لك هاماً .

فكتب إليه عمر : أما بعد ، فإنني لست من تبطرك وتشقيقك الكلام في شيء ! إنكم معشر الأمراء أكثتم الأموال ، وأحدثتم إلى الأعداء ، فإنا تأكلون النار ، وتورثون النار ، وقد وجهت إليك محمد بن مسعدة لبشاطرك على ما في يديك . والسلام .

(١) ظف نفسه عن الفىء : منها .

فلما قدم إليه محمد أخذ له طعاماً وقدمه إليه ، فابى أن يأكل ، فقال : مالك لا تأكل طعامنا ؟ قال : إنك عملت لي طعاماً هو مقدمة للشر ، ولو كنت عملت لي طعام الضيف لأكلته ، فأعد عني طعامك ، وأحضر لي مالك . فلما كان الغد وأحضر ماله ، جعل محمد يأخذ شطراً ، ويعطى عمراً شطراً ، فلما رأى عمرو ما حاز محمد من المال ، قال : يا محمد ، أقول ؟ قال : قل ما تشاء ، قال : لعن الله يوماً كنت فيه واليا لابن الخطأب ! والله لقد رأيته ورأيت أياه ، وإن على كل واحد منهما عانة قطواية ، مؤثرأبها ، ماتبلغ مأبض^(١) ركبتيه ، وعلى عنق كل واحد منهما حُرمة من حطب ، وإن العاص ابن وائل لي مرزرات الدباج . فقال محمد : إياها يا عمرو ! فصر والله خير منك ، وأما أبوك وأبوه فني النار ، والله لولا ما دخلت فيه من الإسلام لألقيت معتقاً شاء يسرك غزرها ، ويسومك نكوها . قال : صدقت ! ما كنتم على شيء قال : أفعل .



جاءت شربة لعبد الله بن عمر إلى عمر تشكوة ، قالت : يا أمير المؤمنين ، ألا تدري من أبي عيسى ؟ قال : ومن أبو عيسى ؟ قالت : اسك عبد الله ، قال : ويحك ! وقد تكفى بأبي عيسى ! ودعاه ، وقال : إياها اكنيت بأبي عيسى ! فخر وفرع ، فأخذ يده فعضها حتى صاح ، ثم ضربه وقال : ويلك ! هل لعيسى أب ! أما تدري ما كفى العرب ؟ أبو سلة ، أبو حفظة ، أبو عرفة ، أبو مرة .

كان عمر إذا غضب على بعض أهله لم يشتف حتى يعصم يده ، وكان عبد الله بن الزبير كذلك يقال : إنه لم يل ولاية من ولد عمر وال عادل .

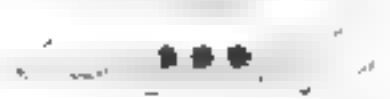


(١) للأس : كل ما يثبت عليه الخلق . ، وقبل : الفاضل ما تحت التخصين .

وقال مالك بن أنس : إن عمر بن الخطاب استفرغ كل عدل في ولده ، فلم يعدل بعده أحد منهم في ولاية وليها .

كان عمر ومن بعده من الولاة إذا أحسوا العصاة زرعوا عمامهم ، وأقاموم للباس ، حتى جاء زياد فصرهم بالسياط ، فجاء مصعب فخلق مع الضرب ، فجاء شر بن مروان ، فكان يصل تحت الإطمين ، ويصرب الأكتف بالمسامير . فكتب إلى بعض الجند قوم من أهله يستزيروه ، وينشوقوه ، وقد أخرجه بشر إلى اليرى فكتب إليهم :

لولا عصابة بشر أو عقوبة أو أن يرى شاني كفى بمسلم
إذا لمعلت نمرى ثم رزككم إن المحب للمعنى جيد زوال
فلما جاء الحاج قال : كل هذا أحب ، فقتل العصاة بالسيف .



زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : حلا عمر لبعض شأنه ، وقال : أميتك على الباب ، فطلع الزبير ، فكرهته حين رأيته ، فأراد أن يدخل ، فقلت : هو على حاجة ، فلم يلتفت إلي ، وأهوى ليدخل ، فوضعت يدي في صدره ، فصرب أبي فأذماه ، ثم رجع ، فدخلت على عمر ، فقال : ما بك ؟ قلت : الزبير !

فأرسل إلى الزبير ، فلما دخل حثت فقتل لأنظر ما يقول له ، فقال : ما حلك على ما صنعت ؟ أذميتني للباس . فقال الزبير يحكيه ويمطط في كلامه : « أذميتني ! » ، أمتجب عنا يا بن الخطاب ! فوالله ما احصب مني رسول الله ، ولا أبو بكر ! فقال عمر كالمعتذر : إني كنت في بعض شأني !

قال أسلم : فلما سمعته يعتذر إليه ، ينست من أن يأخذ لي بحقي منه .

نخرج الزبير ، فقال عمر : إنه الزبير وآثاره ما تعلم ! فقلت : حتى حقتك !

•••

وروى الزبير بن مكار في كتاب "الموفيات" ، عن عبد الله بن عباس قال : إني لأماشى عمر بن الخطاب في سكة من سكتك المدينة ، إذ قال لي : يا ابن عباس ، ما أرى صاحبك إلا مظلوما ، فقلت في نفسي : فقه لا يسبقني بها ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، فارددني إليه ظلامته ، فانتزع يده من يدي ، ومضى بهمهم ساعة ، ثم وقف فلهقته ، فقال : يا ابن عباس ! ما أظنهم معهم عنه إلا أنه استصرف قومه ! فقلت في نفسي : هذه شر من الأولى ! فقلت : والله ما استصرفه الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك^(١) .

فأعرض عني وأسرع ، فرحمت الله .

•••

وقال ابن عباس : قلت لعمر ، لقد أكرت التقي الموت ، حتى حشيت أن يكون عليك غير سهل عند أواريه ! فإذا سئمت من رعييتك ؛ أن تعين صالحا ، أو تقوم فاسدا ! قال : يا ابن عباس ، إني قائل قول لا تحنه إليك ، كيف لا أحب فراقهم ، وفيهم من هو قاصح فاه للشهوة من الدنيا ، إنما لحق لا بسوء به ، وإنما لاطل لا بماله أو الله لولا أن أسأل عنكم لبرئت منكم فأصبحت الأرض مني بلاع ، ولم أقل : ما فعل فلان وفلان !

•••

جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن زوجي يصوم

(١) النظر الرئيس النضرة ٢ : ١٧٣ .

النهار ويقوم الليل ، وإنى أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله فقال : نعم الزوج زوجك ! ؛ فقلت تكرر عليه القول ، وهو يكرر عليها الجواب .

فقال له كعب بن سور : يا أمير المؤمنين ، إنها تشكو زوجها في مباحثته إياها عن فراشه ، ففطن عمر حينئذ ، وقال له : قد وليت الحكم بينهما !

فقال كعب : على زوجها ، فأتى به ، فقال : إن زوجتك هذه تشكوك ، قال : في طعام أو شراب ؟ قال : لا ، قالت المرأة :

أيتها القاضي الحكيم رشده ألهي خبيلى عن فراشي متجسدة
زهده في مصحى نثده هاره وليله مايرقده
• فلت في أمر النساء أحده •

فقال زوجها :

رهدنى في فرثها وفي الجبل
في سورة النمل وفي السع الطول
قال كعب :

إن لها حقاً عليك يارب
• فأعطيها ذلك ودع عنك العلق •

فقال لعمر : يا أمير المؤمنين ، إن الله أحل له من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فله ثلاثة أيام ولياليهن ، يصعد فيها ربه ، ولها يوم وليلة .

فقال عمر : والله ما أعلم من أى أمر بك أعجب ! أمن همك أمرها ، أم من حكك بينهما ! اذهب فقد وليتك قضاء العصرة .

• • •

وروى زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : خرجت مع عمر بن الخطاب وهو يطوف بالليل ،

فنظر إلى نار شرق حرة المدينة ، فقال : إن هؤلاء الركب لم ينزلوا هاهنا إلا الليلة ! ثم أهوى ^(١) لهم ، فخرحت معه حتى دونا ، فسمعنا تصاعى ^(٢) الصبيان وبكاهم .

قال : التام عليكم يا أصحاب الصوة ، هل يدو منكم ! واحتسنا قليلا ، قالت امرأة منهم : ادنوا سلام ! فاقبلنا حتى وقفنا عليها ، فقال : ما يسكى هؤلاء الصبيان ؟ قالت : الجوع ، قال : فما هذا القدر على النار ؟ قالت : ماء أعطهم به ، قال : انتظريني فإني بالغك إن شاء الله ! ثم خرج بهزول وأنا معه ، حتى حشا دار الدقيق وكانت داراً يطرح فيها ما يجيء من دقيق العراق ومصر . وقد كان كتب إلى عمرو بن العاص وأبي موسى حين أبحات النة : الموت ، الموت ! احملوا إلى أنحال الدقيق ، واحملوا فيها جمائد الشمع . فناء إلى عدلٍ معها ، فطأطأ ظهري ، ثم قال : احملي على ظهري يا أسلم ! فقلت : أنا أحملي عنك ! فطر إلى وقال : أنت تحمل عني ودرى يوم القيامة ؟ لا أملك ! قلت : لا ، قال : فاحمله على ظهري إداً ، ففعلت ، وخرج به بذليج ^(٣) وأنا معه ! حتى ألقاه عند المرأة .

ثم قال لي : ذر ^(٤) على ذرور الدقيق لا يتعرد وأنا أحرر ^(٥) ، ثم أحد المسواط ^(٦) يحرر ، ثم جعل يبعث تحت البرمة ، وأنا أظفر إلى الدخان يخرج من حائل الحيتة ، ويقول : لا تجعل حتى يضيغ ، ثم قال : ألقي على من الشمع ، فإن القفار يوحى البطن .

(١) أهوى لهم : نزل عليهم . (٢) التصاعى : الصياح والتضور من الجوع .
(٣) الإدلاج : السير أول الليل . (٤) در الشيء : أحسنه بأطراف أصابعه ، ثم نزه على الشيء .
(٥) الحريرة : الصفة .
(٦) السوط : حبل الشيء بهه يمس ، والسوط والمواط : ما سبط به .

ثم أنزل القدر ، وقال للرأة : لا تعلى ، لا تعطيهما حاراً ، وأنا أسطح لك ، فجعل
يسطح بالسواط ، ويرد طعامهم ، حتى إذا شبعوا ترك عندها الفصل ، ثم قال لها : أنتي
أمير المؤمنين غدا ، فإنك عيت أن تحديني قريباً منه ، فأسمع لك بحير ؛ وهى تقول :
من أنت يرحك الله ! وتدعوه وتقول : أنت أولى بالخلافة من أمير المؤمنين ؛ فيقول :
قولى حيرا يرحك الله ! لا يزيد على هذا .

ثم انصرف حتى إذا كان قريباً جلس فاقم ، وحمل يسمع طويلاً ، حتى سمع
التصاحك منها ومن الصبيان ، وأه أقول : يا أمير المؤمنين ، قد فرغت من هذه ، ولك شغل
في غيرها ، ويقول : لا تكلمنى ، حتى إذا هدا حشهم قام فتعطى وقال : ويحك ! إني
سمعتُ الحوق أسهرم ، فأحببت ألا أنزع حتى أسمع التسع أمانهم !



ومن كلامه : الرجال ثلاثة : الكامل ، ودون الكامل ، ولا شيء . فالكامل
هو الرأى يستشير الناس ، فيأخذ من آراء الرجال إلى رأيه ، ودون الكامل من يستبد به
ولا يستشير . ولا شيء . من لا رأى له ولا يستشير .

والنساء ثلاث : تميم أهلها على الدهر ولا تميم الدهر على أهلها ، وقلما تجدنها . وامرأه
وعاء للولد ليس فيها عبره . والثالثة عُلَّ قِيلٌ^(١) يجعله الله رقة من يشاء ، ويعكها إذا شاء .



لما أخرج عمر الخطيئة من حنَّه قال له : إياك والشعر ! قال : لا أقدر على ركة
يا أمير المؤمنين ؛ مأكلة عيالى ، وعملة تدب على لسانى . قال : فشببُ ناهلك ، وإياك

(١) في اللسان « في حديث عمر في سمع النساء . منهن على فسر ، أى ذو قل . كانوا يملون الأسير
مالقده وعليه الشعر بقل ، ولا يستطيع دمه منه بمجة »

وكل مدحة مُحججة . قال : وما المحجة ؟ قل : تقول : إن بنى فلان خيراً من بنى فلان ،
امدح ولا تفصل أحداً ، قال : أنت والله يا أمير المؤمنين أشعر مني !

وروى الزبير في « الموفقيات » عن عبدالله بن عباس ، قال : خرجت أريد عمر بن
الخطاب ، فلقيته راكناً حاراً ، وقد ارتس به على أسود ، في رجليه نعلان محصوفتان ،
وعليه إزار وقميص صغير ، وقد اكتشف منه رجلاه إلى ركبتيه ، فثبتت إلى حائه ،
وحملت أحدهما الإزار وأسويه عليه ، كلما سرت حائماً اكتشف جانباً ، فيصعك
ويقول : إني لا يطعمك ، حتى حثنا العالية ، فصلينا ، ثم قدم بعض القوم إلىنا طعماً من
حز ولحم ، وإذا عمر صائم ، فجعل يبدي^(١) إني طيب اللحم ، ويقول : كل لي ولك ، ثم
دحنا حائطاً فالتى إلى رداءه ، وقال اكفسي^(٢) وألقى قميصه من يده ، وحلّس نفسه ،
وأنا أعلم رداءه ، ثم حثناهما وصلينا العصر ، فركب ومشيت إلى حائه ، ولا ثالث لنا .
قلت : يا أمير المؤمنين ، إني في حيلة فأشترى عليّ ، قال : ومن حطمت ؟ قلت :
فلاة ابنة فلان ، قال : النسب كما تحب ، وكما قد علمت ، ولكن في أخلاقها هادئة^(٣)
لا تعدمك أن تعدّها في ولدك ! قلت : فلا حاجة لي إداً فيها ، قال : فلم لا تعطبُ إلى
ابن عمك - يعني علياً ؟ قلت : ألم تسقى إليه ؟ قال : فالأحرى ، قلت : هي لابن أخيه .
قال : يابن عباس ، إن صاحبكم إن ولى هذا الأمر أحشى عظمه بنفسه أن يذهب به ،
فليتي أراكم بعدى !

قلت : يا أمير المؤمنين ، إن صاحبنا ما قد علمت : إني ما غير ولا بدّل ، ولا أسخط
رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام صحبه له .

(١) يبدي : يطرح .

(٢) الكفسي : الخساسة .

قال : قطع على الكلام ، فقال : ولا في سنة أي حمل ، لك أراد أن يحط بها على فاطمة !

قلت : قال الله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَحْدِلْهُ عِلْمًا ﴾ ^(١) ، وصاحبها لم يهزم على سخط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الخواطر التي لا يقدر أحد على دفعها عن نفسه ، وربما كان من الفقيه في دين الله ، العالم العامل بمر الله .

فقال : يا ابن عباس ، من ظن أنه يرد عوركم فيموص فيها معكم حتى يبلغ قعرها فقد ظن مجزأ ! أستعفر الله لي ولك ، حد في غيرها .

ثم أشتأ يسألني عن شيء من أمور الغيب وأحسه فيقول . أصدت أصاب الله بك !
أت والله أحق أن تنزع !

• • •

أشرف عبد الملاك على أصحابه ، وهم يتذاكرون سيرة عمر ، فعاظه ذلك ، وقال :
إنيها عن ذكر سيرة عمر ! فإياها مررارة على الولاية ، معسده للرعية

• • •

قال ابن عباس : كنت عند عمر ، فتعقمت بما ظننت أن أصلاعه قد انفرجت ، فقلت : ما أخرج هذا النفس منك يا أمير المؤمنين إلا هم شديد ! قال : إني والله يا ابن عباس ! إني فكرت فلم أدر فيمن أحفل هذا الأمر بعدى ! ثم قال : لعلك ترى صاحبك لما أهلا ! قلت : وما يسمعه من ديك مع جهاده وساقته وقراته وعلمه ! قال : صدقت ، ولكنه امرؤ فيه دُعانة ، قلت : فأين أنت عن طلحة ! قال : ذو البأو ^(٢) ، وبإصبه المقطوعة ! قلت : فعبد الرحمن ؟ قال : رحل ضميم لو صار الأمر إليه لوضع خاتمه في يد امرأته . قلت : فالزبير ؟ قال : شكس لقيس ^(٣) يلاطم في النقيع في صاع

(٢) البأو : العجب والتعجب .

(١) سورة طه ١١٥ .

(٣) النفس الشكس : شيء الخلق ؛ كد مسره صاحب قلس ؛ وأورد الخبر .

من بُزْءٍ ! قلت : فحد بن أبي وقاص ؟ قال : صاحب سلاح ومِقْسَبٌ^(١) ، قلت : فعمان ؟ قال : أوّه ! ثلاثا ، والله لن وليها ليعملن بي أبي مَعِيط على رقاب الناس ، ثم لتنهض العرب إليه .

ثم قال : يا بن عباس ، إنه لا يصح هذا الأمر إلا حَصِيف^(٢) العقدة ، قليل الفرة ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ثم يكون شديد من غير عنف ، يثاب من غير ضعف ، سعيًا من غير سرف ، ممسكًا من غير وكف^(٣) . قال ابن عباس : وكانت والله هي صفات عمر . قال : ثم أقبل على عدان سكت هَمِيَّةً ، وقال : أحرؤهم والله إن وليها أن يحملهم على كتاب ربهم وسفَهَ بينهم لصاحك ! أما إن ولي أمرهم حاهم على الخمعة البيضاء والصراط المستقيم .

وروى عبد الله بن عمر قال : كنت عند أبي بوماء ، وعنده عمر من الناس ، أخرى ذكر الشعر ، فقال : مَنْ أشعر العرب ؟ فقالوا : فلان وفلان ، فطلع عداقه بن عباس ، فسلم وجلس ، فقال عمر : قد جاءكم أخير ، مَنْ أشعر الناس يا عبد الله ؟ قال : زهير ابن أبي سلمى ، قال : فأنشدني مما تستعيده له . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه مدح قومًا من غطمان ، يقال لهم بنو سِيان ، فقال :

لو كان يقد فوق الشمس من كرم قوم تأولهم أو محدرهم قصدوا
قوم أروهم سائر حين تنسهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
إنس إذا أمتوا ، حن إذا فرعوا مرزوعون بهاليل إذا خهدوا

(١) المِقْسَب : جماعة الخيل .

(٢) قال النجاشي الطبري في الراس البصر . ٢ . ٦٠ . حبيب العقدة : مستحكما ، واستحصد الشيء : استعكم ، والمحبب : الرجل أحسن المثل ؛ وكفى بذلك محمرا عن الاشتداد في دين الله وقوة الإيمان .
(٣) الوكف : العيب .

مَحْتَدُونَ عَلَى مَا كَانَتْ مِنْهُمْ لَا يَرِيعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَا لَهُ حُسُودًا
 فقال عمر : والله لقد أحسن ، وما أرى هذا المدح يصلح إلا لهذا البيت من هاشم ؛
 لقرايتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن عباس : وصَّك الله يا أمير المؤمنين ،
 فلم تزل موقفا ، فقال : يا بن عباس ، أنت ترى ما منع الناس منكم ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ،
 قال : لكني أدرى ، قال : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : كرهت قريش أن تجتمع لكم
 النسوة والخلافة ، فيحذروا جَدَّكُمْ^(١) ، فنظرت قريش لنفسها فاحتارت ووقفت فأصابت^(٢)
 فقال ابن عباس : أعيط أمير المؤمنين عني عصه فيسمع ! قال : قل ما تشاء ، قال :
 أما قول أمير المؤمنين : إن قريشا كرهت ، فإن الله تعالى قال لقوم : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَخَذُوا أَعْمَالَهُمْ ﴾^(٣) .

وأما قولك : « إِنَّا كُنَّا نَخْشَفُ » ﴿ فَلَوْ جَعَلْتُمْ بِالْخِلَافَةِ حَافِظًا الْقِرَامَةَ ، وَلَكِنَّا قَوْمٌ
 أَحْلَاقًا مُشْتَبَهَةً مِنْ خَلْقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّكَ لَمَلَكٌ
 خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٤) ، وقال له : ﴿ وَاحْمِصْ حَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٥) .
 وأما قولك : « فَإِنْ قَرِيشًا احْتَارَتْ » ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ
 مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾^(٦) ، وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار
 مِنْ خَلْقِهِ لَذَلِكَ مَنْ اخْتَارَ ، فَلَوْ نَظَرْتَ قَرِيشَ مِنْ حَيْثُ نَظَرَ اللَّهُ لَهَا لَوَقَّعْتَ
 وَأَصَابْتَ قَرِيشَ .

فقال عمر : على رِسْلِكَ يَا بَنَ عَبَّاسَ ، أَتُتَقَلُّوْكُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ إِلَّا عِشَاءً فِي أَسْرِ
 قَرِيشَ لَا يَزُولُ ، وَحَقْدًا عَلَيْهَا لَا يُحَوَّلُ ، فقال ابن عباس : مهلاً يا أمير المؤمنين !

(٢) الشعر والجدل هاء في ديوان زهير وشرحه ٢٨١-٢٨٣

(٤) سورة ت - ٥

(٦) سورة القصص ٦٨ .

(١) خفف : تكبر .

(٣) سورة الأحزاب ١٩

(٥) سورة الشعراء ٢١٥

لا تنسب هاشمًا إلى الفس ، فإن قلوبهم من قلب رسول الله الذي طهره الله وزكاه ، وهم أهل البيت الذين قال الله تعالى لم : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ^(١) ؛ وأما قولك : « حقدًا » فكيف لا يحقد من غصب شيعته ، ويراه في يد غيره !

فقال عمر : أما أنت يا راس عاس ، فقد ملقني عنك كلامًا أكره أن أخبرك به ، فنزول منزلتك عندي ، قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ أخبرني به ، فإن بك باطلاً فمثل أباطل الباطل عن نفسه ، وإن بك حقاً فإن منزلتي عنك لا تزول به .

قال : بلبي أملك لا تزال تقول : أحقد هذا الأمر منك حقدًا وطلا . قال : أما قولك يا أمير المؤمنين : « حقدًا » ، فقد حقد إبليس آدم ، فأخرجه من الجنة ، فعصى بمر آدم المهود .



وأما قولك : « غلًا » فأمر المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو ! ثم قال : يا أمير المؤمنين ، ألم تحتج العرب على المعمر بحق رسول الله ، واحتججت قريش على سائر العرب بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فتعن أحق برسول الله من سائر قريش .

فقال له عمر : ثم الآن فارجع إلى مبرك . فقام ، فمأ وتى هتف به عمر : أيها المصرف ، إنني على ما كان منك لراع حقدك !

فالتفت ابن عباس فقال : إن لي عليك يا أمير المؤمنين وعلى كل المسلمين حقاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن حفظه فحق معه حفظ ، ومن أصاعه فحق نفسه أضاع . ثم مضى .

قال عمر جلوسه : واهاً لابن عباس ! ما رأيت لآحى أحداً قط إلا خصمه !

لما توفي عبد الله بن أبي ، رأس المنافقين في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاء ابنه وأهله ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي عليه ، فقام بين يدي الصف يريد ذلك ، فجاء عمر فجده من خلفه ، وقال : ألم ينهت الله أن تصلي على المنافقين ! فقال : إني حيرت فاحترت ، فقيل لي : ﴿ اسْتَعِيرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَعِيرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَعِيرْ لَهُمْ سَعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَمِيرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾^(١) ، ولو أني أعلم أن إداردت على السعنين عفر له لردت . ثم صلى رسول الله عليه ومشى معه ، وقام على قبره .

فمضب الناس من حراة عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، فلم يلبث الناس إلا أن نزل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا كَانَتْ أُولَئِكَ عَلَى قَبْرِهِ .. ﴾^(٢) فلم يصل عليه السلام بعدها على أحد من المنافقين^(٣)

وروى أبو هريرة ، قال : كنا قعوداً حول رسول الله صلى الله عليه وسلم في مصر ، فقام من بين أظهرنا ، فأبطأ علينا ، وحشينا أن يقطع دوننا فقمنا - وكنت أول من فرغ - فخرحت أتبعه حتى أتيت حائطاً^(١) للأصبار لقوم من بني النصار ، فلم أحذله باباً إلا ربيعا ، فدخلت في جوف الحائط - والربيع الجدول - فدخلت منه بعد أن احتفرت^(٢) ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أبو هريرة ! قلت : نعم ، قال : ماشأنتك ؟ قلت : كنت بين أظهرنا ، فقامت فأنطأت عما ، فحشيت أن تقطع دوننا ، ففرعنا - وكنت أول من فرغ - فأتيت هذا الحائط فاحتفرت^(٣) كما يحتفر الثعلب ، والناس من ورأى .

(٢) الرقيم الصرة ١ : ١٤٠

(١) سورة التوبة ٨٠ ، ٨٤

(٣) الحائط هنا : البستان .

فقال : يا أبا هريرة ، اذهب بعلى هاتين ، فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله ، مستيقنا بها قلبه ، فبشره بالجنة . فخرجت ، فكان أول من لقيت عمر ، فقال : ما هذان التعلان ؟ قلت : هما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني بهما ، وقال : من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه ، فبشره بالجنة .

فصرب عمر في صدرى خررت لاسيتي ، وقال : ارجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأحمشتُ باليكامِ راحمًا ، فقال رسول الله : ما بالك ؟ قلت : لقيتُ عمر فأخبرته بالذي بعثني به ، فصرب صدرى ضربة خررت لاسيتي ، وقال : ارجع إلى رسول الله .

فخرج رسول الله ، فإذا عمر ، فقال : ما حملك يا عمر على ما فعلت ؟ فقال عمر : أت بعثت أبا هريرة بكذا ؟ قال : نعم ، قال : فلا تفعل ، فإني أخشى أن يتكلم الناس عليها فيتركوا العمل ، خلوهم يعملون .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلوهم يعملون .

• • •

وروى أبو سعيد الخدري ، قال : أصابت الناس جماعة في غزاة تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ، لو أذنت لنا فذهبنا بواصحننا^(١) ، وأكلنا شحمها ولحمها ! فقال : افعلوا ، فجاء عمر فقال : يا رسول الله ، إنهم إن فعلوا قلَّ الظَّهر ، ولكن ادعهم بفصلات أزوادهم فاجمعها ، ثم ادع لهم عبيها بالبركة ، لعل الله يحمل في ذلك خيرا .

(١) الناصح : البعير يستق عليه ؟ ثم استعمل في كل بعير ، وإن لم يحمل الماء .

فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، فأكل الخلق الكثير من طعام قليل ، ولم تُذبح النواضح .

• • •

وروى ابن عباس رضي الله عنه أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر له ذباً أذنبه ، فأمره الله تعالى في أمره : ﴿ وَأَتِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَرُكُوعًا مِنَ اللَّيْلِ وَإِنْ كُنْتُمْ بِذُنُوبِكُمْ سَيِّئَاتٍ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلَّذِينَ كَرِهُوا ﴾^(١) فقال : يا رسول الله ، لي خاصة ، أم للناس عامة !

فصرب عمر صدره بيده وقال : لا ، ولا نعى عين ! بل للناس عامة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل للناس عامة .

• • •

وكان عمر يقول : وافق ربي في ثلاث : قلت : يا رسول الله ، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ، فقلت : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾^(٢) .
وقلت : يا رسول الله ، إن ساطك بدخل عليهن البئر والقاهر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن ، فقلت آية الحجاب .
وتمالأ عليه ساؤه عيرة ، فقلت له : ﴿ عَسَىٰ رَأْيُهُ أَنْ يُلْقِيَهُ أَوْاسًا خَيْرًا مِنْكُمْ ﴾^(٣) ؛ فقلت بهذا اللفظ^(٤) .

• • •

وقال عبد الله بن مسعود : فصل عمر الناس بأربع : برأيه في أسارى بدر ، فزل القرآن موافقه : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُشِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٥) ، وبرأيه في حجاب نساء النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فنزل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ

(٢) سورة الفرة ١٢٥

(٤) الراس للنصرة ١ : ٢٤٠

(١) سورة هود ١١٤

(٣) سورة التحريم ٥

(٥) سورة الأقال ٦٧

مَتَاعًا فَانْسَأِلُوهُمْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ^(١) وندعوة النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم أيد الإسلام بأحدِ الرحلين » ، ورأيه في أبي بكر ، كان أول مَنْ بايعه ^(٢) .

وردت عائشة قالت : كنتُ آكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حَيْيًّا ^(٣) قبل أن تنزل آية الحجاب ، ومرتْ عمر فدعاه فأكَل ، فأصابت يده إصبعي ، فقال : حَسَّ ^(٤) لو أطلع فيكن ما رأته عَيْنُ إفرت آية الحجاب ^(٥) .

حاء عينة من حصص والأفروع من حاس إلى أبي بكر ، فقالا : يا خليفة رسول الله ، إن عبدنا أرضاً سبعة ليس فيها كلاً ولا معة ، فإن رأيت أن تُقطعها ، لعلنا نحرثها أو نزرعها ! وعلل الله أن ينفع بها بعد اليوم فقال أبو بكر لمن حوله من الناس المسلمين : ما ترون ؟ قالوا : لا نأمن ، فكتب هما بها كتاباً ، وأشهد فيه شهوداً وعمر ما كان حاصراً ، فاطلعا إليه ليشهد في الكتاب ، فوجداه قائماً بهما ^(٦) بعيراً ، فقالا : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لنا هذا الكتاب ، وجئناك لتشهد على ما فيه ، أفتقرؤه أم تقرؤه عليك ؟ قال : أعلی الحال التي تريان ! إن شئنا فاقراء ، وإن شئنا فانتظرا حتى أفرغ .

قالا : بل تقرؤه عليك ، فمأ سمع ما فيه ، أحده مهماً ، ثم تقل فيه ، فحاه ، فتذامرا وقالوا مقالة سيئة .

(١) سورة الأحزاب ٥٣

(٢) الرياض النضرة ١ : ٢٠٢

(٣) الرياض النضرة : حياً وقباً .

(٤) قال الحب الطاري : « حس ، هي كسر السين والنشيد : كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه

مأصه وأحرقه كالخربة والضرية ومحوها . (٥) الرياض النضرة ١ : ٢٠٢

(٦) بهما بعير : يطلبه بالقطران علاجاً له من الجرب .

قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألمكما والإسلام يومئذ ذليل ، وإن الله تعالى قد أعز الإسلام ، فادعها فاجتهدا جهدا ، لا رعى الله عليكما إن رعيتم !
فدعها إلى أبي بكر ، وهما يتدمران ، فقالا : والله ما ندري أنت أمير أم عمر ؟ فقال : بل هو لو شاء كان .

وحاء عمر وهو منصّب ، حتى وقف على أبي بكر ، فقال : أحببني عن هذه الأرض التي أقطعها هذين الرجلين ، أمي لك خاصة ، أم بين المسلمين عامة ؟ فقال : بين المسلمين عامة ، قال : فما حملك على أن تحمّلها هذين دون جماعة المسلمين ؟ قال : استشرت الذين حولي ، فأشاروا بذلك ، فقال : أأكل المسلمين أوسعتهم مشورة ورمحا ! فقال أبو بكر : فلقد كنت قلت لك : إنك أقول على هذا الأمر متى ، لكنتك عليّ !

لما كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح في الحديبية بينه وبين سهيل ابن عمرو ، كان في الكتاب أن من خرج من المسلمين إلى قريش لا يرّد ، ومن خرج من المشركين إلى النبي صلى الله عليه وسلم يرّد عليهم ، فعصّب عمر وقال لأبي بكر : ما هذا يا أبا بكر ! أيرد المسلمون إلى المشركين ! ، ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، وقال يا رسول الله ، أأنت رسول الله حقاً ؟ قال : بلى ، قال : ومحرم المسلمون حقاً ؟ قال : نعم ، قال : وهم الكافرون حقاً ؟ قال : نعم ، قال : فسلام بعليّ الدّينة في دينا ! فقال رسول الله : أنا رسول الله ، أفصل ما يأمرني به ، ولن يضيقني .

فقام عمر معصبا ، وقال : لو أجد أعوانا ما أعطيت الدّينة أبدا . وجاء إلى أبي بكر

فقال له : يا أبا بكر ، ألم يكن وعدنا أننا سندخل مكة ، فأين ما وعدنا به ؟ فقال أبو بكر : أقال لك : إنه العام يدخلها ؟ قال : لا ، قال : فسيدخلها ، فقال : فما هذه الصحيفة التي كتبت ؟ وكيف يعطى النبوة من أممنا ؟ فقال أبو بكر : يا هذا ، الزم غرره ^(١) ، هو الله إنه لرَسُولُ الله ، وإن الله لا يضيعه .

فلما كان يوم الفتح وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة ، قال : ادعوا إلى عمر ، ففاء فقال : هذا الذي كنت وعدكم به ^(٢) .



لما قُتِلَ المشركون يوم بدر أَسَرَ منهم سبعون أسيراً ، فانتشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أبا بكر وعمر ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، هؤلاء بنو النعم والعشيرة والإخوان ، وأرى أن نأخذ منهم القُدْيَةَ ، فيكون ما أحداً منهم قوة لنا على المشركين ، وعسى أن يهديهم الله بعد اليوم ، فيكونوا لنا علماً برحال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تقول أست يا عمر ؟ قال : أرى أن تمسكوا من فلان - قريب لعمر - فأصرب عنقه ، وتمكن علياً من عقيل ، فيصرب عنقه ، وتمكن حمزة من أخيه فيصرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هودة للمشركين اقتلهم يا رسول الله ، فإنهم صاديدهم وقادتهم . فلم يهوَ رسول الله ما قاله عمر .

قال عمر : لحقت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدته قاعداً وأبو بكر ، وهما يبكيان ، فقلت : ما يبكيكما ؟ حدثاني ، فإن وجدت بكاء مكيت وإلا تباكيت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسكى لأحد القداء ، لقد عرص على عذابكم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة منه -

قال عبد الله بن عمر : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كَيْدًا مَا أَنْ يَصِيبَنَا شَرٌّ فِي مَخَالَفَةِ عَمْرِ .

وقال عمر في خلافته : لَنْ عِشْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِأَسِيرٍ فِي الرِّعْيَةِ حَوْلًا ، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ لِلنَّاسِ حَوَائِجَ تَقْتَضِعُ دَوَى ، أَمَّا عَمَّا لَمْ فَلَا يَرْفَعُونَهَا إِلَيَّ ، وَأَمَّا هُمْ فَلَا يَصْلُونَ إِلَيَّ .
أَسِيرٌ إِلَى الشَّامِ فَأَقِيمُ بِهَا شَهْرَيْنِ ، ثُمَّ أَسِيرُ إِلَى جَزِيرَةِ فَاقِيمُ بِهَا شَهْرَيْنِ ، ثُمَّ أَسِيرُ إِلَى مِصْرَ فَاقِيمُ بِهَا شَهْرَيْنِ ، ثُمَّ أَسِيرُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ فَاقِيمُ بِمَا شَهْرَيْنِ ، ثُمَّ أَسِيرُ إِلَى الْكُوفَةِ فَاقِيمُ بِهَا شَهْرَيْنِ ، ثُمَّ إِلَى الْمَصِيرَةِ فَاقِيمُ بِهَا شَهْرَيْنِ ، وَاللَّهِ لَمْ أَحُولْ هَذَا !

وقال أنسٌ : لعنني عمر بن الخطاب من أجل الصدقة التي ألقى ، فوصعت حماري على ناقية منها كريمة ، فلما أردت أن أصدرها قلت : أَعْرِضْهَا عَلَيَّ ، فمرصتها عليه ، فرأى متاعبي على ناقية حسناء ، فقال : لَا أَمَّ لَكَ ! تَحَدَّثْتَ إِلَى نَاقَةٍ تُعْنِي أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ! فَمَا لَهَا أَنْ تَكُونَ ^(١) بَوَّالًا ، أَوْ نَاقَةً شَصُوصَ ^(٢) !

وقيل لعمر : إن هاهنا رجلاً من الأحرار نصرانياً ، له بصر بالديوان ، لو اتخذته كاتباً ! فقال : لقد اتخذتُ إذاً طائفةً من دون المؤمنين !

قال ، وقد خطب الناس : والذي يمض عَمْدًا بِالْحَقِّ لَوْ أَنَّ جَمَلًا هَلَكَ صَبِيحًا بِشَطِّ الْفَرَاتِ ، خَشِيتُ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ عَنْهُ آلُ الْخَطَّابِ .

(١) ابن اللبون : ولله الناقة إما كان في العام الثاني .

(٢) الشصوص : الناقة النبطية الآن .

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعنى بآل الخطاب نفسه ، ما يعنى غيرها .

وكتب إلى أبي موسى : إنه لم يرل للناس وجوه من الأمر ، فأكرم من قبلك من وجوه الناس ، وبحسب السلم الضعيف من بين القوم أن ينصف في الحكم وفي القسم .

أتى أعرابي عمر ، فقال : إن ماقي بها نقباً ودبراً ، فاحملى ، فقال له : والله ما يعيرك من نقب^(١) ولا دبر^(٢) ، فقال :

أقسم بالله أبو حفص عمر ما منسها من نقب ولا دبر

• فاعفوله اللهم إن كان فخر •

فقال عمر : اللهم اعف لي ، ثم دعا له محله .

جاء رجل إلى عمر وكانت بينهما قرابة يسأله ، فزبره^(٣) وأخرجه ، فكلّم فيه ، وقيل : يا أمير المؤمنين زبرته وأخرحته . قال : إنه سألتني من مال الله ، فما منرتني إذا لقيته مسلماً خائفاً ؟ فلو سألتني من مالي !

ثم بعث إليه ألف درهم من ماله .

(١) نقب الحبر : حصى ، وقيل : رقت أخاذه .
(٢) الدبر : إصابة الحبر بالدبرة ، وهي قرحة من الرجل .
(٣) زبره : نهده .

وكان يقول في عماله : اللهم إني لم أبعثهم ليأخذوا أموال المسلمين ، ولا ليضربوا
أبشارهم ، من ظلمه أميره فلا إمرة عليه دوى !

بينما عمر ذات ليلة يُبَسِّ ، سمع صوت امرأة من سطح وهي تنشد :
تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَارْوَرَّ جَارِيَةٌ وليس إلى جنبي حليلٌ أَلَا عِيَةٌ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ تُحْشَى عَوَاقِبُهُ لَرُغِرِعَ مِنْ هَذَا السَّرِيرِ جَوَاسُهُ
مَخَافَةَ رَبِّي وَالْحَيَاءِ يَصْدِي وَأَكْرَمَ نَظْلٍ أَنْ تُنَالَ مِرَاكِبُهُ
[وَلَكِنِّي أَخْشَى رَفِيئاً مَوْكَلًا نَمَسَا لَا يَمْتَرُ الدَّهْرَ كَارِتُهُ]^(١)

فقال عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله ! ماذا صنعت يا عمر ببناء المدينة !
ثم جاء فضرب على خفصة ابتها ، فقالت : كد جاء بك في هذه الساعة ؟ قال :
أحبري كم تصبر المرأة اللعينة عن بئها ؟ قالت : أقصاه أربعة أشهر .
فلما أصبح كتب إلى أمرائه في جميع الواحي ألا تحترق^(٢) السموت ، وألا يعسر رجل
عن أهله أكثر من أربعة أشهر^(٣) .

وروى أسلم ، قال : كنت مع عمر ، وهو يُبَسِّ بالمدينة ، إذ سمع امرأة تقول
لبئتها : قومي يا بنية إلى ذلك الابن بعد المشرقين فامدقيه^(١) ، قالت : أو ماعدت ما كان
من عزيمة أمير المؤمنين بالأمس ؟ قالت : وما هو ؟ قالت : إنه أمر ساديا فنادى ألا يشاب
الابن بالماء ، قالت : فإنك بموضع لا يراك أمير المؤمنين ولا منادى أمير المؤمنين ! قالت :

(١) من الرياض النصره (٢) تحير : تحبس في الرو

(٣) ابن الجوزي ٦٠ ، والرياض النصره ٢ . ٥٨

(٤) امذقيه ، أي اخطيه بالماء .

والله ما كنت لأطيعه في الملاء ، وأعصيه في الغلاء - وعمر يسمع ذلك - فقال : يا أسلم ، اعرف الباب ، ثم معى في عتته ، فلما أصبح ، قال : يا أسلم ، امض إلى اللوصع ، فانظر من القائلة ومن القول لها ؟ وهل لهما من فعل ؟

قال أسلم : فأتيت اللوصع ، فظرت فإذا الجارية أتم ، وإذا المتكلمة بنت لها ، ليس لهما رحل .

فجئت فأخبرته ، فجمع عمر ولده ، وقال : هل يريد أحد أن يتزوج فأزوجها امرأة صالحة فتاة ، ولو كان في أيكم حركة إلى النساء لم يسته أحد إليها ؟ فقال عاصم ابنه : أنا ، فبعث إلى الجارية فزوجها له عاصم ، فقلت له بنتا هي المكناة أم عاصم ، وهي أم عمر بن عبد العزيز بن مروان ،

حج عمر طما كان بصحابة (١) قال : لا إله إلا الله العلي العظيم ، المعلى ما يشاء لمن يشاء ، أذكر وأنا أرمي إبل الحطاب بهذا الوادي في مذرعة صوف - وكان معلى ينسى إذا عملت ، ويضربني إذا قصرت - وقد أميت اليوم وليس بيني وبين الله أحد ثم تمثل :

لا شيء مما يرى نقي شاشته	بقى الإله ، وودى المال والولد (٢)
لم تنن عن هرمز يوما حزائنه	والخلد قد حاولت عاداً فما خلدوا
ولا سليمان إذ نحسرى الرماح له	والإنس والجن فيما بينهما يرد
أين الملوك التي كانت منارلها	من كل أوب إليها راكب يقد
حوض هنالك مورود لا كذب	لا بد من وزده يوماً كما وردوا

• • •

(١) ضجنان : موضع بناحية مكة .

(٢) الرأى النشرة ٢ : ٥٠ .

وروى محمد بن سيرين أن عمر في آخر أيامه اعتراه سبان حتى كان ينسى عدد ركعات الصلاة ؛ فحمل أمامه رجلاً بآمنه ، فإذا أومى إليه أن يقوم أو يركع ، فعل .

وسمع عمر منشداً يشد قول طرفة :

فَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ النِّعَى وَجَدُّكَ لَمْ أَحِضْ مَتَى قَامَ عُودِي ^(١)
فَمِنْ سَبْقِ الْمَادَلَاتِ بَشْرَةً كُنَيْتِ مَتَى مَا تَعْلَمُ بِلَاءَ تَزِيدِ ^(٢)
وَكَرَمِي إِذَا نَادَى الْمَصَافِ حَسَا كَسِيدِ الْعَصَا بَهْتَهُ الْمُتَوَسِّدِ ^(٣)
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّخْنِ وَاللَّحْنِ مُعْجِبٌ بِهَكِيَّةٍ تَحْتَ الطَّرَافِ الْمُسَدِّ ^(٤)

قال : وأنا لولا ثلاث هن من عيشة النعى ، لم أحض متى قام عُودى ؛ أن أجاهد في سبيل الله ، وأن أصع وحمى في التراب لله ، وأن أجالس قوماً يلتقطون طيب القول كما يلتقط طيب التمر .

وروى عبد الله بن بريدة ، قال : كان عمر يوماً يأخذ بيد الصبي ، فيقول : ادعنى ، فإنك لم تذنب بعد !

وكان عمر كثير المشاورة ، كان يشار في أمور المسلمين حتى المراء .

وروى يحيى بن سعيد ، قال : أمر عمر الحسين بن علي عليه السلام أن يأتيه

(١) اللقطة - بفتح التبري ٨٩ ، ٨٧ .

(٢) الكيت من الحمر : الی تضرع إلى السواد .

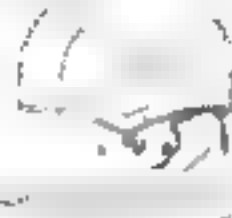
(٣) كرى - عطى - والمحب : من التعجب ، وهو أحد يداب في وطني يدى الفرس . والسيد : الذئب . والنفا : شعر ، ودثاه أخذت الذئب

(٤) الدخن - إلهن القيم السماء ، والهككة ، التامة المنق .

في بعض الحاجة ، فلقى الحسين عليه السلام عبداً لله بن عمر ، فسأله من أين جاء ؟ قال : استأذنت على أبي فلم يأذن لي ، فرجع الحسين ولقيته عمر من العد ، فقال : مامعك يا حسين أن تأتي ؟ قال : قد أبيتك ، ولكن أخبرني أنتك عبد الله أنه لم يؤذن له عليك ، فرحمت ، فقال عمر : وأنت عندي مثله ! وهل أبيت الشعر على الرأس غيركم !

• • •

قال عمر يوماً ، والبأس حوله : والله ما أدرى أحبيبة أنا أم ملك ! فإن كنت ملكاً ، فقد ورطت في أمر عظيم ، فقال له قاتل : يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقا ، وإليك إن شاء الله لملئ حير ، قال : كيف ؟ قال ^(١) : إن الخليفة لا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا في حق ، وأنت بحمد الله كذلك ، والملك يصعب الناس وبأحد مال هذا فيعطيه هذا .



فكثرت عمر وقال : أرحم الراحمين .

• • •

وروى مالك عن نافع ، عن ابن عمر ، أن عمر نعلم سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة ، فلما ختمها نحر حروراً .

وروى أس ، قال : كان يلرح لمر كل يوم صاع من تمر ، فبأكله حتى حشقه .

• • •

وروى يوسف بن يعقوب الماحشون ، قال : قال لي ابن شهاب ولأنخ لي وابن عمر لئنا ، وعن صبيان أحداث : لا تحتقروا أنفسكم لخدانة أسابكم ، فإن عمر كان إذا مرل به الأمر المضل ، دعا الصبيان فاستشارهم ، ينتفى حدة ^(٢) عقولهم .

• • •

(٢) ساقطة من ب .

(١) ب : قلت : والصواب ما أوجه من أ .

وروى الحسن ، قال : كان رجل لا يرال يأخذ من لحية عمر شيئاً فأخذ يوماً من لحيته؛
فقص على يده فإذا فيها شيء ، فقال : إن للفق من الكذب ثم علاه بالذرة .

انقطع شئع نعل عمر ، فاسترجع ^(١) وقال : كل ما ساء لك فهو مصيبة .

وقب أعرابي على عمر ، فقال له :
يا ابن خطاب جُزيت الجنة أكثرُ نبياني وأمهته
• أقسم بالله لثعلبته •

فقال عمر : إن لم أفعل ، يكون ماذا ؟

قال :

• إذا أباح قصي لأمصينته •

فقال : إذا مضيت يكون ماذا ؟

قال :

تكون عن حالي لتألمة يوم تكون الأعطيات حمة
والواقف المسؤل يُهنئة إماماً إلى نارٍ وإماماً جنة

فبكى عمر ، ثم قال لعلامة : أعطه قبض هذا فذلك اليوم ، لا لشعره ، والله ما أملك
ثوباً غيره .

وروى ابن عباس قال : قال لي عمر ليلة : أشدني لشاعر الشعراء ، قلت : ومن
هو ؟ قال : زهير الذي يقول :

(١) استرجع أى عاد : لئلا قد وانا إليه راجعون .

إِذَا انْتَدَرَتْ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ عَيْتٌ مِنْ الْمُهَذِّبِ مَنْ يَسْبِقُ إِلَيْهَا يَسُودُ^(١)
فَأَشَدَّتْهُ حَتَّى بَرَّقَ النُّعْرُ ، فَقَالَ : إِيَّاهُ الْآنَ ! اقْرَأْ بِأَعْيُنِ اللَّهِ ، قَالَتْ : مَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ :
سُورَةُ الْوَاقِعَةِ .

سَمِعَ عُمَرُ صَوْتَ نِكَاحٍ فِي بَيْتٍ ، فَدَخَلَ وَبِيَدِهِ الدُّرَّةُ ، فَقَالَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا حَقٌّ بِلَعْنَةِ
النَّاسِ ، فَضَرَبَهَا حَتَّى سَقَطَ حِجَارُهَا ، ثُمَّ نَزَلَ لِعَلَامَةٍ : اصْرَبِ النَّاسَ ، وَيْلَكَ ! اصْرَبِهَا
فَإِنَّهَا نَاسٌ لَا حَرَمَةَ لَهَا ، لِأَنَّهَا لَا تَسْكُنُ شَجَرًا ، إِنَّهَا تَهْرَبُ دُمُوعَهَا عَلَى أَحَدٍ دَرَاهِمًا ،
لِأَنَّهَا تُؤْذِي أَمْوَالَكُمْ فِي قُبُورِهِمْ ، وَأَحْيَاءَكُمْ فِي دُورِهِمْ ، إِنَّهَا تَنْهَى عَنِ الصَّبْرِ ، وَقَدْ أَمَرَ
اللَّهُ بِهِ ، وَتَأْمُرُ بِالْجَزَعِ وَقَدْ هَيَّأَ اللَّهُ لَهُ .

وَمِنْ كَلَامِهِ : مَنْ اتَّخَذَ فِي شَيْءٍ ثَلَاثَ بَرَكَاتٍ فَلَمْ يَصِبْ فِيهِ طَبِيعَتُهَا ، فَهُوَ إِلَى عَيْرِهِ .
وَمِنْ كَلَامِهِ : لَوْ كُنْتُ نَاسِجًا لَأَحْبَبْتُ عَلَى الْعَطْرِ شَيْئًا ، إِنْ فَاتَنِي رِيحُهُ لَمْ يَمَسْ رِيحُهُ .
وَمِنْ كَلَامِهِ : تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا .
وَمِنْ كَلَامِهِ : تَعَلَّمُوا الْمَهْيَةَ ، فَإِنَّهُ يَوْشِكُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى مَهْيَتِهِ .
وَمِنْ كَلَامِهِ : مَكْسِبَةٌ فِيهَا نَعَصُ الدَّمَاءِ ، خَيْرٌ مِنْ مَسْأَلَةِ النَّاسِ .
وَمِنْ كَلَامِهِ : أَعْقِلِ النَّاسَ أَعْذَرَهُمْ لَمْ .

رَأَى عُمَرُ نَاسًا يَقْنَعُونَ أَبْنَى كَعْبٍ ، فَرَفَعَ عَلَيْهِ الدُّرَّةَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَقْنَعُ
اللَّهُ ، قَالَ : فَمَا هَذِهِ الْجُمُوعُ حُلَّتْ بِأَرْكَبِ كَعْبٍ ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهَا قَتْلَةٌ لِلْمُتَبَوِّعِ ، مَدْلَةٌ لِلنَّاسِ .

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ ، فَقَالَ : إِنَّ مَتَالِي وَارِبَتَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَاسْتَعْرِجْهَا قَبْلَ أَنْ

تموت ، فأدركت معنأ الإسلام ، فأسلمت ، ثم قارفت حداً من حدود الله ، فأخذت الشفرة لتذبح نفسها ، فأدركها وقد قطعت بعض أوداجها ، فداويناها حتى برئت ، وتأت توبة حسنة ، وقد خطبها قوم ، أفحبرهم يدي كان من شأنها ؟ فقال عمر : أتعيد إلى ماستره الله فتبديّه ، والله لئن أحبرت شأنها أحداً لأحملك نكالا لأهل الأمصار ! أنكحها نكاح الغيفة السليمة .

• • •

أسلم عيلان بن سلمة الثقفي عن عشر نسوة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : اختز منهن أرميا ، وطلّق ستا ، فلما كان على عهد عمر مطلق نساء الأرمع ، وقسم ماله بين يديه ، فبلغ ذلك عمر ، فأحصره فقال له : إني لأظن الشيطان فيما يسترق من السمع ، سمع بموتك فغذفه في نفسك ، ولعلك لا تهتكت إلا قبلا ! وإيم الله لتراجعن ساطك ، ولترجعن في مالك ، أو لأورثنهن سنك ، ولأمرن قبرك فيرجم ، كما رجيم قبر أبي رغال .

• • •

وقال عمر : إن الجرف في العبثة أخوف عدى عليكم من العيال ، إنه لا يبق مع الصاد شيء ، ولا يقل مع الإصلاح شيء .

وكان عمر يقول : أذّبوا الحيل ، وانصّبوا ، وانفدوا في الشمس ، وهم يحاورنكم التتارير ، ولا تقعدوا على مائدة يشرب عليها الخمر ، أو يرفع عليها الصليب ، وإياكم وأحلاق المعجم ، ولا يحل لموس^(١) أن يدخل الحمام إلا مؤترراً ، ولا لامرأة أن تدخل الحمام إلا من سقم ، فإذا وضعت المرأة حمارها في غير بيت روحها ، فقد هتكت السر بيننا وبين الله تعالى .

وكان يكره أن يتزينا الرجال برى النساء ، وألا يزال الرجل يرى مكشعلا مدهنا ، وأن يحف لحيته وشاربه كما تحف المرأة .

• • •

سمع عمر سائلا يقول : من يعشى السائل ؟ فقال : عشوا سائلكم ، ثم جاء إلى دار إبل^(١) الصدقة يعشيها ، فسمع صوته مرة أخرى : من يعشى السائل ؟ فقال : ألم أمركم أن تعشوه ! فقالوا : قد عشبناه ، فأرسل إليه عمر ، وإذا معه حرات مملوءة خبزا ، فقال : إنك لست سائلا ، إنما أنت تاحر تجمع لأهلك ، فأخذ بطرف الجراب فبيده بين يدي إبل .

• • •

وقال عمر : من مزح استخف به ، وقال : أتدرون لم سمى المراح مراحا ؟ لأنها راح الناس عن الحق .

ومن كلامه : إن يعطى أحد الكفر بأفقه شرا من زوجة حديدة اللسان ، سيئة الخلق ، عقيم . ولن يعطى أحد بعد الإيمان بالله خيرا من زوجة كريمة وودود ولود ، حسنة الخلق .

وكان يقول : إن شقاشق الكلام من شقاشق اللسان ، فأقلوا ما استطعتم . ونظر إلى شاب قد سكس رأسه حشوعا ، فقال : يا هذا ، ارفع رأسك ، فإن الحشوع لا يزيد على ما في القلب ، فمن أظهر للحلق حشوعا فوق ما في قلبه ، فإنما أظهر نفاقا . ومن كلامه : إن أحكم إليبا عالم ركم أحكم أسماء ، فإذا رأيناكم فأحكم إليبا أحسنكم أخلاقا ، فإذا بلوناكم فأحكم إليبا أعظمكم أمانة ، وأصدقكم حديثا .

• • •

وكان يقول : لا تنظروا إلى صلاة امرئ ولا صياحه ، ولكن انظروا إلى عقله وصدقته .

(١) ب : د أهل ، تحريف ، وصوابه من ا

ومن كلامه: **إِنَّ الْعَدَا إِذَا تَوَاصَعَ فَهُ رَفَعَ حَكَمَتَهُ** ^(١)، وقال له: **اتَّمَشْ بِعَشِكَ اللَّهِ !** فهو في نفسه صغير ، وفي أعين الناس عظيم . وإذا تكبر وعنا **وَهَمَهُ** ^(٢) **اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ**، وقال: **اِخْتَأْ ، خَسَاكَ اللَّهُ !** فهو في نفسه عظيم ، وفي أعين الناس حقير ، حتى يكون عندهم أحقر من الخنزير .

وقال : **الْإِنْسَانُ لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ لثَلَاثَ ، وَلَا يَتْرُكُهُ لثَلَاثَ : لَا يَتَعَلَّمُهُ لِيَمَارِي بِهِ ، وَلَا لِيَبَاهِيَ بِهِ ، وَلَا لِيَرَانِي بِهِ . وَلَا يَتْرُكُهُ حَيَاءً مِنْ طَلَبِهِ ، وَلَا زُهَادَةً فِيهِ ، وَلَا رِصًا بِالْجَهْلِ بِدَلَا مِنْهُ .**

وقال : **تَعَلَّوْا أَسَابِيَكُمْ تَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ .**

وقال : **إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَحَدَ الرِّجَالِينَ ، مُؤْمِنًا قَدْ تَبَيَّنَ إِيمَانُهُ ، وَكَافِرًا قَدْ تَبَيَّنَ كُفْرُهُ ، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَنَافِقًا يَقَعُونَ بِالْإِيمَانِ وَيَعْمَلُ بِنُفْرِهِ .**
ومن كلامه : **إِنَّ الرَّحْفَ** ^(٣) **مِنْ كَثْرَةِ الزَّانَا ، وَإِنْ قَعُوطَ الطَّرِيقِ مِنْ قِصَاةِ السُّوءِ وَأَئِمَّةِ الْجَوْرِ .**

وقال في النساء : **اسْتَعِينُوا عَلَيْهِنَّ بِالْعُرَى ، فَإِنْ إِحْدَاهُنَّ إِذَا كَثُرَتْ نِيَابِهَاهَا ، وَحَسُنَتْ زِينَتُهَا ، أَهْجَبَهَا الْخُرُوجَ .**

ومن كلامه : **إِنَّ الْجِلْدَ السَّعَرُ ، وَإِنَّ الطَّاعُوتِ الشَّيْطَانُ ، وَإِنَّ الْجَبْنَ وَالشَّعَاعَةَ عِرَازُ تَكُونُ فِي الرِّجَالِ ، يِقَاتِلُ الشَّعَاعَ مِمَّنْ لَا يَعْرِفُ ، وَيَفِرُّ الْجَبَانُ عَنْ أُمِّهِ ، وَإِنْ كَرَّمَ الرَّجُلُ دِينَهُ ، وَحَسَّ الرَّجُلُ حُلَّتَهُ ، وَإِنْ كَانَ قَارِسِيًّا أَوْ نَبْطِيًّا .**

وقال : **تَفَهَّمُوا الْعَرَبِيَّةَ ، فَإِنَّهَا تَشْعِدُ الْعَقْلَ ، وَتَزِيدُ فِي الْمُرُوءَةِ .**

وقال : **النِّسَاءُ ثَلَاثَ : امْرَأَةٌ هَيِّبَةٌ لَيَّةٌ عَفِيفَةٌ ، وَدُودٌ وَلُودٌ ، تَعِينُ بِسِلَاحِهَا عَلَى الدَّهْرِ ، وَلَا تَعِينُ الدَّهْرَ عَلَى سِلَاحِهَا ، وَقَدْ تَحَدَّاهَا . وَأُخْرَى وَغَاءٌ تُلَوِّدُ لَا تَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا ، وَالثَّالِثَةُ غُلٌّ قَلِيلٌ ، يَحْمِلُهُ اللَّهُ فِي عُنُقِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَبْرَعُهُ إِذَا شَاءَ .**

(١) المسكة، بالصيريك: الشارب والأمر . (٢) الوهمه: الطمأنينة الأرض (٣) الرحف: الاضطراب .

والرجال ثلاثة : رجل عاقلٌ يُوردُ الأمورَ ويصدرُها، فيحسنُ إيراداً وإصداراً، وآخر يشاورُ الرجالَ ، ويقفُ عندَ آرائهم ، وثالثٌ حائرٌ بائرٌ، لا ياتِمُّ رشداً، ولا يُطِيعُ مرشداً.

وقال : ما ينسبكم إذا رأيتم السعيه يحرق أعراسَ النساء أن تُعرِّبوا ^(١) عليه ، قالوا : نخاف لسانه ، قال : ذلك أدنى ألا تكونوا شهداء .

ورأى رجلاً عظيمَ البطن ، فقال : ما هذا ؟ قال : بركة من الله .

وقال : إذا رُفقت مودة من أخيك قد ثبت بها ما استطعت .

وقال لقوم يحصدون الزرع : إن الله حمل ما أحطأت أيديكم رحمةً لفقرائكم ، فلا تصدروا فيه .

وقال : ما ظهرت قط نعمة على أحدٍ إلا وجدت له حاسداً ، ولو أن اسراً كان أقوم من قذيع ، لوجدت له غامراً .

وقال : إيتاكم والمدح ، فإنه الذم .

وقال لقبيصة بن ذؤيب سألت رجلاً حديث السن ، فصيح اللسان . وإياه يكون في الرجل تسعة أخلاق حسنة ، وخلق واحد سيئ ، فيغلب الواحد التسعة ، فتوق عثرات ^(٢) السيئات .

وقال : نحسب امرئاً من المي أن يؤذى حليسه ، أو يتكلف مالا يمتنيه ، أو يعيب الناس بما يأتي مثله ، ويظهر له منهم ما يحبى عليهم من نفسه .

وقال : احترسوا من الناس بسوء الظن .

وقال في حطة له : لا يحبكم من الرجل طمطته ولكن من أدى الأمانة ، وكف عن أعراض الناس فهو الرجل .

وقال : الراحة في مهاجرة خلطاء السوء .

(١) التعريب : أن تحكم بالكلمة فيعوض فيها أو يحلها . يقول له الآخر : ليس كذا ولكنه كذا الذي هو أصوب . كذا فسره صاحب اللسان ، وذكر قول عمر (٢) ب : « عثرات » ؛ وما أئتمت من أ .

وقال : إنَّ لثُومًا بالرجل أن يرفع يديه من الطعام قبل أكله .
وأثنى رجل على رجل عند عمر ، فقال له : أعاملته ؟ قال : لا ، قال : أصحته في السفر ؟
قال : لا ، قال : فأنت إذا القائل مالا يعلم .
وقال : لأن أموت بين شُعبتي رَسُلي ، أسي في الأرض ، أبتنى من فضل الله كفاف
وجهي ، أحب إلى من أن أموت غاريًا .

• • •

وكان عمر قاعدًا والدرة معه ، والناس حوله ، إذ أقبل الجارود العامري ، فقال رجل :
هذا سيد ربيعة ، فسمها عمر ومن حوله ، وسمها الجارود ، قلنا دأبنا ، خفقه بالدرة !
فقال : مالي ولك يا أمير المؤمنين ! قال : وبلك لسمتها ! قال : وسمتها فه ! قال :
حسبت أن تغالط القوم ويقال : هذا أملي ، فأحببت أن أطأني منك .
وقال : من أحب أن يصل أباه في قبره ، فيصل إخوان أبيه من بعده .
وقال : إنَّ أخوف ما أخاف أن يكون ، إعجاب المرء برأيه ، فمن قال : إني عالم
فهو جاهل ، ومن قال : إني في الجنة فهو في النار .

• • •

وخرج للحج فسمع عناء راكب يمضي وهو محرم ، فقيل : يا أمير المؤمنين ، ألا تنهاه
عن الفناء وهو محرم ؟ فقال : دعوه ، فإنَّ الفناء رادُّ الراكب .

• • •

وقال : يُشعر^(١) العلام لسبع ، ويحتم لأربع عشرة ، وينتهي طوله لإحدى وعشرين ،
ويكمل عقاه لثمان وعشرين ، ويصير رحلا كاملا لأربعين .

• • •

(١) أكثر النمل : أي سقطت أسنانه

وروى سعيد بن المسيب ، أن عمر لما صدر من الحج في الشهر الذي قتل فيه ، كرم
كؤمة من نطعاء ، وألقى عليها طرف ثوبه ، ثم استلقى عليها ؛ ورفع يديه إلى السماء ،
وقال : اللهم كبرت سني ، وضعت قوتي ، وانتشرت^(١) رغبتي ، فاقصصني إليك غير
مصيب ولا مفترط .

ثم قدم المدينة فخطب الناس ، فقال :

أيها الناس قد عرضت لكم لعرائس ، وسنت لكم السنن ، وتركتمكم على
الواضحة ، إلا أن تصلوا بالناس يمينا وشمالا . إياكم أن تنهبوا عن آية الرحمن ، وأن تقول
قائل : لا أحد ذلك حدا في كتاب الله ، فقد رأيت رسول الله رحم ورحما بعده ، ولولا
أن يقول الناس : إن أس الخطايا أحدث آية في كتاب الله لكانت ، ولقد كما
تفروها : « والشيخ والشيخة إذا زيدا فارجهما البتة » ؛ فما اسلم ذو الحجة حتى طعن .



ذفع إلى عمر صلته^(٢) عجله و شحان ، فقال : أي شحان ؛ الذي معي أم الذي
نحن فيه ؟ ثم جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : صعدوا للناس تاريخا
يرحمون إليه ، فقال قائل مبهمة : اكتبوا على تاريخ الروم ، فقبل : إنه يطول ، وإنه
مكتوب من عهد ذي القرنين . وقال قائل : بل اكتبوا على تاريخ العرمن ، فقبل أن
العرس^(٣) كلما قام ملك طرخوا ما كان قبله . فقال على عليه السلام : اكتبوا تاريخكم
مند حرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من دار الشرك إلى دار النعمة ، وهي دار المحرة ،
فقال عمر . نعم ما أشرت به ، فكتب للبحرة ، بعد معنى سنتين ونصف من خلافه عمر^(٤) .

(١) انتشرت الرعية : أي تفرقت في شتى النواحي .

(٢) الصلح : كتاب الإفراج بالمال . (٣) سكة من تاريخ الصبر .

(٤) الخبر في تاريخ الطبري ٢ . ٢٥٣ (احذية) ، ومعه « مجمع رأيهم على أن يطرواكم أنهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم مدينة ، فوجدوه عشر سنين ، فكتب التاريخ من هجرة النبي صلى الله
عليه وسلم » .

قال المؤرخون : إنَّ عمر أوَّل مَنْ سَنَّ قِيَامَ رَمَضَانَ فِي جَمَاعَةٍ ، وَكُتِبَ بِهِ إِلَى الْبِلَادَانِ ، وَأَقَامَ الْحَدَّ فِي الْحَرِّ ثَمَانِينَ ، وَأَحْرَقَ بَيْتَ رُوَيْشِدِ الثَّقَفِيِّ ، وَكَانَ نَذَاً ، وَأَقَامَ فِي عَمَلِهِ سَعَةً . وَأَوَّلَ مَنْ حَمَلَ الدُّرَّةَ وَأَذَبَ بِهَا . وَقَبْلَ بَعْدِهِ : كَانَتْ دِرَّةٌ عَمْرٍأَ أَهْيَبَ مِنْ سَيْفِ الْحِجَاجِ .

وهو أوَّلُ مَنْ فَتَحَ الْمَتَوَحَّ ، فَتَحَ الْعِرَاقَ كُلَّهُ : السَّوَادَ وَالْجَبَالَ وَأَذَرَ بَيْعَانَ ، وَكُورَ الْبَصْرَةِ ، وَكُورَ الْكُوفَةِ وَالْأَهْوَارَ ، وَفَارِسَ ، وَفَتَحَ الشَّامَ كُلَّهَا مَا خِلَا أَجْنَادِينَ ، فَلَهَا فُتِحَتْ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ . وَفَتَحَ كُورَ الْحَرِيرَةِ وَالْمَوْصِلَ وَمِصْرَ وَالْإِسْكَندَرِيَّةَ ، وَقَتْلَهُ أَبُو لَوْلُؤَةَ وَخَبَلَهُ عَلَى الرَّيِّ .

وهو أوَّلُ مَنْ مَسَحَ السَّوَادَ وَوَصَحَ الْحَرَاجَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَالْجَزْيَةَ عَلَى جِهَاتِهِمْ أَهْلَ الْقَدَمَةِ فِيمَا فَتَحَهُ مِنَ الْبِلَادَانِ ، وَطَمَعَ حَرَاجُ السَّوَادِ فِي أَيَّامِهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ طَلُوفَةً ، وَهِيَ وَزْنُ الدِّيَّارِ مِنَ الذَّهَبِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ مِصْرَ الْأَمْصَارَ ، وَكُورَ الْكُوفَةِ ^(١) ، وَمِصْرَ الْبَصْرَةَ ، وَأَرْطَا الْعَرَبَ ، وَأَوَّلُ مَنْ اسْتَقْضَى الْقَضَاةَ فِي الْأَمْصَارِ ، وَأَوَّلُ مَنْ دَوَّنَ الدَّوَاوِينَ ، وَكُتِبَ النَّاسُ عَلَى قِبَائِلِهِمْ ، وَفُرِضَ لِمَنْ الْأَعْطِيَّةُ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَاسَمَ الْعَمَّالَ وَشَاطَرَهُمْ أَمْوَالَهُمْ ، وَكَانَ يَسْتَمْلِقُ قَوْمًا وَيَدْعِي أَفْضَلَ مِنْهُمْ لِمِصْرِهِمْ بِاتِّمْلَاقٍ ، وَقَالَ : أُنْكَرُهُ أَنْ أُدْنَسَ هَؤُلَاءِ بِالْمَمْلُوقِ . وَهُوَ الَّذِي هَدَمَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَرَادَ فِيهِ ، وَأَدْخَلَ دَارَ الْعَبَّاسِ فِيمَا زَادَ . وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الْيَهُودَ مِنَ الْحِجَازِ ، وَأَجْلَاهُمْ عَنْ حَرِيرَةِ الْعَرَبِ إِلَى الشَّامِ . وَهُوَ الَّذِي فَتَحَ الْبَيْتَ الْمُقَدَّسَ ، وَحَصَرَ الْفَتْحَ بِنَفْسِهِ . وَهُوَ الَّذِي أَحْرَقَ الْقَامَ إِلَى مَوْضِعِهِ الْيَوْمَ ، وَكَانَ مُلَصَّقًا بِالْبَيْتِ . وَحِجَّ بِنَفْسِهِ خِلَافَتَهُ كُلَّهَا إِلَّا السَّنَةَ الْأُولَى ، فَإِنَّهُ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْحِجَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ . وَهُوَ

(١) فِي الْعَمَّالِ مِنَ الْفَضْلِ : يُقَالُ : كَوْنُوا عِدَا الرِّمْلِ ، أَيْ نَحْوِهِ ، وَمِنْهُ سَمِيَتْ الْكُوفَةُ .

الَّذِي جَاءَ بِالْخَصِي مِنَ الْعَقِيقِ فَبَسَطَهُ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ النَّاسُ إِذَا رَفَعُوا رُءُوسَهُمْ مِنَ السُّجُودِ نَعَسُوا أَيْدِيَهُمْ .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَدِمْتُ عَلَى عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْسَى بِثَمَانِ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ لِي : بِمَاذَا قَدِمْتَ ؟ قُلْتُ : بِثَمَانِ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : لَا تَأْتِيَ بِثَمَانِ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، لِحَمَلٍ يَحْتَبِي وَيَكْرَهُهَا ، فَقَالَ : وَيَحْكُهَا وَكَمْ ثَمَانِ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ؟ فَضَدَدْتُ مِائَةَ أَلْفٍ ، وَمِائَةَ أَلْفٍ حَتَّى بَلَغَتْ ثَمَانِيَةَ ، فَاسْتَعْظَمَ ذَلِكَ ، وَقَالَ : أَطِيبٌ هُوَ وَيَحْكُهَا ! قُلْتُ : نَعَمْ ، فَبَاتَ عَمْرُؤُ لَيْلَتِهِ تِلْكَ أَرْقَا حَتَّى إِذَا نَوَدَى لَصَلَاةِ الصُّبْحِ ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : مَا عَمَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةُ ، قَالَ : وَكَيْفَ أُنَامُ وَقَدْ حَاءَ النَّاسَ مَا لَمْ يَأْتِهِمْ مِثْلُهُ لَسَدَ قَامَ الْإِسْلَامَ ، فَطَلَّتِ الْمَرْأَةُ أَتْسَافًا دَاهِيَةً ، فَسَأَلَتْهُ ، فَقَالَ : مَا لَئِمَّ ، حَمَلَهُ أَبُو مَوْسَى رِفَالًا ، قَالَتْ : قَالَتْ لَكَ ؟ قَالَ : مَا يُوَثِّقُنِي لَوْ مِتَّ وَهَذَا الْمَالُ عِنْدِي لَمْ أَصْنَعْ فِي حَقِّهِ ! فَخَرَجَ بِصَلَّى الصُّبْحِ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ رَأَيْتُمْ فِي هَذَا الْمَالِ رَأْيًا فَاشِيرًا عَلَى ، رَأَيْتُمْ أَنَا أَكْبَاهُ النَّاسِ بِالْمُسْكِيَالِ ، قَالُوا : لَا يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : لَا تَلْ أُنْدَأُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَاحِلِهِ ، ثُمَّ الْأَقْرَبُ قَالُوا اقْرَبُ ، فَنَدَا بِبَنِي هَاشِمٍ ، ثُمَّ بِبَنِي الْمُطَّلِبِ ، ثُمَّ بِعَدِ شَمْسٍ وَبَنِيهِ ، ثُمَّ بِسَائِرِ بَطْنِ قُرَيْشٍ .

قَسَمَ عَمْرُؤُ مَرُوطًا بَيْنَ سَاءِ الْمَدِينَةِ فَبَقِيَ مِرْطًا^(١) جَيِّدٌ لَهُ فَقَالَ بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ : أَعْطِ هَذَا يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ - يَسُونَ أُمَّ كَلْثُومٍ إِنَّهُ عَلَى عَلَيْهِ

(١) المِرْطُ ، بِالْكَسْرِ : كِبَاءٌ مِنْ صُوفٍ أَوْ حَرَّ أَوْ كَتَانٍ يُوْتَرُّ بِهِ ، وَرِجَالُهُ عَلَيْهِ الْمَرْأَةُ عَلَى رَأْسِهَا وَتَلْعَقُ بِهِ .

السلام - فقال : أم سليط أحق به ، فإنها بمن بايع رسول الله صلى عليه وسلم ، وكانت تزف لنا^(١) [القرب]^(٢) يوم أحد .

وروى زيد بن أسلم عن أبيه ، قال : خرجت مع عمر إلى السوق ، فلحقته امرأة شابة ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، هلك زوجي ، وترك صنيّة صفارا لا ينضحون كراعاً^(٣) ، لا زرع لهم ولا ضرع ، وقد خشيت عليهم الصبيحة ، وأنا ابنه يخاف بن أسماء العماري ، وقد شهد أبي الحديبية . فوقف عمر معها ولم يمس ، وقال : مرحبا بنسب قريب ! ثم انصرف إلى مدير ظهر^(٤) كان مربوطا في الدار ، فحمل عليه عيرار بين ملاحها طعاما ، وحمل بيدها نفقة وثيابا ، ثم ناولها خطامه وقال : اتباديه فلن يصي هذا حتى يأتيكم الله بحبر . فقال له رجل : لقد أكرمت لها يا أمير المؤمنين ! فقال : نكثت أمك ! والله لسكائن أرى أبا هذه وأحاما ، وقد حاصرا حصنا ففتحه . فافترقنا ، ثم أصبحنا مستقرين سُهْمَانَا فيه .

وروى الأوزاعي أن طلحة تبع عمر ليلة ، فرآه دخل بيتا ثم خرج ، فلما أصبح ذهب طلحة إلى ذلك البيت ، فرأى امرأة عبياء مقعدة ، فقال لها : ما بال رجل أهلك الليلة ؟ قالت : إنه رجل يتعاهدني منذ كذا وكذا ، يأتيني بما يصلحني ، فقال طلحة : نكثت أمك يا طلحة ! تريد تنبش عمر !

خرج عمر إلى الشام ، حتى إذا كان ببعض الطريق ، لقيه أمراء الأخناد : أبو عبيدة ابن الجراح وأصحابه ، فأخبروه أن الرواء قد وقع بالشام ، فقال لابن عباس : ادع لي المهاجرين ، فدعاهم فسألهم ، فاختلقوا عليه ، فقال بعضهم : خرجت لأمر ولا نرى أن

(١) تزفر القرب : أي تحمل الثوب ملوثة بالماء لتسقى الناس . نهاية ابن الأثير واللسان - رفر .
(٢) من اللسان والتهاية .
(٣) ما ينضح كراعاً .
(٤) مدير ظهر : قوي .

ترجع عنه. وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوفاء ، فقال : ارتفعوا عني ، ثم قال لابن عباس : ادع لي الأنصار ، فدعاهم فاستشارهم ، فاختلفوا عليه اختلاف المهاجرين . فقال لابن عباس : ادع لي من كان من مشيخة قريش من مهاجرة النخ ، فدعاهم فقالوا بأجمعهم : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوفاء ، فنادى عمرو الناس : إني مضىبعٌ على ظهر ، فأصحبوا عليه ، فقال له أبو عبيدة بن الجراح : أفراراً من قدر الله تعالى ! فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نعم يمر من قدر الله إلى قدر الله ، أرايت لو كان لك إبلٌ مهبطت وادياً له عذونان ، إحداهما حصنة ، والأخرى حذنة ، أليس إن رعى الحصنة رعىها قدر الله ، وإن رعى الحذنة رعىها قدر الله ! لجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متصياً ببعض حاجته - فقال : إن عندي من هذا عفاً ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » . حمد عمر الله عز وجل وحل وانصرف إلى المدينة .



وروى ابن عباس ، قال : خرجت مع عمر إلى الشام في إحدى خرجاته ، فانفرد يوماً يسير على بعيره فالتفت ، فقال لي : يا ابن عباس ، أشكو إليك ابن عتاك ، سأله أن يخرج معي فلم يفعل ، ولم أزل أراه واحداً ، فبم نظرت موحدة ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، إنك أتعلم ، قال : أظنه لا يزال كثيراً لغوت الخلافة^(١) ، قلت : هو ذاك ، إنه يزعم أن رسول الله أراد الأمر له ، فقال : يا ابن عباس ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر له فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أمراً^(٢) ، وأراد

(٢) ١ : « ذلك » .

(١) كذا في ، وفي ٢ : « على الخلافة » .

الله غيره ، فنفذ مراد الله تعالى ولم ينفذ مرادُ رسوله ، أو كلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ! إنه أراد إسلام عمه ولم يرده الله فلم يعلم !

وقد روي معنى هذا الخبر بصير هذا اللفظ ، وهو قوله : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يذكره للأمر في مرضه ، فصدته عنه حوفاً من الفتنة ، وانتشار أمر الإسلام ، فلم رسول الله مافي عسى وأمسك ، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم .

وحدثني الحسين بن محمد السبيعي ، قال : قرأت على طهر كتاب ، أن عمر نزلت به نازلة ، فقام لها وقعد ، وترجح لها وتقطر^(١) ، وقال لمن عنده : معشر الخاضرين ، ما تقولون في هذا الأمر ؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين أنت المزع والمزع ، فنصب وقال : ﴿ بَآيَاتِهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾^(٢) ، ثم قال : أما والله إني وإياكم لنعلم أن محمدًا والخير بها ، قالوا : كأنك أردت أن أبي طالب ! قال : وأني بعدك بي عنه ، وهل طفعت حرّة مثله ! قالوا : فلو دعوت به يا أمير المؤمنين ! قال : هيهات ! إن هناك شئخاً من هاشم ، وثرة من علم ، ولحمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يؤتى ولا يأتي ، فامضوا إليه . فانقصوا نحوه^(٣) وأقصوا إليه ، فالفوه في حائط له ، عليه ثنان^(٤) ، وهو يتركل^(٥) على مسحاته ، ويقرأ : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾^(٦) إلى آخر السورة ، ودموعه تهيم على خديه ، فأجهش الناس لبكائه فبكوا ، ثم سكت وسكتوا ، فسأله عمر عن تلك الواقعة فأصدر جوابها ، فقال عمر : أما

(١) قطر : تخرج برأسه كبراً .

(٢) سورة الأحزاب ٧٠ .

(٣) انقصوا نحوه : اجتمعوا .

(٤) الثنان : سراويل صبر .

(٥) يتركل على مسحاته . أي يضربها برجله لتسبب في الأرض والمطاة . يعنى به الطريق عن الأرض أي يحرف .

(٦) سورة القيامة ٣٦ .

والله لقد أراذك الحق ، ولكن أبى قومك ، فقال : يا أبا حمص ، حمض عليك من هنا ومن هنا (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا) ^(١) ، موصع عمر إحدَى يديه على الأخرى ، وأطرق إلى الأرض ، وخرج كأنما يطر في رماد .

قلت : أجدر بهذا الخبر أن يكون موصوعا ، وفيه ما يدل على ذلك ، من كَوْنِ عمر أتى عليا يستعنيه في المسألة ، والأخبار كثيرة بأنه ما زال يدعو إلى منزله وإلى المسعد ، وأيضا فإن عليا لم يحاطب عمر مد ولى الخلافة بالكُنية ، وإنما كان يحاطبه بإسرة المؤمنين ، هكذا تنطق كتب الحديث وكتب السير والتواريخ كلها .

وأیضا فإن هذا الخبر لم يُسند إلى كتاب معين ، ولا إلى راوٍ معين ، بل ذكر ذلك أنه قرأه على طهر كتاب ، فيكون مجهولا ، واحديث المجهول غير الصحيح .

فأما ثناء عمر على أمير المؤمنين نصحيح غير مسكير ، وفي الروايات منه الكثير الواسع ، ولكنا أسكرنا هذا الخبر لصينه جاحظا ، وقد روى عن ابن عباس أيضا ، قال : دخلت على عمر يوما قال : يا ابن العباس ، لقد أسهف هذا الرجل نفسه في العادة حتى خلته ، رياء . قلت : من هو ؟ فقال : هذا ابن عمارك - يعني عليا - قلت : وما يقصد بالرياء أمير المؤمنين ؟ قال : يرشح نفسه بين الناس للخلافة ، قلت : وما يصع بالترشح ؟ قد رشحه لما رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرفت عنه . قال : إنه كان شائنا حدثنا ، فاستصعرت العرب سنة ، وقد كمل الآن ، ألم تعلم أن الله تعالى لم يبعث نبيا إلا بعد الأربعين ! قلت : يا أمير المؤمنين ، أما أهل الحجاز والشام فيهم ما زالوا يعدونه كاملا مد رفع الله منار الإسلام ، ولكنهم يعدونه محروما محدودا ، فقال : أما إنه سلبها بعد هيباط ومياط ^(٢) ، ثم تزل فيها قدمه ، ولا يقضى منها أربه ، ولتكون شاهدا ذلك يا عبد الله ، ثم يتبين الصبح لدى عينين ، وتعلم العرب صحة رأى المهاجرين الأولين

(١) سورة النبا ١٧ .

(٢) في اللسان ، عن العجاني . « الهباط : الإسهال ، والباط الإمداد » . وقال غيره : « الهباط : اجتماع الناس للصبح ، والمياط : العرق من ذلك » .

الَّذِينَ صَرَفُوا عَنْهُ بَادِي بَدًى ؛ فَلْيَنفِ أَرَاكُم بَعْدِي بِأَعْبَادِ اللَّهِ ! إِنَّ الْخِزْمَ مُحَرَّمَةٌ ، وَإِنَّ دُبْيَاكَ كَقَطْلِكَ ، كُلَّمَا هَمَّ بِهَازِدَادٍ عَنْكَ بَعْدًا .

نقلت هذا الخبر من " أمالي أبي حمزة محمد بن حبيب " ، رحمه الله .

ونقلت منه أيضاً ما رواه عن ابن عباس ، قال : تبرم عمر بالخلافة في آخر أيامه ، وخاف المعجز ، وضجر من سياسة الرعية ، فكان لا يزال يدعو الله بأن يتوفاه . فقال لكعب الأحبار يوماً وأنا عنده : إني قد أحببت أن أعهد إلى من يقوم بهذا الأمر ؛ وأظن وفاتي قد دنت ، فما تقول في علي ؟ أشر على رأيك وأذكرني ما تجدونه عندكم ، فإنكم ترعون أن أمرنا هذا مسطور في كتبكم ، فقال : أما من طريق الرأي فإنه لا يصلح ؛ إياه رجل متين الدين ، لا يعض على عورة ، ولا يحلم عن رثة ، ولا يعمل باجتهاد رأيه ، وليس هذا من سياسة الرعية في شيء ، وأما ما عهد في كتبنا فنحنه لا يلي الأمر ولا ولده ، وإن ولته كان هرج شديداً ، قال : كيف ذلك ؟ قال : لأنه أراق الدماء ، حرمه الله الملك . إن داود لما أُرلد أن ينفخ حيطان بيت المقدس أوحي الله إليه : إياك لا تبنيه ، لأنك أرقيت الدماء ، وإما يبيح سليمان . فقال عمر : أليس بحق أراقها ؟ قال كعب : وداود بحق أراقها يا أمير المؤمنين . قال : فإني من بنى الأمر تجدونه عندكم ؟ قال : تجدونه ينتقل بعد صاحب الشريعة والاثنين من أصحابه ، إلى أعدائه الذين حاربهم وحاربوه ، وحاربهم على الدين . فاسترح عمر مراراً ، وقال : أستمع يا ابن عباس ! أما والله لقد سمعت من رسول الله ما يشانه هذا ، سمعته يقول : « ليس بعدن بنو أمية على منبري » ، وقد أُرثهم في منامهم يرون عليه ترؤ القردة . وفيهم أنزل : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ (١)

(١) سورة الإسراء ٦٠ .

وقد روى الزبير بن سكار في "الموقفات" ما يناسب هذا عن المغيرة بن شعبه ، قال : قال لي عمر يوماً : يا معير ، هل أبصرت بهذه عينك الموراء منذ أصبحت ؟ قلت : لا ، قال : أما والله ليغورن شو أمة الإسلام كما أغورت عينك هذه ، ثم ليغميه حق لا يدرى أين يذهب ولا أين يحيى ؟ قلت : ثم ماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : ثم يبعث الله تعالى بعد مائة وأربعين أو بعد مائة وثلاثين وفداً كوفد الملوك ، طئنة رعيهم ، يوصلون إلى الإسلام بصره وشتاته . قلت : من هم يا أمير المؤمنين ؟ قال : حجارى وعراقى ، وقليل ما كان ، وقليل ما دام .



وروى أبو سكر الأسارى في "أماله" أن علياً عليه السلام حطس إلى عمر في المسجد ، وعنده ماس ، فلما قام عرض واحد بذكره ، ونسبه إلى التيه والمحب ، فقال عمر : حق لئله أن يقيه الله لو لا سيعة لما قام عمود الإسلام ، وهو بعد أقصى الأمة ودو سابقتها ودو شرقها ؛ فقال له ذلك القائل : فما جنسكم يا أمير المؤمنين عنه ؟ قال : كرهاء على حدثة السن وحنه بى عبد للطب .



قلت : سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبي ريد - وقد قرأت عليه هذه الأخبار - فقالت له : ما أراها إلا نكاد تكون دالة على المص ، ولكى استبعد أن يجتمع الصحابة على دفع نص رسول الله صلى الله عليه وآله على شعص بعينه ، كما استبعدنا من الصحابة على رد نصه على الكعبة وشهر رمضان وغيرها من معالم الدين ، فقال لى رحمه الله : أبيت إلا ميلاً إلى المعترة ! ثم قال : إن الصوم لم يكونوا يذهبون في الخلافة إلى أنها من معالم الدين ، وأنها جارية بحرى العبادات الشرعية ، كالصلاة والصوم ، ولكنهم كانوا يجرونها بحرى الأمور الدنيوية ، ويذهبون لهذا^(١) ، مثل تأمير الأمر وتدير الحروب وسياسة الرعية ، وما كانوا يباليون في أمثال هذا من محالة نصوصه صلى الله عليه وآله إزاراً أو المصلحة في

غيرها ؛ ألا تراه كيف نصر على إخراج أبي بكر وعمر في جيش أسامة ، ولم يخرجوا لمارأيا أن في مقامهما مصلحة للدولة^(١) والملة ، وحفظ للنيسة ، ودفعاً للفتنة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحالف وهو حي في أمثال ذلك فلا يسكره ، ولا يرى به بأساً . أليس تعلم أنه نزل في غزاة بدر منراً على أن يحارب قريشاً فيه ، تخالفته الأنصار وقالت له : ليس الرأي في نزولك هذا المنزل فاتركه ، وارتد منى كذا ، فرجع إلى آرائهم ! وهو الذي قال للأنصار عام قديم إلى المدينة : « لا تؤثروا العمل » ، فمضوا على قوله خالت مخنهم في تلك السنة ولم تشع حقى قال لهم : « أنتم أعرف بمرديا كم وأنا أعرف بأمرديكم » ، وهو الذي أحد الفداء من أسارى بدر ، خالفه عمر ، فرجع إلى تصويب رأيه بعد أن فالت الأمر وحلّص الأسرى وورحموا إلى مكة ، وهو الذي أراد أن يصلح الأحرار على ثلث تمر المدينة ليرجموا عنه ، فأبى سعد بن معاذ وسعد بن عباد مخالفاً ، فرجع إلى قولها ، وقد كان قال لأبي هريرة : اخرج فتادي الناس : « من قال لا إله إلا الله محمداً رسوله دخل الجنة » ، فخرج أبو هريرة فأخبر عمر بذلك فدفعه في صدره ، حتى وقع على الأرض ، فقال : لا تقلها ، فإنك إن تقلها يتكلموا عليها ، ويدعوا العمل ، فأخبر أبو هريرة رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك ، فقال : « لا تقلها وحلّهم يصمون » ، فرجع إلى قول عمر !

وقد أطلبت الصحابة إطباقاً واحداً على ترك كثير من النصوص لما رأوا المصلحة في ذلك ، كاستقاطهم سهم ذوى القربى وإسقاط سهم المؤلفة قلوبهم ، وهذان الأمران أدخل في باب الدين مسهما في باب الدنيا ، وقد عملوا . آرائهم أموراً لم يكن لها ذكر في الكتاب^(٢) والسنة ، كحذ الخمر فإثمهم عملوه احتياداً ، ولم يحذ رسول الله صلى الله عليه وآله شاربي الخمر ، وقد شرعها لجم العير في زمانه بعد روى آية التحريم ، ولقد كان أوصام في مرضه

(٢) ساقطة من : ب .

(١) كذا في : ب . ول ب : ه ه .

أن أخرجوا نصارى نجران من جزيرة العرب فلم يخرجوهم ، حتى مضى صدر من خلافة عمر ، وعملوا في أيام أبي بكر رأيهم في ذلك باستصلاحهم ، وهم الذين هدموا المسجد بالمدينة ، وحولوا المقام بمكة ، وعملوا بمقتضى ما يطلب في ظنهم من المصلحة ، ولم يقيموا مع موارد النصوص ، حتى اتحدى بهم الفقهاء من بعد ، ورجح كثير منهم القياس على النص ، حتى استعالت الشريعة ، وصار أصحاب القياس أصحاب شريعة جديدة .

قال النقيب : وأكثر ما يعملون بأرائهم ، فيما يخفى تخفى الولايات والتأثير والتدبير وتقرير قواعد الدولة ، وما كانوا يفعلون مع نصوص الرسول صلى الله عليه وآله وتدبيراته إذا رأوا المصلحة في خلافها ، كأنهم كانوا يقيسون نصوصه المطلقة بقيد غير مدكور لفظاً ، وكأنهم كانوا يعمونه من قرائن أحواله ، وتقدير ذلك القيد : « افعلوا هكذا إن رأيتوه مصلحة » .

قال : وأما مخالفتهم له فيما هو محض الشرع والدين ، وليس بمعلق بمور الدسا وتدبيراتها ، فإنه يقلُّ جداً ، نحو أن يقول : « الصوم شرط في الصلاة » ، فيجمعوا على رد ذلك ويجزوا الصلاة من غير وصوء ، أو يقول : « صوم شهر رمضان واجب » ، فيطبقوا على مخالفة ذلك ويعملوا شوالاً عوضاً عنه ، وبه بعد ، إذا تعرض لم فيه ، ولا يقدرون على إظهار مصلحة عثروا عليها حميت عنه صلى الله عليه وآله . والقوم الذين كانوا قد غلب على ظنهم أن العرب لا تطيع علياً عليه السلام ، فبعضها للحسد ، وبعضها للوثر والثر ، وبعضها لاستحداثهم سيئه ، وبعضها لاستطالته عليهم ورفعهم عنهم ، وبعضها كراهة اجتماع النبوة والخلافة في بيت واحد ، وبعضها للخوف من شدة وطأته وشدة في دين الله ، وبعضها خوفاً لرجاء تداول قتال العرب خلافة إذا لم يقتصر بها على بيت مخصوص عليه ، فيكون رجاء كل حي لو صولم إليها ناشأ مستمراً ، وبعضها لبعضه ، لبعضهم من قرابته

لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم المناقون من الناس يومئذ في قلبه زيغ من أمر النبوة - فأصق الكل إصفاً واحداً على حرف الأمر عنه لميره ، وقال رؤسائهم : إنا حنا الفتنة ، وعدنا أن العرب لا تطيعه ولا تتركه ، وتوثلوا عند أنفسهم النص ، ولا ينكر النص ، وقالوا : إنه النص ، ولكن الخاضر يرى ما لا يرى العائب ، والعائب قد يترك لأجل المصلحة الكلية ، وأعلمهم على ذلك مسارعة الأنصار إلى ادعائهم الأمر ، وإحراجهم سعد بن عباد من بيته وهو مريض ، لينصبوه خليفة - فيما رعموا - واحتلظ الناس ، وكثر الخط ، وكادت الفتنة أن تشتعل ^(١) نارها ، فوثب رؤساء المهاجرين ، فبايعوا أبا بكر وكانت فتنة - كما ظال قائلهم - ودعوا أنهم أطفئوا بها نائرة الأنصار ، فمن سكت من المسلمين ، وأعصى ولم يتمرض ، فقد كمام أمره ، ومن قال سرّاً أو جهراً : إن فلاناً قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذكره ، أو نعت عليه أو أشار إليه ، أسكوه في الجواب ! أتأبى بدرنا إلى عقد البيعة محافة العنة ، واحذروا عندكم سم من ماتتكم ، إنا أنه حديث السن أو تبعه العرب ، لأنه وترها وسعتك دماءها ، وأولاً لأنه صاحب رهي وبه ، أو كيف تجتمع النبوة والخلافة في مفرس واحد ! بل قد قلوا في العذر ما هو أقوى من هذا وأؤكد ، قالوا : أبو بكر أقوى على هذا الأمر منه ، لا سيما وعمر بمصلته وبساعده ، والعرب تحب أبا بكر وبمحبا لئنه ورقته ، وهو شيخ محرب للأمور لا يحسده أحد ، ولا يحقد عليه أحد ، ولا ينفسه أحد ، وليس بدى شرف في النسب فيستخ على الناس شرفه ، ولا بدى قربي من الرسول صلى الله عليه وآله عيلاً نقره ، ودع ذاك له ، فإنه فضل مستغنى عنه . قالوا : لو نصبنا علياً عليه السلام ، ارتد الناس عن الإسلام وعادت الجاهلية كما كانت ، فأينما أصلح في الدين ؟ الوقوف مع النص المفضى إلى ارتد الخلق ورجوعهم إلى الأصنام والجاهلية أم العمل بمقتضى الأصلح واستبقاء الإسلام واستدامة العمل بالدين ، وإن كان فيه محالة النص !

قال رحمه الله : وسكت الناس عن الإنكار ، فإنهم كانوا متفرقين ، فمنهم من هو مبغض شائئ لعلّ عليه السلام ، فلهي تمّ من صرف الأمر عنه هو قرّة عينه ، وبرّد فؤاده ، ومنهم ذو الدين وصحة اليقين ، إلّا أنه لما رأى كبراء الصحابة قد اتفقوا على صرف الأمر عنه ، طنّ أسهم إنما فعلوا ذلك لئلا يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله فيفسخ ما قد كانت سمعه من الحسن بن علي أمير المؤمنين عليه السلام ، لاسيّما ما رواه أبو بكر من قول النبي صلى الله عليه وآله : « الأئمة من قريش » ، فإن كثيرا من الناس توهموا أنه ناسخ للحسن الخاص ، وأن معنى الخبر أنكم مساحون في نصب إمام من قريش ، من أيّ بطون قريش كان ، فإنه يكون إماما .

وأكد أيضا في نفوسهم رفض الحسن الخاص ما سمعوه من قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما رأه المدون حسنا فهو عند الله حسنا » ، وقوله عليه السلام : « سألت الله ألا يجمع أمتي على صلال ، فأعطانيها » ، فأحسبتوا الغلظ ما قدى البيعة .

وقالوا : هؤلاء أعرف بأعراض رسول الله صلى الله عليه وآله من كل أحد ، فأمكنوا كفوا عن الإنكار ، ومنهم فرقة أخرى سوه الأكترون أعراب وحقارة ، وطعام أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ربيع ، هؤلاء مقلدون لا يسألون ولا يسكرون ، ولا يبحثون ، وهم مع أمرائهم وولاتهم ، لو أسقطوا عنهم الصلاة الواجبة لتركوها ، ولذلك أبحق الحسن ، وحفي ودرّس ، وقوت كلمة العاقدين لبيعة أبي بكر ، وقواها زيادة على ذلك اشتغال عليّ بن هاشم برسول الله صلى الله عليه وآله ، وإعلاق باهم عيهم ، وتحايثهم الناس يعملون ما شاءوا وأحبوا ، من غير مشاركة لهم فيما هم فيه ، لكنهم أرادوا استدراك ذلك بعد ما فات ، وهيبات القات لا رحمة له !

وأراد عليّ عليه السلام بعد ذلك قصّ البيعة ، فلم يتمّ له ذلك ، وكانت العرب لا ترى

الفدّر، ولا تنقض البيعة صواباً كانت أو خطأ، وقد قالت له الأنصار وغيرها: أيها الرجل، لو دعوتنا إلى نفسك قبل النيعة لما عدلنا بك أحداً، ولكننا قد بايسنا، فكيف السبيل إلى نقص البيعة بعد وقوعها!



قال النقيب: ومما حزننا على بيعة أبي بكر والعلول عن عليّ - مع ما كان يسمعه من الرسول صلى الله عليه وآله في أمره - أنه أسكر صراراً على الرسول صلى الله عليه وآله أموراً اعتمدها فلم يسكر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وإنكاره، بل رجع في كثير منها إليه، وأشار عليه بأمور كثيرة نزل القرآن فيها بموافقتها، فأطاعه ذلك في الإقدام على اعتماد كثير من الأمور التي كان يرى فيها للصلعة، ثم هي خلاف النص، وذلك نحو إنكاره عليه في الصلاة على عبد الله بن أبي السلف، وإنكاره فداء أسارى بدر، وإنكاره عليه تبرج ثيابه للناس، وإنكاره قصة الحديبية، وإنكاره أمان الناس لأبي سفيان ابن حرب، وإنكاره واقعة أبي حذيفة بن عنة، وإنكاره أمره بالنداء: «لا إله إلا الله دخل الجنة»، وإنكاره أمره بدخ المواعظ، وإنكاره على النساء بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله هينهن له دون رسول الله صلى الله عليه وآله... إلى غير ذلك من أمور كثيرة تشتمل عليها كتب الحديث، ولو لم يكن إلا إنكاره قول رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه: «اثقوني بدواة وكتفٍ أكتب لكم ما لا تضلون بهدي»، وقوله ما قال، وسكوت رسول الله صلى الله عليه وآله عنه. وأعجب الأشياء أنه قال ذلك اليوم: حسبنا كتاب الله، فافترق المحاصرون من المسلمين في الدار، فبعضهم، يقول: القول ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعضهم يقول: القول ما قال عمر، فقال رسول الله وقد كثرت الألفاظ، وعلت الأصوات: «قوموا عني فما ينفي لنتي أن يكون عنده هذا التنازع!» فهل بقي للسيرة مزية أو فضل إذا كان الاختلاف قد وقع بين القولين، وهل

المسلمون بينهما ، فرشح قوم هذا ، وقوم هذا ! فليس ذلك دالاً على أن القوم سؤوا بينه وبين عمر ، وجعلوا القولين مسألة خلاف ، ذهب كل فريق إلى نصرة واحد منهما ، كما يختلف اثنان من عرض المسلمين في بعض الأحكام ، فيصمر قوم هذا ويصمر ذلك آخرون ، فمن بلغت قوته ومهته إلى هذا ، كذب ينكر منه أنه يبيع أبا بكر لمصلحة رآها ، ويمدل عن النص ! ومن الذي كان ينكر عليه ذلك ، وهو في القول الذي قاله للرسول صلى الله عليه وآله في وجهه غير حائف من الأنصار ، ولا ينكر عليه أحد ، لا رسول الله صلى الله عليه وآله ولا غيره ، وهو أشد من مخالفة النص في الخلافة وأفظع وأشنع .

قال النقيب : على أن الرجل ما أهل أمره ، بل أعد أعذاراً وأحوبة ، وذلك لأنه قال لقوم عرضوا له بحديث النص : إن رسول الله صلى الله عليه وآله رجع عن ذلك بإقامته أماناً في الصلاة مقامه ، وأومهم أن ذلك حار محرم النص عليه بالخلافة ، وقال يوم البيعة : ألكم يطيب مما أن يتقدم قدمي قدميها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة ! ثم أكد ذلك بأن قال لأنى بكر ، وقد عرض عليه البيعة : أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللواط كلها ، شدتها ورعاها ، رصيتك لدينا ، أفلا نرسلك لدينا ! ثم عاب علياً بخطبته نت أبي جهل ، فأومهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله كرهه لذلك ووحد عليه ، وأرصاد عمرو بن العاص ، فروي حديثاً افتعله واحتلقه على رسول الله ، قال سمعته يقول : « إن آل أبي طالب ليسوا بأولياء ، إنما آل الله وصالح المؤمنين » ، فحملوا ذلك كالتامخ لقوله صلى الله عليه وآله : « من كنت مولاه فهذا مولاه » .

قلت للنقيب : أيصح التمسح في مثل هذا ؟ أليس هذا سجعاً للشئ ، قبل تقصى وقت عمله ؟ فقال : سيعان الله ! من أين تعرف العرب هذا ؟ وأتى لها أن تتصوره فصلاً عن أن تحكم بعدم جوارحه ! فهل يفهم حذائق الأصوليين هذه المسألة ، فضلاً عن تحقّي العرب هؤلاء قوم يتعبدون بأدنى شبهة ، ويستألون بأصناف^(١) سب ، وتنبئ الأمور معهم على ظواهر

النصوص وأوائل الأكلة ، وهم أصحاب جهل وتقليد ، لا أصحاب تفضيل ونظر !
 قال : ثم أكد حسن ظن الناس بهم أنهم أطلقوا أنفسهم عن الأموال ، وزهدوا في
 متاع الدنيا ورحررها ، وسلكوا مسلك الرخص لريتها ، والرغبة عنها والقناعة بالطفيف
 التمر منها ، وأكلوا الخشن ، ولبسوا الكرايس ، ولما ألفت إليهم الدنيا أفلاذ كبدها ،
 وفرقوا الأموال على الناس ، وقسموها بينهم ، ولم يتدبسوا منها بقليل ولا كثير ، فالت إليهم
 القلوب ، وأحتهم النفوس ، وحسنت فيهم الطنون ، وقال من كان في نفسه شبهة منهم ،
 أو وقفة في أمرهم : لو كان هؤلاء قد خالفوا الصن لوى أنفسهم لكانوا أهل الدنيا .
 ولظفر عليهم الميل إليها ، والرغبة فيها ، والاستئثار بها . وكيف يجتمعون على أنفسهم مخالفة
 الصن ، وترك لذات الدنيا ومآربها ، فيحسروا الدنيا والآخرة ! وهذا لا يفعله عاقل ، والقوم
 عقلاء . ذوو ألباب وآراء صحيحة ؛ فلم يبق عند أحكم حكث في أمرهم ولا ارتياب لعلمهم ،
 وثبتت العقائد على ولايتهم ، وتصوبت أفعالهم ، ونسوا لذة الرياسة ، وإن أصحاب الهم
 العالية لا يلتفون إلى المأكول والمشرب والمكسب ، وإنما يريدون الرياسة وتفوذ الأمر ، كما
 قال الشاعر :

وقد رعبت عن لذة المال أحرص ومارعت عن لذة النهى والأمر
 قال رحمه الله : والفرق بين الرجلين وبين الثالث ، ما أصيب به الثالث ، وقتل تلك
 القتلة ، وخلفه الناس وحسروه ، وضيقوا عليه ، بعد أن توالى إسكارهم أفضاله ، وجبهوم في
 وجهه وفسقوه ، وذلك لأنه استأثر هو وأهله بالأموال ، وانصسوا فيها واستبدوا بها ،
 فسكت طريقته وطريقتهم مخالفة لطريق الأولين ، فلم تصبر العرب على ذلك ، ولو كان
 عثمان سلك طريق عمر في الزهد ، وجمع الناس ، وردع الأمراء والولاة عن الأموال ، وتجنب
 استعمال أهل بيته ، ووفر أعراض الدنيا وملاذها وشهواتها على الناس ، زاهداً فيها ، تاركا
 لها ، معرضاً عنها ، لما ضره شيء قط ، ولا أسكر عليه أحد قط ، ولو حوّل الصلاة من

الكعبة إلى بيت المقدس ، بل لو أسقط عن الناس إحدى الصلوات الخمس ، واتنعم منهم بربع ، وذلك لأنهم الناس معروفة إلى الدنيا والأموال ، فإذا وجدها سكتوا ، وإذا فقدوها هاجوا واضطربوا ، ألت نرى رسول الله صلى الله عليه وآله كيف قسم غنائم هوازن على المقاتلين ، وعلى أعدائه الذين يستولون قتله وموته ، وزوال دولته ، فدأ أعطاهم أحثوه ، إنا كلهم أو أكثرهم ، ومن لم يحبهم منهم بقلبه جامله وداراه ، وكف عن إظهار عداوته ، والإجلاب عليه ولو أن عليا صامح أصحابه بالمال ، وأعطاه الوجوه والرؤساء ، لكان أمره إلى الانطعام والاطراد أقرب ، ولكه رفض جات التدبير الدنيوى ، وآثر لزوم الدين ، وتمسك بأحكام الشريعة ، والمثلك أمر آخر غير الدين ، فاضطرب عليه أصحابه ، وهرب كثير منهم إلى عذره .

وقد ذكرت في هذا الفصل خلاصة ما جمعت عن النسيب أبى حنيفة ، ولم يكن إمامي المذهب ، ولا كان يبرأ من السلم ، ولا يرضى قول المسرفين من الشيعة ، ولكه كلام أجراه على لسانه البحث والجدل بيني وبينه ، على أن العلوى لو كان كراميا ، لا بد أن يكون عنده نوع من تعصب وميل على الصعابة وإن قل .

ولرجع إلى ذكر كلام عمر من خطبته وسيرته .
كتب عمر إلى أبى موسى ، لما استعمله قاصيا ، وبثته إلى العراق :
من عبد الله أمير المؤمنين عمر إلى عبد الله بن قيس . سلام عليك ، أما بعد ، فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلى إليك ، فإنه لا ينفع تسكلم بحق لا نقاد له . آمس^(١) بين الناس في وجهك وعليك ومجلىك ، حق لا يطمع شريف في

(١) قال أبو العباس المرد : « قوله : آمس بين الناس في وجهك وعليك ومجلىك ؛ أى هو بينهم . وتقديره : احمل بعضهم أسوة بس . »

حيفك^(١)، ولا يئأس ضعيف من عدلِكَ . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر،
والفلاح جائر بين المسلمين ، إلا صلحاً أحان حراماً ، أو حرماً حلالاً . لا يعتصك قضاء
قضيت اليوم فراحت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك ، أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق
قديم ، ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل . المهمّ القوم فيما تلحّج^(٢) في صدرك
مما ليس في كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الأشياء والأمثال ، وقس الأمور عند ذلك ، واعمد
إلى أقربها إلى الله عز وجل ، وأشبهها بالحق ، وحمل لمن ادعى حقاً غائباً أو بية أمداً
ينتهي إليه ، فإن أحضر بينته أحدث له حقه ، وإلا استحلّت عليه القصبة ، فإنه أسنى للشك
وأجلى للعي . السلوك عدولٌ بعضهم على بعض ، إلا مخلوقاً في حدّ أو محرماً عليه شهادة
زور ، أو ظليلاً^(٣) في ولاء أو سب ، وبالله عز وجل تولى منكم الرائر ، وذرّ أعينكم^(٤)
بالبينات والأيمان الشّهات . إياك والصق^(٥) والصّحير^(٦) والتأديّ بالخصوم ، والتسكّر عند
الخصومات ، فإن الحق في موطن الحق يعظم الله به الأجر ، ويحسن به الذّخر ، فمن
صحت نيته ، وأقلّ على نفسه كغناه الله تعالىته وبين الناس ، ومن تخلف للناس بما يعلم
الله عز وجل منه أنه ليس من نفسه ، شانه الله ، فاطك شواب الله في عاجل رزقه ،
وخزائن رحمته ! والسلام .

ذكر هذه الرسالة أبو العباس محمد بن يزيد اللبّزد في كتاب " الكامل " (٧) .
وأطراها ، قال : إنه جمع فيها أجمل الأحكام ، واحتصرها بأحود الكلام ، وجعل الناس
عده يتخذونه ، إماماً فلا يجد محقّ عنها ممدّلاً ، ولا ظالم عن حدودها محيصاً .

• • •

- | | |
|--|---------------------------|
| (١) حيفك : ميلك . | (٢) تلحّج : تردد . |
| (٣) الظليين : المهم . | (٤) ذرّاً بالينات : دفع . |
| (٥) الصق : ضيق الصدر وثقله . | |
| (٦) الكامل ١ : ١٢ - ١٤ (طبعة نهضة مصر) . | |

وكتب عمرُ إلى عماله يُوصيهم ، فدل في جملة الكتاب : ارتدُّوا ، وانزروا ، وانتلوا
والقوا الخفاف والسرَّاء وبلات والقوا الركب^(١) ، وارموا مزوا على الحيل ، واخشوشنوا ، وعليكم
بالمعدية - أو قال : وتمعدوا - وارموا لأعراس ، وعلِّموا فتيانكم العوتم والرماية ، وذروا
التنعم وزى المعجم ، وإياكم والحريز ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عنه ، وقال :
« لا تلبسوا من الحرير إلا ما كان هكذا » ، وأشار بأصبعه .

وكتب إلى بعض عماله : إن أسعد الرعاة من سعدت به رعيتته ، وإن أشق الرعاة من
شقيت به رعيتته ، فإياك أن تربع فتربع رعيتك ، فيكون مثلك عند الله مثل الهيمة رأت
الحضرة في الأرض فرعت فيها نيفن السمن ، وحذمتها في سمنها .

وكتب إلى أبي موسى ~~وعمه البصرة~~ : بطنى أمك تأذن للناس الجماء^(٢) الصعير ، فإذا
جاءك كتابي هذا فأذن لأهل الشرف وأهل القرآن والتوى والدين ، فإذا أهدوا بحالهم
فأذن للعامة ، ولا تؤخر عمل اليوم لغد ، فتدلك عليك الأعمال فتضيع ، وإياك واتباع
الموى ، فإن للناس أهواء متبعة ، وديار مؤثرة ، وصعائن محمولة . وحاسب نفسك في الرخاء
قبل حساب الشدة ، فإنه من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة كان مرجعه إلى
الرضا والقبطة ، ومن أهله حياته ، وشعته أهواؤه ، عاد أمره إلى الندامة والخسرة ،
إنه لا يقيم أمر الله في الناس إلا خفيف العدة^(٣) بعيد القرارة لا يحنق على حرّة ،
ولا يطلع الناس منه على عورة ، ولا يحاف في الحق لومة لائم . الزم أربع خصال يسلم لك دينك
وتحيط بأفصل حطتك : إذا حصر الخصب فعليك بالتيارات العلول والأيمان القاطعة ، ثم ائذن

(١) الركب : جمع ركاب ؛ وهو السرج كالمرز للرجل .

(٢) أى الذى يحكم أمره .

(٣) أى القوم محصبين .

للضعيف حتى بسبط لسانه ، ويمتري فيه ، وتعاهد القريب ، فإنه إذا طال حبسه ترك حاجته وانصرف إلى أهله ، واحرص على الصلح ما لم ين لك القضاء ، والسلام عليك .

• • •

وكان رجل من الأنصار لا يزال يهدى لعمر فخذ حزور إلى أن جاء ذات يوم مع حصم له ، فجعل في أثناء الكلام يقول : يا أمير المؤمنين ، أفصل القضاء بيني وبينه كما يفصل فخذ الحزور .

قال عمر : فما زال يرددها حتى حمت على نفسي . فقصيت عليه ، وكتبت إلى عمالي : أما بعد فإنكم والهدايا ، فإنها من الرشا . ثم لم أزل له هدية فيما بعد ، ولا لعيره .

• • •

وكان عمر يقول : اكتبوا عن الراشدين في الدنيا ما يقولون ، فإن الله عز وجل وكل بهم ملائكة ، وأصم أيديهم على أمورهم ، فلا يتكلمون إلا بما هيأه الله لهم .

• • •

وروى أبو جعفر الطبري في تاريخه ، قال : كان عمر يقول : جردوا القرآن ولا تفسروه ، وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما شربكم .

وقال أبو جعفر : وكان عمر إذا أراد أن يهيئ الناس عن شيء جمع أهله ، فقال : إني عسيت أن أنهي الناس عن كذا ، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم ، وأقسم بالله لا أحدٌ أحدٌ مكم جعل إلا أضمت عليه العقوبة .

قال أبو جعفر : وكان عمر شديداً على أهل الرتب ، وفي حق الله ، صلياً حتى يستخرجه ، ولينا سهلاً فيما يلزمه حتى يؤديه ، وبالضعيف رحباً .

• • •

وروى زيد بن أسلم ، عن أبيه أن مرأ من المسلمين كلّموا عبد الرحمن بن عوف ، فقالوا : كلّم لنا عمر بن الخطاب ، فقد والله أحشأنا حتى لا نستطيع أن نديم إليه أنصارنا ، فذكر عبد الرحمن له ذلك ، فقال : أو قد قالوا ذلك ! والله لقد لست لهم حتى تحوّفت الله في أمرهم ، وقد تشدّدت عليهم حتى حمت الله في أمرهم ، وأنا والله أشدّ فرقا لله منهم لي !

وروى جابر بن عبد الله ، قال : قال رجل لعمر : يا خليفة الله ، قال : حالف الله بك ، قال : حملني الله فداك ! قال : إذن يهيبك الله .

(***)

وروى أبو جعفر ، قال : استشار عماري أمر المال كيف يقسمه ، فقال له علي بن أبي طالب عليه السلام : تقسم كل سنة ما اجتمع معك من المال ، ولا تمسك منه شيئا ، وقال عثمان ابن عفان : أرى مالا كثيرا يسع الناس ، وإن لم يخصّوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ حشيت أن ينتشر الأمر . فقال الوليد بن هشام بن المعيرة : يا أمير المؤمنين ، قد حثت الشام فرأيت ملوكها قد دبووا دبوأنا ، وحشدوا حنودا ، وفرصوا لهم أرزاقا ، فأخذ بقوله ؛ فدعا عقیل بن أبي طالب ومحرمة بن نوفل وخير بن مطعم وكانوا سباب قريش وقال : اكتبوا الناس على منازلهم ، فكتبوا فبدوا بنى هاشم ، ثم أنصوهم أبان بكر وقومه ، ثم عمر وقومه ، على ترتيب الخلافة ؛ فلما نظر إليه قال : وددت أنه كان هكذا ، لكن أبدا بقراءة النبي صلى الله عليه وآله ، الأقرب فالأقرب ، حتى تضعوا أمر حيث وصيه الله .

قال أبو جعفر : جاءت بسوعدى إلى عمر ، فقالوا له : يا عمر ، أنت خليفة رسول الله

صلى الله عليه وسلم . قال : أو حليمة أبي بكر ، وأبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : وذلك ، فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم ! فقال : نخرج يا بني عدي ! أردتم الأكل على ظهري ، وأن أذهب حساني لكم ! لا والله ولو كتبتم آخر الناس ، إن لي صاحبين سلكا طريقا ، فإني أنا خالفتهما حولي ، والله ما أدركنا الفضل في الدنيا إلا بمحمد ، ولا نرحو ما نرحو من الآخرة ونواسها إلا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فهو شرفا ، وقومه أشرف العرب ثم الأقرب منه فالأقرب ، وما بيننا وبين أن نلقاه ثم لا نفارقه إلى آدم إلا آباء يسيرة ، والله لئن جاءت الأعاصير بالأعمال ، وحشا نصير عمل فلهم أولى بمحمد صلى الله عليه وآله من يوم القيامة . لا يظنون رحلا إلى قرابه ، وليميل بما عدا الله ؛ فإني من قصر به عمله لم يسرع به نسبه .



وروى السائب بن يزيد ، قال : سمعت عمر بن الخطاب ، يقول : والله ما من أحد إلا له في هذا المال حق أعطيه أو منعه ، وما أحد أحق به من أحد إلا عبد مملوك ، وما أنا فيه إلا كأحدكم ، ولكما على مازلنا من كتاب الله ، وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالرجل وملاؤه في الإسلام ، والرجل وعساؤه ، والرجل وساحته ، والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجمل صنعاء ، حظه من المال وهو مكانه .



وروى باقر مولى آل الزبير ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : رحم الله ابن حنمة^(١) ، لقد رأيتُه عام الرمادة ، وإنه ليحيم على ظهره حرايين ، وعسكة زيت في يده ، وإنه ليمتقب^(٢) هو وأسلم ، فظار آني قال : من أين يا أبا هريرة ؟ قلت : قريبا ، فأخذت

(١) حنمة ، جتمع الماء ، أم عمر بن الخطاب ، وميت عبد الرحمن بن الحارث (الخامس) .

(٢) يمتقب : أي يركب عدا عدا وعدا عدا ، واسطة : النوبة .

أعقبه ، فحملناه حتى انتهينا إلى ضرار فإذا صيرم^(١) من نحو عشرين بيتاً من محارب ، فقال عمر : ما أقدمكم ؟ قالوا : الجهد ، وأحرقوا لنا جلد الميتة مشويًا كانوا يأكلونه ، ورمّة العظام مسحوقة كانوا يستمونها ، فرأيت عمر طرح رداءه ثم برز ، فما زال يطرح لهم حتى شبعوا ، وأرسل أسلم إلى المدينة ، فجاء بأربعة ثملهم عليها ، ثم أنزلهم الجحانة ، ثم كسام ، وكان يختلف إليهم وإلى غيرهم حتى كفى الله ذلك .

وروى راشد بن سعد أن عمر أتى بجال ، فعمل يقسم بين الناس ، فازدحموا عليه ، فاقبل سعد بن أبي وقاص يراحم الناس حتى حُصّ إليه ، فعلاه عمر بالذرة ، وقال : إنك أقلت ، لا تهان سلطان الله في الأرض ، فحبت بنت أعلك أن سلطان الله لا يهابك .

وقالت الشعاء امه عند الله - ورأت فتياً من النساك يقتصدون في المشي ، ويتكلمون رويداً : ما هؤلاء ؟ قيل : نساك ، فقالت كان عمر من الخطاب هو الناسك حقاً ، وكان إذا تكلم أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا صرب أوجع .

أعان عمر رجلاً على تحل شيء ، فدعاه الرجل ، وقال : نعمك سوك يا أمير المؤمنين ! قال : بل أغنائني الله عنهم .

ومن كلامه : القوة في العمل ألا يؤخر عمل اليوم لغد ، والأمانة ألا تخالف سريرتك علايتك ، والتقوى بالتوقي ، ومن يتق الله يقي به .

(١) الصرم ، بالكسر : الجحانة .

وقال عمر : كنا نعد للفرس بخيلاً ؛ إنما كانت اللواصة .

أتى رطل إلى عمر ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، كثرت الغيالات ، واشتدت اللؤونة ، فزدنا في أعطياتنا^(١) ، فقال : فماتوها ! جهم بين الضرائر ، واتحدتم الخدم من مال الله أموالوددت أني وإياكم في سفينتين في لجة البحر ، تذهب بنا شرقاً وغرباً ، فلن يصحز الناس أن يولوا رجلاً منهم ، فإن استقام اتبعوه ، وإن جف قتلوه . قتال طلحة : وما عليك لو قلت : وإن اعوج عزلوه ! فقال : القتل أروع لمن بعده ، احذروا فتى قريش ، فإنه كريمها الذي لا ينأى إلا على الرضا ، ويضعك عند المصعب ، ويتناول ما فوقه من تحت .

وكان يقول في آخر أيامه عند تربيته بالأمر وصحبه من الرعية : اللهم ملؤني وملئهم ، وأحسب من عسى وأحسوا مني ؛ ولا أدرى بأيام يكون اللؤت^(٢) ، وقد أعلم أن لم قتيلاً منهم فاقبضني إليك .

وذكر قوم من الصحابة لمر رحلاً ، قالوا : فاصل لا يعرف الشر ، قال : ذلك أوقع له فيه .

وروى الطبري في التاريخ ، أن عمر استعمل عتبة بن أبي سفيان على حمير^(٣) فقدم منه بمال ، فقال له : ما هذا يا عتبة ؟ قال : مال حרכת به حمير وتجررت فيه ، قال : ومالك تخرج المال منك إلى هذا الوجه ؟ فأخذ المال من فضيرة في بيت المال ، فلما قام عثمان قال لأبي سفيان :

(٢) اللؤت : النقص .

(١) ب : إعطائنا .

(٣) الطبري : « على كنانة » .

إِنَّكَ إِنْ طَلَبْتَ مَا أَخَذَهُ عَمْرٌ مِنْ عُتْبَةَ رَدَدْتُهُ عَلَيْكَ^(١) ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سَفْيَانَ : إِيَّاكَ وَمَا حَمَمْتَ بِهِ ، إِنَّكَ إِنْ حَالَمْتَ صَاحِبَكَ قَدْ لَكِ سَاءَ رَأْيُ النَّاسِ فِيكَ . إِيَّاكَ أَنْ تَرَدَّ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكَ فِيرَدَّ عَلَيْكَ مِنْ بَعْدِكَ^(٢) .

وَرَوَى الطَّبْرِيُّ أَيْضًا أَنَّ هُنْدًا بِنْتَ عَتْبَةَ مِنْ رِبِيعَةَ قَامَتْ إِلَى عَمْرٍ ، فَسَأَلَتْهُ أَنْ يُقْرِضَهَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ تَتَجَرَّ فِيهَا وَتَصْنَعُهَا . فَعَرَّضَتْ بِهَا إِلَى بِلَادِ كَلْبٍ ، فَبَاعَتْ وَاشْتَرَتْ ، وَلَمَّا أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ قَدْ أَتَى مُعَاوِيَةَ بِسِتْمِيعِهِ وَمَعَهُ أَمَةُ عَمْرٍو مِنْ أَبِي سَفْيَانَ ، فَعَدَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ بِلَادِ كَلْبٍ - وَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ قَدْ طَلَّقَهَا - فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : مَا أَقْدَمَكَ يَا أُمِّهِ ؟ قَالَتْ : النَّظَرُ إِلَيْكَ يَا نَفِيسَ عَمْرٍو ، وَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَمْلِكَ اللَّهُ ، وَقَدْ أَتَاكَ أَبُوكَ عُشَيْتَ أَنْ تُخْرَجَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَأَهْلُ ذَلِكَ هَرَجٌ وَلَسَكَ لَا يَعْلَمُ عَمْرٌ مِنْ أَبِي أَعْطَيْتَهُ ، فَيُؤْتِيكَ وَيُؤْتِيكَ ، وَلَا تَسْتَقْبِلُهَا أَمْدًا . فَسَكَتَ مُعَاوِيَةُ إِلَى آيَةٍ وَأَخِيهِ مَائَةَ دِينَارٍ ، وَكَسَاهَا وَحَلَاهَا . فَسَخَطَهَا عَمْرٌ ، فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ : لَا تَسْخَطْهَا ، إِنَّهَا عَطَاءٌ لَمْ تَتَبِعْ عَنْهُ هَدْيٌ ، وَرَجَعَ هُوَ وَآلُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَسَأَلَهُ عَمْرٌ : كَيْفَ أَجَارَكَ مُعَاوِيَةُ ؟ فَقَالَ : تَمَاتَ دِينَارٌ ، فَسَكَتَ عَمْرٌ^(٣) .

وَرَوَى الْأَحْنَفُ ، قَالَ : أَتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ يُقْرِضُ النَّاسَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَقْرِضْ لِي ، فَلَمْ يَلْتَمِمْ إِلَيْهِ ، فَتَعَبَهُ ، فَقَالَ عَمْرٌ : حَسْبُ^(٤) ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - وَكَانَ أَبُوهُ اسْتَشْهِدَ يَوْمَ خُنَيْنٍ - فَقَالَ : يَا زَوْفَا ، أَعْطَاهُ مِائَةً ، فَأَعْطَاهُ مِائَةً فَلَمْ يَقْبَلْهَا ، وَرَجَعَ إِلَى عَمْرٍو فَأَحْبَرَهُ فَقَالَ : يَا زَوْفَا ، أَعْطَاهُ

(٢) تاريخ الطبري ١ : ٢٧٦٦ (طبع أوروبا)

(٤) حَسْبُ : كَلِمَةٌ يَطْلُقُهَا الْإِنْسَانُ إِذَا أَصَابَهُ مَا أَمْسَهُ

(١) النضري : « عليه »

(٣) تاريخ الطبري ١ : ٢٧٦٧

ستمائة حلة ، فأعطاه ، فلبس الحلة التي كساه عمر ، ورمى ما كان عليه ، فقال له : خذ ثيابك هذه ، فتسكن في مِهْنَةِ أَهْلِكَ ، وهذه لزينتك .

وروى إياس بن سمة ، عن أبيه ، قال : مرَّ عمر في السُّوق ، ومعه الدُّرَّة ، فحَفَقَنِي حَقَقَةً ، فأصاب طرف نوبي ، وقال : أَمِطُ^(١) عن الصُّرْبِ ، فَمَا كَانَ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ لِقَائِي ، فقال : يأسمة ، أتريد الخُحَّ ؟ قلت : نعم ، فأخذ بيدي وانطلق بي إلى منزله ، فأعطاني ستمائة دِرْهَم ، وقال : استعين بها على حَقِّكَ ، واعلم أنها بالخفَّة التي حَفَقْتُكَ ، قلت : يا أمير المؤمنين ، ماذا كرتها ، قال : وأنا ما سيتها .

وحطَّ عمرُ فقال : أَيُّهَا الرَّعِيَّةُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا ، النَّصِيحَةُ بِالْغَيْبِ ، وَالْعَاوَةُ عَلَى الْخَيْرِ . إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ حِلْمِ أَحَدٍ إِلَى اللَّهِ وَلَا أُنْعَمُ سَعَطًا مِنْ حِلْمِ إِمَامٍ وَرِفْقَةٍ ، وَلَيْسَ مِنْ جَهْلِ أَنْصَحٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ جَهْلِ إِمَامٍ وَحَرَفَةٍ^(٢) ؛ أَيُّهَا الرَّعِيَّةُ إِنَّهُ مَنْ يَأْخُذَ بِالْعَافِيَةِ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانِيَّةٍ فَتَوَّهَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ مِنْ فَوْقِهِ .

وروى الرَّبِيعُ بْنُ رِيَادٍ ، قَالَ : قَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ تَائِلًا مِنَ الْبَحْرَيْنِ ، فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْعِشَاءَ ثُمَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا قَدِمْتَ بِهِ ؟ قُلْتُ : خَمْسَمِائَةِ أَلْفٍ ، قَالَ : وَيْحَكَ ! إِمَّا قَدِمْتَ بِخَمْسِينَ أَلْفًا ، قُلْتُ : بَلْ خَمْسَمِائَةِ أَلْفٍ ، قَالَ : كَمْ يَكُونُ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : مِائَةُ أَلْفٍ وَمِائَةُ أَلْفٍ وَمِائَةُ أَلْفٍ ، حَتَّى عَدَدْتُ حَمْسًا ، فَقَالَ : إِلَيْكَ بَاعَسُ ؛ ارْجِعْ إِلَى يَتِّكَ ، ثُمَّ اغْدُ عَلَى ، فَعَدَوْتُ عَلَيْهِ . فَقَالَ : مَا حُثْتُ بِهِ ؟ قَالَتْ : مَا قُلْتُهُ لَكَ ، قَالَ : كَمْ هُوَ ؟ قُلْتُ : خَمْسَمِائَةِ أَلْفٍ ، قَالَ : أَطِيبَ هُوَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، لَا أَعْلَمُ إِلَّا ذَلِكَ ، فَاسْتَشَارَ الصَّحَابَةَ فِيهِ ، فَاشِيرَ عَلَيْهِ بِنَصَبِ الدِّيَّانِ فَنَصَبَهُ ، وَقَسَمَ الْمَالَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَفَضَّلْتُ عَنْدهُ قَضْلَةً ،

(٢) الحرف : فساد العقل . ول : ١ : « وخرقه » .

(١) أَمِط : تَج .

فأصبح يجمع المهاجرين والأنصار ، وفيهم علي بن أبي طالب ، وقال للناس : ما ترون في فضل فصل عدنا من هذا المال ؟ فقال الناس : يا أمير المؤمنين ؛ إننا شغلناك بولاية أمورنا عن أهلك وتجارتك وصحتك ، فهو لك . فالتفت إلى علي فقال : ما تقول أنت ؟ قال : قد أشاروا عليك ، قال : فصل أنت ، فقال له : لم تحملُ بيمينك خطاً ؟ فلم يفهم عمر قوله ، فقال : لتخرجن مما قلت ، قال : أجل والله ، لأخرجن منه ، آنذكر حين بعثك رسول الله صلى الله عليه وآله ساعياً^(١) ، فأنيت المباس بن عبد المطلب ، فمنعت صدقته ، فكان بينكما شيء ، فجتما إلى وقتنا : اطلق معاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فجتنا إليه ، فوجدناه خائراً^(٢) فرحنا ، ثم عدونا عليه ، فوجدناه طيب النفس ، فأخبرته بالذي صنع العباس ، فقال لك : يا عمر ، أما علمت أن عم الرجل صينوا به ؟ فذكر ما له مارأينا ، من خنوره في اليوم الأول ، وطيب بئمه في اليوم الثاني ، فقال : إنكم أنيتم في اليوم الأول ، وقد بقى عدي من مال الصدقة ديناران ، فكان مارأيت من خنوري لذلك ، وأنيتم في اليوم الثاني وقد وختهما ، فذلك الذي رأيتم من طيب نفسي . أشير عليك ألا تأخذ من هذا الفضل شيئاً ، وأن تفضّه على فقراء المسلمين ، فقال : صدقت والله لأشكرن لك الأولى والأخيرة .

وروى أبو سعيد الخدري قال : حجاجنا مع عمر أول حجة حجتها في خلافته ، فلما دخل المسجد الحرام ، دنا من الحجر الأسود فقبله واستلمه ، وقال : إني لأعلم أنك حَجَر لا تضر ولا تنفع ، ولو لا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك واستلمك ، لما قبلتك ولا استلمتك ، فقال له علي : بلى يا أمير المؤمنين ، إنه ليضر وينفع ، ولو علمت تأويل ذلك من كتاب الله لعلمت أن الذي أقول لك كما أقول قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَحَدَرَبُكَ مِنْ نَبِيِّ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ ﴾

(١) الساعى : من يجمع الركاة .
(٢) خائراً : طاراً .

يَرْبُّكُمْ : قَالُوا بَلَىٰ ﴿١﴾ . فَلَمَّا أَشْهَدُوا أَنَّهُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنَّهُم السَّيِّدُ ، كَتَبَ مِيثَاقَهُمْ فِي رَقٍّ ، ثُمَّ أَقْبَصَهُ هَذَا الْحَجَرُ ، وَإِنْ لَهُ لَمَعِينٌ وَلِسَانٌ وَشَفَتَيْنِ ، تَشْهَدُ لِمَنْ وَافَاهُ بِالْمُوَافَاةِ ، فَهُوَ أَمِينٌ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذَا السَّكَّانِ . قَالَ عَمْرٌ : لَا أَبْقَانِي اللَّهُ بِأَرْضٍ لَسْتُ بِهَا بِأَبَا الْحَسَنِ .

قلت : قد وجدنا في الآثار والأحجار في سيرة عمر أشياء تناسب قوله في هذا الحجر الأسود ، كما أمرَ بقطع الشجرة التي بويج رسول الله صلى الله عليه وآله تحتها بيعة الرصوان في عُمرَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، لِأَنَّ لِلْمَدِينِ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا يأتونها ، فَيَقِيلُونَ تحتها ، فَلَمَّا تَكَرَّرَ ذَلِكَ أَوْعَدَهُمْ عَمْرٌ فِيهَا ، ثُمَّ أَسْرَبَهَا فَطَعَتْ .

وروى للبخيرة بن سويد ، قال : خَرَجْنَا مَعَ عَمْرٍ فِي سَجَّةٍ حَبْجَا ، فَقَرَأَ بِنَا فِي النَّجْرِ : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْبَيْلِ ﴾ ﴿٢﴾ ، وَ﴿ الْإِبِلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ ﴿٣﴾ ، فَلَمَّا فَرَغَ رَأَى النَّاسَ يِيَادِرُونَ إِلَى مَسْجِدِهِ هَاكِ ، فَقَالَ : مَا لَهُمْ ؟ قَالُوا : مَسَعَدٌ صَلَّى فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسُ يِيَادِرُونَ إِلَيْهِ ، فَتَنَادَاهُمْ فَقَالَ : هَكَذَا هَلَاكُ أَهْلِ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ ! اتَّخَذُوا آثَارَ أَنْبِيَائِهِمْ بَيْعًا . مَنْ عَزَّضَتْ لَهُ صَلَاةٌ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ فَلْيُصَلِّ ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِضْ لَهُ صَلَاةٌ فَلْيَمْضِرْ .

• • •

وَأَتَى رَحْلَ مِنَ الْمَدِينِ إِلَى عَمْرٍ ، فَقَالَ : إِنَّا لَمَّا فَتَحْنَا لِلدَّائِنِ أَصْبَنًا كِتَابًا فِيهِ عِلْمٌ مِنْ عُلُومِ الْقُرْسِ ، وَكَلَامٍ مَعْجَبٍ ، فَدَعَا بِالنَّدْرَةِ فَجَعَلَ يَضْرِبُ بِهَا ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ تَحْنُ قُصُصٌ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقُصَصِ ﴾ ﴿٤﴾ ، وَيَقُولُ : وَبِئْسَ الْأَفْصَحُ أَحْسَنُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ! إِنَّمَا هَلَاكَ

(٢) سورة البقرة : ١٦٢

(٤) سورة يوسف : ٢١

(١) سورة الأعراف : ١٧٢

(٣) سورة قريش : ٢

مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، لَأَنْتُمْ أَقْبَلُوا عَلَى كُتُبِ عَلَمائِهِمْ وَأَسَاقِفَتِهِمْ ، وَتَرَكُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ حَتَّى دَرَسَا ، وَذَهَبَ مَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ .

• • •

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ ، فَقَالَ : يَا صَبِيحَا الْبُحَيْرَةِ لَقِينَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَعَمِلَ بِسَئِلِنَا نَحْنُ تَفْسِيرَ حُرُوفٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَمْكُنْ مِنْهُ ، فَبَيْنَا عُمَرُ يَوْمًا جَالِسٌ يَفْتَدِي النَّاسَ إِذَا جَاءَهُ الصَّبِيحُ ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَعِمَامَةٌ ، فَتَقَدَّمَ فَكَلَّمَ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴾ ^(١) ؟ قَالَ : وَيَحْكُ أَنْتَ هُوَ فَقَامَ إِلَيْهِ فَخَسَرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِحِلْدِهِ حَتَّى سَقَطَتِ عِمَامَتُهُ ، فَأَذَا لَهُ صَفِيرَتَانِ ، فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ لَوْ وَحَدْتُكَ بِحَقِّكَ لَعَصَرْتُ رَأْسَكَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَعَمِلَ فِي بَيْتٍ ، ثُمَّ كَانَ يُخْرِجُهُ كُلَّ يَوْمٍ فَيَضْرِبُهُ مِائَةً ، فَإِذَا بَرَأَ أَخْرَجَهُ فَضْرَبَهُ مِائَةً أُخْرَى ، ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَى قَتَبٍ وَسَيَّرَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ . وَكُتِبَ إِلَى أَهْلِ مَدِينَتِهِ بِأَمْرِهِ أَنْ يَحْرُمَ عَلَى النَّاسِ عِمَالَتُهُ ، وَأَنْ يَقُومَ فِي النَّاسِ خَطِيئَتُهُ ، ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّ خُصْمَتَنَا قَدْ أَبْغَى الْعِلْمَ فَأَخْطَأَ ، فَلَمْ يَزَلْ وَصِيحًا فِي قَوْمِهِ وَعِنْدَ النَّاسِ حَتَّى هَلَكَ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ سَيِّدِ قَوْمِهِ .

وَقَالَ عُمَرُ عَلَى النَّبِيِّ : أَلَا إِنَّ أَصْحَابَ الرَّأْيِ أَعْدَاءُ السُّنَنِ ، أَعْيَنَتِهِمُ الْأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا ، فَأَفْتَنُوا بَأَرَائِهِمْ ، فَصَلُّوا وَأَصَلُّوا . أَلَا إِنَّ تَقْنِدِي وَلَا بَتْنِدِي ، وَتَشَعُّ وَلَا تَبْتَدَعُ ، إِيَّاهُ مَاضِلٌ مَتَمِّسُكَ بِالْأَثَرِ .

• • •

وَرَوَى زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ فِي الْحَبِيجِ : فِيمَ الرَّمْلَانِ ^(٢) الْآنَ وَالْكَشْفُ عَنِ الْمَنَاقِبِ ، وَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ ، وَنَفَى الْكُفْرَ وَأَهْلَهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا نَدْعُ شَيْئًا كُنَّا نَفْعَلُهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

• • •

مرة عمرُ برجل فلم عليه ، فرد عليه ، فقال : ما أسألك ؟ قال : جرة ، قال : أبو من ؟ قال : أبو شهاب ، قال : بمن ؟ قال : من الحرقة ، قال : وأين مكنتك ؟ قال : بحرة النار ، قال : بأيها ؟ قال : بذات أنقى ، فقال : ويحك ! أدرك أهلك فقد احترقوا . فضى عليهم فوجدتم قد احترقوا .

• • •

وروى الألبان بن سعد ، قال : أتني عمرُ بنى أمرد ، قد وجد قتيلًا ملقى على وجه الطريق ، فسأل عن أمره واحتهد ، فلم يقف له على خبر ، فشق عليه ، فساكن يدعو ويقول : اللهم أغفرني قتله ، حتى إذا كان رأس الحول أو قريبًا من ذلك ، وجد طفلًا مولود ملقى في موضع ذلك القتيل ، فأتى به عمر ، فقال : ففرت بدم القتيل ، إن شاء الله تعالى ! فدفن الطفل إلى امرأة ، وقال لها : قومي بشيء ، وخذي من ثقتي ، وانظري مَنْ يأخذه منك ، فإذا وجدت امرأة تقبله ونصته إلى حدرها فاعليني مكانها ، فلما شب الصبي جاءت جارية ، فقالت للمرأة : إن سيدتي يستغنى إليك لتبعني إليها بهذا الصبي ، فقرأه وتردده إليك ، قالت : نعم ، اذهبي به إليها ، وأما منك ، فذهبت بالصبي ، حتى دخلت على امرأة شابة ، فأخذت الصبي ، فغامت ثقله وتغذيه ونصته إليها ، وإذا هي بنت شيخ من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءت المرأة وأخبرت عمر ، فاشتعل على سيفه وأقبل إلى منزلها ، فوجد أباها متكئًا على الباب ، فقال له : ما الذي تعلم من حال انتك ؟ قال : أعرفُ الناس بحق الله وحق أبيها ، مع حسن صلاتها وصيامها والقيام بدينها ، فقال : إني أحب أن أدخل إليها وأزيدها رغبة في الخير ، فدخل الشيخ ، ثم خرج فقال : ادخل يا أمير المؤمنين ، فدخل وأمر أن يخرج كل من في الدار إلا أباه ، ثم سألها عن الصبي ، فدخلت ، فقال : لتصدقيني ، ثم انتضى السيف ، فقالت : قل لي يا أمير المؤمنين ! هو الله لأصدقك ! إن عبورًا كانت تدخل على فاتخذتها أمًا ، وكانت تقوم في أمري بما تقوم به الوالدة ، وأنا لها بمنزلة البنت ،

فكنت كذلك حيناً ، ثم قالت : إنه قد عرض لى سفر ، ولى بنت أخووف عليها بىدى الصيعة ، وأنا أحب أن أختبئ إليك حتى أرجع من سفرى ، ثم عمدت إلى ابن لها أمرد فهبأته وزينته كما تزى المرأة وأثنى به ، ولا أشك أنه جارية ، فساكن يرى منى ماترى المرأة من المرأة ، فاعتلنى يوماً وأنا نائمة فما شعرت به حتى علانى وخالطنى ، فددت يدى إلى شفرة كانت عندى فقتلته ، ثم أمرت به قاتلى حيث رأيت ، فاشتعلت منه على هذا الصبي ، فلما وضعت ألقته فى موضع أبيه ، هذا والله خبرها على ما علمتُك !

فقال عمر : صدقت ، بارك الله فيك ! ثم أوصاها ووعظها وخرج .
وكان عمر يقول : لو أدركت عروة وعفراء لجلعت بينهما .



ذكر عمرو بن العاص يوماً عمر فترحم عليه ، وقال : ما رأيتُ أحداً أتقى منه ، ولا أعمل بالحق منه ، لا يبالى قلى من وقع الحق ، من ولد له أو والده ، إنى لى منزى بمصر ضعى ، إذ أتانى آت ، فقال : قدم عبد الله وعبد الرحمن ابنا عمر غازيين ، قتل : ابن نزلا ! قال : فى موضع كذا - لأقصى مصر - وقد كان عمر كتب إلى : إياك وأن يقدم عليك أحد من أهل بيتى فتجيزه أو تحبوه بأمر لا تصنمه بنيره ، فأفضل بك ما أتاه الله . فضقت ذرعاً بقدميهما ، ولا أستطيع أن أهدي لهما ، ولا أن آتيهما فى منزلها ، خوفاً من أبيهما ، فوافقه إلى لعل ما أنا عليه ، وإذا قاتل يقول : هذا عبد الرحمن بن عمر بالبوابو سروعة يستأذنان عليك ، قتل : يدخلان ، فدخلوا وما منكيران ، فقالا : أقم علينا حد الله ، فإننا أصبنا القيلة شراها فكرنا ، فزبرتهما وطردهما ، وقلت : ابن أمير المؤمنين وآخر معه من أهل بدر ! فقال عبد الرحمن : إن لم تفعل أخبرت أبى إذا قدمت عليه أنك لم تفعل ، ففعلت أنى إن لم أقم عليهما الحد غضب عمر وعزلى ، فنحن على ما نحن عليه ،

إذ دخل عبد الله بن عمر ، فقامت إليه ورخت به ، وأردت أن أجلسه في صدر مجلسي ، فأبى عليّ وقال : إن أبي نهى أن أدخل عليك إلاّ ألاّ أجد من الدخول بدءاً ، وإني لم أجد من الدخول عليك بدءاً ، إن أحى لا يخلق عليّ رموس الناس أبداً ، فأما الضرب فاصنع ما بدا لك - قال : وكانوا يخلقون مع الحد - فأخرجتهما إلى صحن الدار وضربتهما الحد ، ودخل عبد الله بن عمر بأخيه عبد الرحمن إلى بيت من الدار فخلق رأسه ، وخلق أبا سروعة ، والله ما كتبتُ إلى عمر بحرف مما كان ، وإذا كتابه قد ورد :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، إلى العاصي ابن العاصي ، عجبتُ لك يا ابن العاصي ولجرائك عليّ ومخالفتك عهدي ! أما إنني حالمت فيك أصحاب بدر ومن هو خير منك ، واحترتُك وأنت الخطايل ، وقدمتُك وأنت المؤخر ، وأحبرني الناس بجرائك وخلافك ، وأراك كما أحبروا ، وما أراهم إلاّ عاراً نفسي عزلاً . ويحك ! تضرب عبد الرحمن ابن عمر في داخل بيتك ، وتخلق رأسه في داخل بيتك ، وقد عرفت أن في هذا مخالفتي ! وإنما عبد الرحمن رجل من رعيّتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين ، ولكن قلت : هو ولد أمير المؤمنين ، وقد عرفت ألاّ هراوة لأحد من الناس عندي في حق يحب لله عز وجل ، فإذا جامك كتابي هذا فامث به في عبادة عليّ قتب ، حتى يعرف سوء ما صنع . قال : فبعثت به كما قال أبوه ، وأقرأت أخاه عبد الله كتاب أبيهما ، وكتبت إلى عمر كتاباً اعتذر فيه وأخبرته أنّي ضربته في صحن الدار ، وحملت بالله الذي لا يُخالف بأعظم منه ، أنه الموضع الذي أقيم فيه الحدود على السلم والدمى ، وبعثت بالكتاب مع عبد الله بن عمر ، فذكر أسلم مولى عمر قال :

قدم عبد الله بأخيه عبد الرحمن على أبيهما ، فدخل عليه في عبادة ، وهو لا يقدر على الشيء من مركبه ، فقال : يا عبد الرحمن ، فأت وفلت ! الشياطين الشياطين ! فكلّمه

عبد الرحمن بن عوف ، وقال : يا أمير المؤمنين ، قد أقيم عليه الحد مرة ، فلم يلتفت إليه وزيره ، فأخذته السيّاط ، وجعل يصيح : أيا مريض وأنت والله قاتل ! فلم يرق له ، حتى استوفى الحد وحبيه . ثم مرض شهرا ومات .

• • •

وروى الزبير بن بكار ، قال : حطب عمرُ أمّ كلثوم بنت عليّ عليه السلام ، فقال له : إنَّها صغيرة ، فقال زوّجها يا أبا الحسن ، فإنّي أرصد من كرامتها مالا يرصد ما أحد ، فقال : أيا أبنتها إليك ، فإنّ رضىتها روّحكها . فعشها إليه بُرد ، وقال لها قولي : هذا البرد الذي ذكرته لك . فقالت له ذلك ، فقال : قولي له : قد رضىته رضى الله عنك . ووضع يده على ساقيها . فقالت له : أتفعل هذا ! لو أنّك أمير المؤمنين لكسرت أغلك ، ثم جاءت بأباها فأخبرته الخبر ، وقالت : مشى إلى شيخ ^{سلي} ! قال : مهلا يا نبيّة ، إنه زوّجك ، فجاء هو إلى مجلس المأحرين في الروضة ، وكان يجلس فيها للمأحرون الأولون ، فقال : رفقوني ^(١) ، رفقوني ، قالوا : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : تزوّجت أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « كل سبب وسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وصهري » .

• • •

وكتب عثمان إلى أبي موسى : إذا جاءك كتابي هذا فأعطي الناس أعطياتهم ، واحل ما بقى إلى . فعل ، وجاء زيد بن ثابت بالمال ، فوضعه بين يدي عثمان ، فجاء ابن عثمان ، فأخذ منه أستاذانة من فضّه ، فضى بها فبكى زيد ، قال عثمان : ما يبكيك ؟ قال : أتيت عمر مثل ما أتيتك به ، فجاء ابن له فأخذ درهما فأمر به فانزع منه ، حتى أبكى

(١) رفاء : إذا قال له : بالرفاء والنبي .

الغلام ، وإن ابنتك قد أخذت هذه فلم أرَ أحداً قال شيئاً . فقال عثمان : إن هر كان يمنعُ أهله وقرابته ابتغاء وجه الله ، وأنا أعطي أهلي وأقاربي ابتغاء وجه الله ، ولن تلقى مثل عمر .

•••

وروى إسماعيل بن خالد ، قال : قيل لعثمان : ألا تكون مثل عمر ! قال : لا أستطيع أن أكون مثل لقمان الحكيم .

•••

ذكرت عائشة عمر ، فقالت : كان أحودنا ؛ تسبج وحده ، قد أعدّ للأمور أقرانها .

(•••)

جاء عبد الله بن سلام مد أن صلى الناس على عمر ، فقال : إن كنتم سبقتوني بالصلاة عليه فلا تسبقوني بالثناء عليه ، ثم قال : ثم أخو الإسلام كنت يا عمر ! جواداً بالحق محملاً بالباطل ، ترعى حين الرضا ، وتسخط حين السخط ؛ لم تكن مذاحاً ولا منهاباً ، طيب الطرف ، عفيف الطرف .

•••

وروى حويرية بن قدامة ، قال : دخلتُ مع أهل المراق على عمر حين أصيب ، فرأيتُه قد عَصَبَ بطنه بعامة سوداء ، والدم يسيل ، فقال له الناس : أوصينا ، فقال عليكم بكتاب الله ، فإنكم لن تضلوا ما اتبعتموه . فأعدنا القول عليه ثانية : أوصينا ، قال : أوصيكم بالمهاجرين ، فإن الناس سيكثرُونَ ويقتلون ، وأوصيكم بالأنصار ، فإنهم شُبب الإسلام الذي لجأ إليه ، وأوصيكم بالأعراب ، فإنهم أصلكم الذي لجأتم إليه وماواكم . وأوصيكم بأهل اللدنة ، فإنهم عهد نبيكم ورزق عيالكم ؛ قوموا عني .

فلم أحفظ من كلامه إلا هذه الكلمات .



وروى عمرو بن ميسون، قال : سمعتُ عمر وهو يقول وقد أشار إلى الستة، ولم يكلم أحدا منهم إلا علي بن أبي طالب وعثمان ، ثم أمرهم بالخروج ، فقال لمن كان عنده : إذا اجتمعوا على رجل فمن خالفه ضرب رقبته ، ثم قال : إن يوتوها الأجلح ^(١) يسلك بهم الطريق ، فقال له قائل : فما يمنعك من العهد إليه ؟ قال : أكره أن أحملها حياً وميتاً .



[خطب عمر الطوال]

وقال المحافظ في كتاب " البيان والتبيين " : لم يكن عمر من أهل الخطب الطوال ، وكان كلامه قصيراً ، وإنا صاحب الخطب الطوال علي بن أبي طالب عليه السلام .

وقد وجدتُ أما لمر خطباً فيها بعض الطول ، ذكرها أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في التاريخ .



ففيها خطبة خطب بها حين ولي الخلافة ، وهي بعد تحذ الله والثناء عليه وعلى رسوله :

أيها الناس، إني وليتُ عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم ، وأنفواكم عليكم ، وأشدكم استضلاعاً بما ينوب من مهم أموركم ، ما وليت ذلك منكم ، ولكني عمر فيها مجزى ^(٢) العطاء موافقة الحساب ، بأخذ حقوقكم كيف آخذها ووضعها أين أضعها ،

(١) الجليح : انحصار الشعر عن جاني الرأس ، ويريد بالأجلح علي بن أبي طالب .

(٢) الطبري : ولكني مهياً مجزاً انتظار موافقة الحساب .

وبالتدبير فيكم كيف أسير أفرق السمان ، فإن عمر لم يصبح بشق بقوة ولا حيلة ، إن لم يتداركه الله برحمته وعونه^(١) .

أيها الناس إن الله قد ولاني أمركم ، وقد علّمت أضع مالكم ، وأسأل الله أن يعينني عليه ، وأن يحرسني عنده ، كما حرسني عند غيره ، وأن يلهمني العدل في قسمكم كالذي أمر به ، فلاني أمرؤ مسلم ، وعبد ضعيف إلا ما أعان الله ، ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقتي شيئاً إن شاء الله . إنما المظنة لله ، وليس للمباد منها شيء ، فلا يقولن أحدكم إن عمر تغير منذ وليت ، وإني أعقل الحق من نفسي ، وأتقدم وأبين لكم أمري ، فأيتما رجل كات له حاجة أو ظلم مظنة أو عتب علينا في خلق ، فليؤذني ، فلأنما أنا رجل منكم . فعليكم جفوى الله في سرركم وعلايتكم وحرمانكم وأعراضكم ، وأعطوا الحق من أنفسكم ، ولا يحيل بعضكم بعضاً على ألا تتعاضدوا إلي ، فإنه ليس بيني وبين أحد هوادة ، وأنا حبيب إلى صلاحكم ، عزيز على عنقكم ، وأتم أمان عامتكم حصر في بلاد الله وأهل بلده لا زرع فيه ولا صرع إلا ما جاء الله به إليه ، وإن الله عز وجل قد وعدكم كرامة كبيرة ، وأنا مسئول عن أمانتي وما أنا فيه ، ومطلع على ما يحضرني بنفسى إن شاء الله ، لا أكره إلى أحد ، ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل النصيح منكم للعلمة ، ولست أحمل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله^(٢) .



وخطب عمر مرة أخرى ، فقال بعد حمد الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله :

(١) الطبري ٥ : ٢٥ ، وفي آخر الخطبة هنا ، وما يليها خطبة أخرى .

(٢) تاريخ الطبري ٥ : ٢٥ ، ٢٦ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ [بعض] ^(١) الطَّمْعُ فَقْرٌ ، وَإِنَّ تَمَسُّ الْيَأْسِ غِنًى ، وَإِسْكَمُ تَحْمَمُونَ
مَالًا تَأْكُلُونَ ، وَتُؤْمَلُونَ مَالًا تَدْرِكُونَ ، وَأَنْتُمْ مُؤَجَّلُونَ فِي دَارِ عُرُورٍ ، وَقَدْ كَسَمَ عَلَى عَهْدِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَوَاحِدُونَ بِالْوَحْيِ ، وَمِنْ أَمْرٍ شَيْئًا أَخَذَ سِرِّيْرَتَهُ ، وَمَنْ أَعْلَنَ
شَيْئًا أَخَذَ عِلَالِيْتَهُ ، فَأُظَاهِرُوا لِمَا حَسَنَ أَخْلَاقِكُمْ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالسَّرَائِرِ ، فَإِنَّهُ مَنْ أَظْهَرَ لَنَا
قَبِيحًا ، وَزَعَمَ أَنَّ سِرِّيْرَتَهُ حَسَنَةٌ لَمْ نَصْدَقْهُ ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا عِلَالِيَّةَ حَسَنَةٍ ظَنَنَّا [به حَسَنًا] ^(٢) .
وَأَعْلَمُوا أَنَّ نَعَصَ الشَّخْ شُعْبَةً مِنَ التَّمَقُّقِ ، فَأَعْتَقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ ، وَمَنْ يُوَقَّ شَخَّ مَعَهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُنَافِقُونَ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، أَطِيعُوا مَنَؤَاكُم ، وَأَصْلَحُوا أُمُورَكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ، وَلَا تُدْبِسُوا
سَاءَكُمْ الْقَبَاطِي ^(٣) ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَشْفِ ^(٤) فَإِنَّهُ يَصِيبُ .
أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ لُودِدْتُ أَنْ [أَعْمُو كَغَفَا لَآكِي وَلَا عِلَى] ، إِنْ لَأَرْجُو إِنْ عَمَرْتُ فِيكُمْ
يَسِيرًا أَوْ كَثِيرًا ، أَنْ أَعْمَلَ فِيكُمْ بِالْحَقِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَأَلَّا يَبْقَى أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَإِنْ
كَانَ فِي بَيْتِهِ — إِلَّا أَنَّهُ حَقٌّ وَصِيْبُهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ ، وَإِنْ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ ، وَلَمْ يَنْصِبْ
إِلَيْهِ بَدَنَهُ ، فَأَصْلَحُوا أُمُورَكُمْ الَّتِي رَزَقَكُمْ اللَّهُ ، فَقَلِيلٌ فِي رَفَقٍ حَيْرٍ مِنْ كَثِيرٍ
فِي عَنَفٍ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْقَتْلَ حَتْفٌ مِنَ الْخُتُوفِ يَصِيبُ الْبَرَّ وَالْعَاجِزَ — وَالشَّهِيْدَ مِنْ احْتَسَبَ
نَفْسَهُ ، وَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ يَسِيرًا فَلْيَمِيزْ إِلَى الطَّوِيلِ الْعَظِيمِ فَلْيَضْرِبْهُ نَعَصَاهُ ، فَإِنْ وَجَدَهُ
حَدِيدَ الْفُؤَادِ فَلْيَشْتَرِهِ ^(٥) .

وخطب عمر مرة أخرى فقال :

(١) تسكئة من تاريخ الطبري
(٢) القباطي : نيباب كتان يمس رفاق كانت تصل في مصر .
(٣) يشف : يرق حتى يحكي ما تحته .
(٤) تاريخ الطبري ٩ : ٢٩٠ .

إن الله سبحانه قد استوجب عليكم الشكر ، واتخذ عليكم الحجج فيما أتاكم من كرامة الدنيا والآخرة من غير مسألة منكم ، ولا رغبة منكم فيه إليه ، فخلقكم - تبارك وتعالى - ولم تكونوا شيئاً لنفسه وعبادته ، وكان قادر أن يجعلكم لاهون خلقه عليه فجعلكم فامة خلقه ، ولم يجعلكم لشيء غيره ، وسخر لكم مافي السموات والأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، وحملكم في البر والبحر ، ورزقكم من الطييات لم تملكون تشكرون . ثم حمل لكم صمماً ونصراً . ومن نعم الله عليكم نعم عم بها بنى آدم ومنها نعم اختص بها أهل دينكم ، ثم صارت تلك النعم خواصها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم ، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لو قسم ما وصل منها بين الناس كلهم أنعمهم شكرها ، وفدحهم حقها إلا بمون الله مع الإيمان بالله ورسوله ، فأنتم مستحقون في الأرض قاهرون لأهلها ، فلم يكرم الله دينكم فلم تصبح أمة محالفة لدينكم ، إلا أمتين أمة مستعملة للإسلام وأهله ، يتجرون لكم ، يستصفون^(١) معايشهم وكدا نعمهم ، ورشح جباههم ، عليهم المؤنة ، ولكم المنفعة ، وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة ، قد ملأ الله قلوبهم رعباً ، فليس لهم معقل يلجئون إليه ، ولا مهرب يتقون به ، قد دهمهم جود الله وزلت ساحتهم ، مع رعاة^(٢) العيش واستغاضة المال ، وتتابع البعوث وسد الثغور بإذن الله ، في العافية الجليلة العامة التي لم تكن الأمة على أحسن منها منذ كان الإسلام ، والله الحمود مع الفتوح العظام في كل بلد ، فاعسى أن يبلغ شكر الشاكرين ، وذكر الذاكرين ، واجتهاد المتجهدين ، مع هذه النعم التي لا يحصى عددها ، ولا يقدر قدرها ، ولا يستطيع أداء حقها إلا بمون الله ورحمته ولطفه ! فنسأل الله الذي أبلانا هذا أن يرزقنا العمل بطاعته ، والسارعة إلى مرضاته . واذكروا عباد الله بلاء الله عندهم ، واستتموا نعمة الله عليكم وفي مجالسكم متى ومرادى : فإن الله تعالى قال لموسى :

(١) استصفى القى : أخذ منه صفوه . (٢) الرعاة : سعة العيش وطيبه .

﴿ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الطُّلُكَاتِ إِلَى الثَّوْرِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾^(١) وقال الحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَبِيلٌ مُتَخَفَتُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٢) فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خسر الدنيا على شعة من الحق تؤمنون بها ، وتستريحون إليها ، مع المعرفة بالله وبدينه ، وترحون الخير فيما بعد الموت ؛ ولكم كنتم أشد الناس عيشة وأعظم الناس بالله جهالة ، فلو كان هذا الذي ابتلاكم به لم يكن معه حظ في دنياكم غير أنه ثقةً بكم في آخرتكم التي إليها للعاد والمقرب ، وأنتم من جهد المبيشة على ما كنتم عليه كنتم أحرى بأن تشعروا على نصيبكم منه ، ون تظهروه على غيره قبله^(٣) . أما إنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة ، أو لمن شاء أن يجمع ذلك منكم ، فاذكركم الله الحائل بينكم وبين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله وعلمتم له ، وسيرتم أنفسكم على طاعته ، وجمتم مع السرور بالنعم خوفاً لزوالها وانتقالها ، ووجلا من تحوّلها ، فإنه لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها ، وإن الشكر أمن للعير ، وتوكلت للنعمة ، واستعلا بالريادة ، وهذا على في أمركم ونهيكم واجب إن شاء الله .

وروى أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب " مقاتل الفرسان " قال : كتب عمر إلى سلمان بن ربيعة الباهلي - أو إلى السمان بن مقرن :
إن في جددك رحلتين من العرب : عمرو بن معد يكرب وطلحة بن حويل ، فأحضرهما الناس وأدبهما وشاورهما في الحرب ، وأبشهما في الطلائع يولاتولهما أعمال من أعمال المسلمين ، وإذا وضعت الحرب أوزارها ، فصعما حيث رزعا أنفسهما . قال : وكان عمر وارتد ، وطلحة تنبأ .

(١) سورة إبراهيم : • (٢) سورة الأعراف : ٢٦ (٣) ب : اسم فعل بمعنى دع وانكر .

وروى أبو عبيدة أيضاً في هذا الكتاب ، قال : قدم عمرو بن معد يكرب والأجلح بن وقاص الفهمي على عمر ، فأنبأه وبين يديه مال يوزن ، فقال : متى قدمتما ؟ قالا : يوم الخميس ، قال : فما حبكما عني ؟ قالا : شغلنا للنزل يوم قدمنا ، ثم كانت الجمعة ، ثم غدونا عليك اليوم . فلما فرغ من وزن المال بمحاه ، وأقبل عليهما ، فقال : هيه ! فقال عمرو بن معد يكرب : يا أمير المؤمنين ، هذا الأجلح بن وقاص ، الشديد الميرة ، البعيد الغرة ، الوشيك الكثرة ؛ والله ما رأيت مثله حين أخرج صارعاً ومصروعاً والله لك أنه لا يموت . فقال عمر للأجلح - وأقبل عليه ، وقد عرف الغضب في وجهه : هيه ! بالأجلح ! فقال الأجلح : يا أمير المؤمنين ، تركت الناس حتى صالحين ، كثيراً نسكهم ، دائرة أرزاقهم ، غيبة بلادهم ، أجراء على عدوهم ، فأكلوا عدوهم عنهم ، فاستمع الله بك ، فأرأينا مثلك إلا من سبقك ، فقال : ما منعك أن تقول في صاحبك مثل ما قال فيك ؟ قال : ما رأيت من وجهك ، قال : أصبت ، أما إنك لو قلت فيه مثل الذي قال فيك لأوحشكما ضرباً وعقوبة ، فإذا تركتك لتفك فأسركه لك ، والله لو ددت لو سلت لكم حالكم ، ودامت عليكم أموركم . أما إنه سيأتي عليك يوم تصفه وينشك ، وتهره وينبحك ، ولست له يومئذ وليس لك ، فإن لا يكن بيهكم ، فما أقربه منكم !



لما أسر الهرمزان صاحب الأهواز وثقت وحل إلى عمر ، حل ومعه رجال من المسلمين ، فيهم الأحنف بن قيس وأنس بن مالك ، فأدخلوه في المدينة في هيئته ، وعليه تاجه الذهب وكسوته ، فوجدوا عمر قائماً في جاب السعد ، فجلسوا عنده ينتظرون انتباهه ، فقال الهرمزان : أين عمر ؟ قالوا : هو ذا ، قال : وأين حراسة وحجابه ؟ قالوا : لا حارس له ولا حاجب ، قال : فينبغي أن يكون هذا بيئاً ! قالوا : إنه يعمل عمل الأنبياء .

فاستيقظ عمر ، فقال : الهرمران ! قالوا : نعم ، قال : لا أكلمه حتى لا يفتني عليه من حليته شيء ، فرموا بالخلية والبسوه ثوباً صعباً ، فقال عمر : يا هرمران : كيف رأيت وبال الغدر ؟ - وقد كان صالحاً للدين مرة ثم مكث - فقال : يا عمر ، إنا وإيتاكم في الجاهلية كنا نطلبكم إذ لم يكن الله معكم ولا معنا ، فلو كان الله معكم غلبتمونا ، قال : فاعذرني في انتفاضك مرّة بعد مرّة ؟ قال : أخاف إن قلت أن تقتلني ، قال : لا بأس عليك ! فأخبرني ، فاستقي ماء ، فأخذه وجعلت يده ترعد ، قال : مالك ؟ قال : أخاف أن تقتلني وأنا أشرب ، قال : لا بأس عليك حتى تشربه ، فالتقاء من يده ، فقال : ما بالك ! أعيذوا عليه الماء ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش ، قال : كيف تقتلني وقد آمنيتني ؟ قال : كدبت ! قال : لم أكذب ، فقال أس : صدق يا أمير المؤمنين ، قال : ويحك يا أنس ! أنا أو من قاتل تحزأة بن نود والبراء بن مالك ^(١) والله لا تدين بالخروج أو لأعاقبتك ! قال : إنك قلت : « لا بأس عليك حتى تخبرني ولا بأس عليك حتى تشرب » ، وقال له ناس من المسلمين مثل قول أس ، فأقبل على الهرمران ، فقال : تحمقني والله لا تحمقني إلا أن نسلم ، فأسلم ، فعرض له العيين ، وأمره للديبة .

بعث عمرُ حميرَ بن سعيد الأنصاريَ عاملاً على حمص ، فسكث حولاً لا يأتيه خبره ، ثم كتب إليه بعد حول : إذا أتاك كتابي هذا فأقبل واحمل ما جيت من مال المسلمين ، فأخذ حمير جراحه ، وحمل فيه زاده وقصعته ، وعلق أذانه ، وأخذ عتّته ^(١) ، وأقبل ماشياً من حمص حتى دخل المدينة ، وقد شحّب لونه ، واغبر وجهه ، وطال شعره . فدخل على عمر فلم ، فقال عمر : ما شأنك يا حمير ؟ قال : ما ترى من شائي ، ألت تراني صحيح البدن ، ظاهر الدّم ، معي الدنيا أجرها بقرينها ؟ قال : وما معك - فظن عمر أنه قد جاء

(١) العترة : عصا مثل الحربة .

بمالٍ ، قال : معي جرابي أجعل فيه رادى ، وقصصنى آكل فيها وأغسل منها رأسى وثيابى ،
وأداني أحمل فيها وضوئى وشرابى ، وعزى أتوكلأ عليها وأجاهد بها عدوئاً إن عرض لى .
قال عمر : أبجئت ماشياً ؟ قال : نعم ، لم يكن لى دابة ، قال : أفما كان فى رعيتك أحد يتبرع
لك بدابة تركبها ؟ قال : ما فعلوا ، ولا سألتهم ذلك ، قال عمر : شئس المسلمون خرجت من
عندهم ! قال عمر : اتقى الله يا عمر ، ولا تقل إلا خيراً ، قد نهاك الله عن الميبة ، وقد رأيتهم
يصلون ! قال عمر : فماذا صنعت فى إمارتك ؟ قال : وما سؤالك ؟ قال : سبحان الله ! قال :
أما إني لولا أخشى أن أحمل ما أخبرتك . أتيت البلد ، فجمعت ضلحاء أهله فوليتهم حبايته ،
ووضعه فى مواضعه ، ولو أصابك منه شئ . لأتاك ، قال : أفما حثت شئ . ؟ قال : لا ، فقال :
جددوا لعمير عهداً ، قال : إن ذلك لشيء لا أحبه بئد لك ، ولا لأحد بعدك ، والله ما كدت
أسلم . بل لم أسلم ، قلت لنصرانى معاهد : أحزاك الله ! فهذا ما عرضت لى يا عمر ! إن أشقى
أبائى ليوم صحبتك ! ثم استأذنه فى الانصراف ، فأذن له ، ومبرله بقضاء بعيداً عن المدينة ،
فأمهله عمر أياماً ثم بعث رجلاً يقال له الحارث ، فقال : اطلق إلى عمير بن سعد وهذه
مائة دينار ، فإن وجدت عليه أثراً فأقل على بها ، وإن رأيت حالاً شديدة فادفع إليه هذه
المائة ، فاطلق الحارث فوجد عميراً جالساً بفلى قيصاً له إلى جانب حائط ، فسلم عليه ، فقال عمر :
انزل رحمك الله ! فزىل فقال : من أين جئت ؟ قال : من المدينة ، قال : كيف تركت أمير المؤمنين ؟
قال : صالحاً ، قال : كيف تركت المسلمين ؟ قال : صالحين ، قال : أليس عمر يقم الحدود ؟
قال : بلى ، ضرب الله على فاحشة فمات من صر به ، فقال عمر : اللهم أعن عمر ، فإنى
لا أعلمه إلا شديداً حبه لك ! قال : فزىل به ثلاثة أيام ، وليس لهم إلا قرص من شعير
كانوا يخلصونه كل يوم به ويطلون ، حتى نالهم الجهد ، فقال له عمر : إنك قد أحمتنا ،
فإن رأيت أن تتحول عنا فأقل ، فأخرج الحارث الدماير فدفعها إليه ، وقال : بعث بها
أمير المؤمنين ، فاستغنى بها ، فصاح وقال : ردّها ، لا حاجة لى فيها ، فقالت المرأة : خذها

ثم ضمها في موضعها ، فقال : مالي شيء أجلسها فيه ! فتشقت أسفل درعها^(١) فأعطته خرقعة فشدها فيها ، ثم خرج فقسّمها كلّها بين أبناء الشهداء والفقراء ، فجاء الحارث إلى عمر فأخبره ، فقال : رحم الله عبدا ! ثم لم يلبث أن هلك ، فظن مهلكه على عمر ، وخرج مع رطل من أصحابه ماشين إلى بقيع الغرقاء ، فقال لأصحابه : لیتمنین كل واحد منا أمنيته ، فكل واحد تمنى شيئا ، وانتهت الأمنية إلى عمر ؛ فقال : وددت أن لي رجلا مثل عمر بن سعد أستعين به على أمور المسلمين !

• • •

[نبذ من كلام عمر]

ومن كلام عمر : إيتاكم وهذه الجازر ، فإن لها ضراوة كضراوة الغمر .
وقال : إيتاكم والراحة فإنها غفلة .
وقال : السن غفلة .

وقال : لا تسكنوا نساءكم العرف ، ولا تعلموهن الكتابة ، واستعينوا عليهن العرفى ، وعودوهن قول « لا » ، فإن « نعم » تجرّهن على المسألة .

وقال : تبين عقل الراءى كل شيء ، حتى في عيته ، فإذا رأيته يتوقى على نفسه الصبر عن شهوته ، ويحتسب من مطعمه ومشربه ، عرفت ذلك في عقله ؛ وما سألني رجل عن شيء قط إلا تبين لي عقله في ذلك .

وقال : إن الناس حدوداً ومنازل ، فأنزلوا كل رجل منزله ، وضموا كل إنسان في حده ، واحملوا كل امرئ بفعله على قدره .

وقال : اعتبروا عزيمة الرجل بحميته ، وعقله بمتاع يته . قال أبو عثمان الجاحظ : لأنه

(١) الدرر : اللبس .

ليس من العقل أن يكون فرشه ليذا ومرفقته طبرية .

وقال : مَنْ يَلْسَ من شيء استغنى عنه ، وعزَّ للؤمن استغناؤه عن الناس .

وقال : لا يقوم بأمر الله إلا مَنْ لا يصانع ، ولا يصارع ، ولا يتبع المظالم .

وقال : لا تُضَعِفُوا جِهَتَكُمْ ، فإنى لم أر شيئا أفتدَّ برجل عن مكرمةٍ مِنْ صنفٍ جِمتَه .

ووعظ رجلاً فقال : لا تلهِكْ الناسَ عن نفسك ، فإنَّ الأمورَ إليك تصلُّ دونهم ، ولا تقطع النَّهارَ سادِراً ، فإنه محموظ عليك ، فإذا أسأت فأحسِن ، فإنى لم أر شيئا أشدَّ ظلماً ، ولا أسرع إدراكاً من حسنةٍ حديثة لذت قديم .

وقال : احذر من فلتاتِ السَّباب ، وكلِّ ما أورثك اللَّيْبُ (١) ، وأعلَقك اللَّقَب ، فإنه إن يعظم بعده شأنك يشتدَّ على ذلك ندمك .

وقال : كلَّ عملٍ كرهتَ من أجله الموتَ فاركه ، نعم لا يصرك متى ميت .

وقال : أَقْلِلْ من الدَّيْنِ تمشِ حرّاً ، وأقلل من الدَّيُوبِ يَهْنُ عليك الموت ، وانظر في أىّ نصاب تضع ولدك ، فإن العِرْقَ دَسَس .

وقال : ترك الخطيئة أسهلُّ من معالحة التوبة .

وقال : احذروا النعمة حذرَكم للمصيبة ، وهى أحبُّها إليكم عندى .

وقال : احذروا عاقبة الفراغ ، فإنه أجمع لأبواب الكروه من السكر .

وقال : أجودُ النَّاسِ مَنْ يَحُودُ عَلَى مَنْ لا يرحو نوابه ، وأحلمهم مَنْ عاب بعد القدرة ، وأبخلهم مَنْ بخل بالسَّلام ، وأعجزهم من عجز فى دعائه .

وقال : ربُّ نظرة زرعت شهوة ، ورب شهوة أورثت حزناً دائماً .

(١) اللَّيْبُ : اللَّقَب المريب ؟ ومنه قوله تعالى : « ولا تبايروا بالألقاب » .

وقال : ثلاث خصال من لم تكن فيه لم ينفعه الإيمان : حِلْم يرد به جهل الجاهل ،
وورع يحجزه عن المحارم ، وخلق يدارى به الناس .

•••

[أخبار عمرو بن معد يكرب]

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب " مقاتل القرسان " أن سعد بن أبي
وقاص أوفد عمرو بن معد يكرب مد فتح القادسية إلى عمر ، فسأله عمر عن سعد : كيف
ترصته ، وكيف رضا الناس عنه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، هو لم كالأب يجمع لم
جمع الدرّة ، أهراني في تمرته ^(١) ، أسد في تامورته ^(٢) ، كنبلي في حياته ، يقسم
بالسوية ، يعدل في العصية ، ويسير في السرية .

وكان سعد كتب يثني على عمرو ، فقال : لكأنا تعاوصنا الثناء ! كتب
يثنى عليك ، وقدمت ثني عليه ! فقال : لم أثن إلا بما رأيت ، قال : دغ عنك سعدا ،
وأحبرني عن مدح قومك .

قال : في كل فضل وخير ، قال : ما قولك في علة بن خالد ؟ قال : أولئك فوارس
أعراضنا ، أحسن خلقنا ، وأقلها هربا ، قال : فسعد العشيرة ؟ قال : أعظمنا خيلا ^(٣) ،
وأكبرنا رئيسا ، وأشدنا شربا ^(٤) . قال : فالحارث بن كعب ؟ قال : حكمة
لا ترام ، قال : فراد ؟ قال : الأتقياء البررة ، والساعير الفجرة ، ألزمنا قرارا ،
وأشدنا آثارا .

(١) التمرة : بركة من صوف ينسجها الأعراب .

(٢) قال في اللسان : وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن معد يكرب عن سعد فقال : أسد
في تامورته ، أي مل عمرته ، وهوييت الأسد التي يكون فيه ، وهي في الأصل الصومة . واستعارها للأسد
(٣) الخيس : الخيش .
(٤) شربا ، أي شراسة .

قال : فأخبرني عن الحرب ، قال : مرة للداق ، إذا قلصت عن ساق ، من صبر فيها عرف ، ومن صعب عنها تلف ، وإنها لكما قال الشاعر :

الحربُ أولُ ما تكونُ فتيةً نسيَ بزيئها لكلَّ جهول^(١)
حتى إذا استمرتْ وشبَّ حرامها عادتْ مجوزاً غيرَ ذاتِ حليل
شطاء جزّت رأسها وتسكّرت مكروهاً للشتم والتقييل

قال : فأخبرني عن السلاح ، قال : سل عما شئت منه ، قال : الرمح ؟ قال : أخوك ورعا خاتك ، قال النبل ؟ قال : مسابا تحطى وتصيب ، قال : الثرس ؟ قال : ذاك المعن ، وعليه تدور الدوائر ، قال : المبرع ؟ قال : مشعل للراكب^(٢) ، متعب للراجل ، وإنها لحصن حصين . قال : السيف ؟ قال : هنالك كارت أمتك الحبل ، قال : بل أمتك ، قال : بل أمي ، والحق أحمر عنتي^(٣) لك^(٤) .



عرض سليمان بن ربيعة الباهل جنده بأرمينية ، فكان لا يقبل من الحيل إلا عتيقا ، فمر عمرو بن معد يكرب فرس عليظ ، فردّه وقال : هذا هجين ، قال عمرو : إنه ليس بهجين ، ولكنه غليظ ، قال : بل هو هجين ، فقال عمرو : إن الهجين ليعرف الهجين . فكتب بكلمته إلى عمر ، فكتب إليه : أما بعد فإن معد يكرب ، فإنك القاتل لأميرك ما قلت ، فإنه بلغني أن عندك سيفاً تسميه الصمصمة ، وأن عندى سيفاً أسميه مصمما ، وأقسم بالله لئن وضعت بين أذنيك لا يقطع حتى يبلغ قحفك .

(١) ناسب هذه الأبيات لأمرى القيس ، ديوانه ٣٥٣ .

(٢) في القيد : « مثقلة للراكب متعبة للراجل » .

(٣) أراد أن الإسلام فيه ، ولو كان في الجاهلية ما استطاع عمر أن يكلمه بهذا الكلام .

(٤) الخبر في القيد ١ : ٢١٠ ، عيون الأخبار ١ : ١٣٠ .

وكتب إلى سليمان بن ربيعة يَوْمُهُ في حِلْمِهِ عَنْهُ ، فَمَا قَرَأَ عَمْرُو الْكِتَابَ ، قَالَ : مَنْ تَرَوْنَهُ يَعْنِي ؟ قَالُوا : أَنْتَ أَعْلَمُ ، قَالَ : هَذَا دُنَى نَعْلِي وَاللَّهِ ، وَقَدْ كَانَ صَلَّى بِنَارِهِ مَرَّةً فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأَطْلَتْ مِنْ يَدِهِ مُحْرِمَةٌ ^(١) الدَّقْنُ ، وَذَلِكَ حِينَ ارْتَدَّتْ مَذْحِجٌ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمَرَ عَلَيْهَا فَرَوَةَ بَنُ مَسِيكٍ الْمَرَادِيُّ ، فَأَسَاءَ السَّيْرَةَ ، وَبَايَذَ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ فُتَارِقَهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ قَاتِلِ مَذْحِجٍ ، فَاسْتَحَاشَ فَرَوَةَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَأَرْسَلَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ بَنُ الْعَاصِ فِي سَرِيَّةٍ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بَعْدَهُ فِي سَرِيَّةٍ ثَانِيَةٍ ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سَرِيَّةٍ ثَالِثَةٍ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِمْ : كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَمِيرٌ مِنْ مَعَهُ ، فَإِذَا اجْتَمَعْتُمْ فَعَلِيَ أَمِيرٌ تَقْلَى الْكُلَّ ، فَاجْتَمَعُوا بِمَوْضِعٍ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ « كَسْر » ، فَاقْتَتَلُوا هَمَّاكَ ، وَصَدَّ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ لَعْلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَكَانَ يَطْلُنُ أَنْ لَا شَيْءَ لَهُ أَحَدٌ مِنْ شُعْبَانَ الْعَرَبِ - فَثَبَّتَ لَهُ ، فَمَلَأَ عَلَيْهِ ، وَعَايَنَ مِنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَحْتَسِبُهُ ، فَفَرَّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ هَارِبًا نَاحِيًا مُحْشَاةً نَفْسَهُ ، بَعْدَ أَنْ كَادَ يَقْتُلُهُ ، وَفَرَّ مَعَهُ رُؤَسَاءُ مَذْحِجٍ وَغُرَسَاهُمْ ، مَوْعِمُ الْمُسْلِمِينَ أَمْوَالَهُمْ ، وَسُيِّتَ ذَلِكَ الْيَوْمَ رِيحَانَةٌ بَنَتْ مَعْدٍ يَكْرِبُ أَحْتِ عَمْرُو ، فَأَدَّى خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ بَنُ الْعَاصِ فِدَاءَهَا مِنْ مَالِهِ ، فَأَصَابَهُ عَمْرُو أَحْوَاهَا الصَّمَامَةَ ، فَلَمْ يَرَلْ يَنْتَقِلُ فِي بَنِي أُمَيَّةٍ وَبِتَدَاوُلِهِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى صَارَ إِلَى بَنِي الْعَاصِ فِي أَيَّامِ الْمُهَدِّيِّ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَصُورِ أَبِي جَعْفَرٍ .

[فصل فيما نقل عن عمر من الكلمات الغريبة]

فَأَمَّا مَا نَقَلَ عَنْ عَمْرٍو مِنَ الْأَلْفَاظِ الْعَرَبِيَّةِ اللَّغَوِيَّةِ الَّتِي شَرَحَهَا الْمُعْصِرُونَ ، فَتَعْنَنُ نَذَكْرُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَلِيقُ بِهَذَا الْكِتَابِ .

(١) أي قرب الموت منه كقرب الجريمة من القتل ، وذلك إذا أشرف على التلف ثم نجا ، وهذا مثل يضرب في إفلات الجاني . والجريمة : بغي الروح . وانظر البدائي ٢ : ٦٩ .

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه : روى عبد الرحمن بن أبي زيد ، عن عمران بن سودة الليثي ، قال : صليت الصبح مع عمر ، فقرأ « سبحان » وسورة معها ، ثم انصرف ، فقلت معه ، فقال : أحاجة ؟ قلت : حاجة ، قال : فالحق ، فالحقت ، فلما دخل أذن ، فإذا هو على رمال^(١) سرير ، ليس فوقه شيء ، فقلت : نصيحة ! قال : مرحباً بالصباح غدوا وعشيا ، قلت : عابت أمتك - أو قال رعيتك - عليك أربعاً ، قال : فوضع عود الدرة ثم ذقن عليها - هكذا روى ابن قتيبة - وقال أبو جعفر : « فوضع رأس دِرْتَنِي ذَقْنَهُ » ووضع أسفلها على عنقه ، وقال : هات - قال : ذكروا أنك حرمت المنعة في أشهر الحج - وزاد أبو جعفر : « وهي حلال » - ولم يحرّمها رسول الله صلى الله عليه وآله ولا أبو بكر ، فقال : أحل ! إنكم إذا احترمت في أشهر حرمكم رأيتموها محرمة عن حرمكم ، فخرج حرمكم ، وكانت قاتبة قوتب عائتها والحج ساء من ساء الله ، وقد أصبت . قال : وذكروا أنك حرمت منعة النساء ، وقد كان رخصة من الله يستمتع بقبضة ، ويفارق عن ثلاث ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله أحلها في زمان ضرورة ، ورجع الناس إلى السعة ، ثم لم أعلم أحداً من المسلمين عاد إليها ، ولا عمل بها ، فالآن من شاء سكع بقبضة ، وفارق عن ثلاث بطلاق وقد أصبت .

وقال : ذكروا أنك أعتقت الأمة إذا وصفت ذا نبطها سير عتاق سيدها . قال : ألحقت حرمة محرمة ، وما أردت إلا الخير ، واستعفر الله .

قال : وشكروا منك عئف السباق ، ونهر الرعية . قال : فنزع الدرة ثم مسحها حتى أتى على سيورها ، وقال : وأنا زميل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة قرقرة .

السُّدْر ، فوالله إني لأرتجع فاشيع ، وأسقى فأروى ، وإني لأضرب العَرُوض ،
وأزحر المحُول ، وأؤدب قَذْرِي ، وأسوق خَطُوتِي ، وأرد اللُّقُوت ، وأصمَّ العنود ،
وأكثر الصَّجَر ، وأقلَّ العرب ، وأشهر بالعصا ، وأدفع باليد ، ولولا ذلك لأعذرت .
قال أبو جعفر : فكان معاوية إذا حدث بهذا الحديث يقول : كان والله عالما برعيته ^(١) .
قال ابن قتيبة : رَمَلت السرير وأرمتُه ، إذا سَجَّته شريط من خوص أوليف .
وذقن عليها ، أي وصع عليها دقته بسمع الحديث .

وقوله : فقَرع حَجُّكُم ، أي حَلَّتْ أَيْم الحج من الناس ، وكانوا يشعرون من قَرع
القِفاء ، وذلك ألا يكون عليه عاشة ورؤر ، ومن قَرع المراح ، وذلك ألا يكون فيه إبل
والقاية . قشر البيضة إذا خرج منها القرح .

والقوت : القرح ، قال الكلبي :

لمن وللشيب ومن هلاه من الأمثال قاية وقوت

أراد أن النساء ينفرن من ذي الشيب ويبارقنه كما يبارق العرج البيضة ، فلا يعود
إليها بعد خروجه منها أبدا . وروى عن عمر : إنكم إذا رأيتم المرأة في أشهر الحج كافية
من الحج حلت مكة من الحجاج ، فكانت كبيضة قارقها فرحها .

قوله : « إني لأرتجع فاشيع ، وأسقى فأروى » مثل مستعار من رعبت الإبل ، أي إذا
ارتعت الإبل ، أي أرسلتها ترعى تركتها حتى تشيع ، وإذا سقيتها تركتها حتى تروى .
وقوله : « أضرب العَرُوض » ، العروض : الناقة تأخذ يمينا وشمالا ، ولا تلزم

الحجبة ، يقول : أضربها حتى تعود إلى الطريق . ومثله قوله : « وأصمَّ العنود » .

والمحول : البعير يند عن الإبل ، يركب رأسه مجلا ويستقبلها .

قوله : « وأؤذّب قَدْرِي » ، أى قدر طاقتي .

وقوله : « وأسوق حَطَوِي » أى قدر خطوتي .

واللفظ : البعير يلتفت يمينا وشمالا ويروغ ،

وقوله : « وأكثير الزَّجْر وأقل العُرب » أى أنه يقتصر من التأديب في السياسة على

ما يكتفى به ، حتى يضطر إلى ما هو أشد منه وأغلظ .

وقوله : « وأشهر بالمصا وأدفع باليد » ، يريد أنه يرفع العصا يُرْهب بها ولا يستعملها ،

ولكنه يدفع بيده .

قوله : « ولولا ذلك لأعذرت » أى لولا هذا التدبير وهذه السياسة خلقت بعض

ما أسوق ، ويقال : أعذر الزاعي الشاة والثاقفة إذا حرهما ، والشاة العذيرة أعذرت هي ،

إذا تخلقت عن الفم .

قال ابن قتيبة ، وهذه أمثال ضربها ، وأصلها في رعيّة الإبل وسوقها ، ولما عاير

بها حسن سياسته للناس في الغزاة التي ذكرها ، يقول : فإذا كنت أفعل كذا في أيام

رسول الله صلى الله عليه وآله مع طاعة الناس له ، وتظيمهم إياه ، فكيف لأفعله بعده !

وعندي أن ابن قتيبة غلط في هذا التأويل ، وليس في كلام عمر ما يدل على ذلك وليس

عمر في غزاة قرقرة الكدر يسوس الناس ولا يأمرهم ولا ينههم ، وكيف ورسول الله صلى

الله عليه وآله حاضر بينهم ! ولا كان في غزاة قرقرة الكدر حرب ، ولا ما يحتاج فيه إلى

السياسة ، وهل كان لعمرو أو لغير عمر ورسول الله صلى الله عليه وآله حتى أن يُرَّبع في شعب ،

ويستق في روى ! وهل تكون هذه الصفات وما بعدها إلا للرئيس الأعظم ! والذي أراد عمر

ذكر حاله في خلافته رادّا على عمران بن سواحة في قوله : « إن الرعيّة يشكون منك عُنْف

السَّيِّئ وشدة الثَّمر » ، فقال : ليشكون ! فوالله إني لرفيق بهم ، ومستصحب في سياستهم ،

ولا ناهك لم عقوبة ، وإني لأتبع بالهنية والتهويل عليهم ، ولا أعملُ العصا حيث يمكنني
الاكتفاء باليد ، وإني أردُّ الشارد منهم وأعدل المائل . . . ، إلى غير ذلك من الأمور ،
التي عددها وأحسن في تعديدها .

وإنما ذكر قوله : « أنا زميل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عزاة قرقرة السكدر » ،
على عادة العرب في الافتخار وقت السفر وعندما تحبش النفس ويحس القلب ، كما كان
على عليه السلام بقول وقت الحاجة : « أبا عبد الله وأخو رسوله » ، فيذكر أشرف أحواله ،
والمزية التي اختص بها عن غيره ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في عزاة قرقرة
السكدر أردق عمره على نبيه ، فكان عمر بفخرها ويدكرها وقت الحاجة إليها .

وفي حديث عمر أنه خرج من الحلاء ، فكيف طعام فقبل له : ألا تنوصاً ؟ فقال : لولا
التطس ما باليت ألا أغسل يدي^(١) .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام : قال ابن عذبة : التطس التقذر . وقال الأصمعي : هو
المبالغة في التطهر ، فكل من أدق النظر في الأمور فاستقمى عليها فهو متطس ، ومنه قيل
للطبيب : التطاسي والتطيس لدقة علمه بالطب .

وفي حديث عمر حين سأل الأسقف عن اخلفاء ، فحدثه ، حتى إذا انتهى إلى الرابع ،
فقال : صدع من حديد ، وقال عمر : وأدقراه^(٢) !

قال أبو عبيدة ، قال الأصمعي : كان حماد بن سلمة يقول : « صدأ من حديد ، وهذا شبه
ما معنى ، لأن الصدأ له دقر وهو الن ، والصدع لا دقر له ، وقيل للديا أم دقر ، لما فيها من
الدوام والآفات ، فأما الدقر بالذال المعجمة ففتح القاء فهو الريح الذكية من طيب أو نتن .

(٢) نهاية ابن الأثير ٢ : ٢٦ .

(١) القائل ٣ : ١٠٤

وعندى هذا الحديث كلام ، والأظهر أن الرواية المشهورة هي الصحيحة ، وهي قوله :
« صدع من حديد » ، ولكن بفتح الدال ، وهو ما كان من الوعول ؛ بين العظيم
والشخت ، فإن ثبتت الرواية بنسكين الدال فغير ممتنع أيضاً ، يقال : رجل صدع ، إذا
كان ضرباً من الرجال ، ليس برّهل ولا غليظ .

ورابع الخلفاء هو علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأراد بالأسقف مدحه .
وقول عمر : « وادفراها » إشارة إلى نفسه ، كأنه استصمر نفسه وعاشها بالنسبة إلى ما وصفه
الأسقف من مدح الرابع وإطرائه .

فأما تأويل أبي عبيدة فإنه ظن أن الرابع عثمان ، وحمل رسول الله صلى الله عليه وآله
معدوداً من الجملة ليصح كون عثمان راسماً ، وجعل الدهر والتن له ، وصرف اللفظ عن الرواية
المشهورة إلى غيرها ، فقال : « صدأ حديد » ، ليطابق لمعة الثش على ما يليق بها ، فخير خاف
ما فيه من التصف ، ورعى الرواية المشهورة .

وأيضاً فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يجوز إدخاله في لفظ الخلفاء ، لأنه ليس
بمخليفة ، لأن الخليفة من يحلف غيره ، ورسول الله صلى الله عليه وآله مستخلف الناس
كلهم وليس بمخليفة لأحد .

وفي حديث عمر ، قال عند موته : « لو أن لي ماني الأرض جميعاً لأقصدت به
من هول المطلع » ^(١) .

قال أبو عبيد : هو موضع الاطلاع من إشراف إلى انحدار ، أو من انحدار إلى إشراف ،
وهو من الأضداد ، فشبه ما أشرف عليه من أمر الآخرة .

وفي حديث عمر ، حين بحث حذيفة وابن خفيف إلى السواد فملجأ الجزية على أهله^(١).

قال أبو عبيد : ملجأ أي قسما بالملج ، وأصله من الملج ، وهو المكيال الذي يقال له الملج لأن خراجهم كان طعاما .

وفي حديث عمر حين قال له حذيفة : إنك تستعين بالرجل الذي فيه - ومعهم رويه بالرجل القاهر ، فقال : « استعمله لأستعين بقوته ، ثم أكون على قنائه »^(٢) .
قال أبو عبيد عن الأصمعي : قنَّ كل شيء شجاعه واستقصاء معرفته ، يقول : أكون على تقشع أمره حتى أستقصي عمله وأعرفه .

قال : أبو عبيد : ولا أحيب هذه الكلمة عربية ، وإنما أصلها « قنَّان » ، ومنه قول العامة : فلان قنَّان على فلان ، إذا كان بمنزلة الأمين عليه والرئيس الذي ينتفع أمره ويمارسه ، وبه سمي هذا الميراث الذي يقال له القنَّان .

وفي حديث عمر حين قال لابن عباس وقد شاوره في شيء فأنجبه كلامه : شنشة [أعرفها] من أحسن ، هكذا الرواية ، وأما أهل العلم فيقولون : « شنشة أعرفها من أخزم »^(٣) .
والشنشة في بعض الأحوال قد تكون بمعنى المضمنا أو القطعة تُقطع من اللحم ، والقول للشهور أن الشنشة مثل الطيعة والسجدة ، فراد عمر إلى أعرف فيك مشابه من أيبك في رأيه ، ويقال : إنه لم يكن لقرشي مثل رأي العباس .

قال : وقد قال أبو عبيدة معمر بن لثمي : يحور « شنشة » و « شنشة » ، وغيره ينكر « شنشة » .

(٢) النهاية ٣ : ٢٩٦ . والفائق ٢ : ٣٦٥

(١) الفائق ٢ : ٢٦٩ .

(٣) النهاية ٢ : ٢٣٨ .

وفي حديث عمر يوم السقيفة ، قال : « وقد كنت زورت في نفسي قالة ، أقومُ بها بين يدي أبي بكر ، فلم يترك أبو بكر شيئاً مما زورته إلا تكلم به » .
قال أبو عبيد : التزوير إصلاح الكلام وتهيته كالنزويق ^(١) .

• • •

وفي حديث عمر حين ضرب الرجل الذي أقسم على أم سلة ثلاثين سوطاً كلها تبضع وتحذر ^(٢) .
قال أبو عبيد : أي تشق وتورم ، حذر الجلد يحذره وأحذره غيره .

• • •

وفي حديثه أنه قال لمؤذن بيت للقدس : « إذا أدت قترسل » ، وإذا أفت فاحدم ^(٣) .
قال أبو عبيد : الحذم بالحاء المهملة الحذر في الإقامة ، وقطع التطويل ، وأصله في المشي ، وهو الإسراع فيه ، وأن يكون مع هذا كانه يهوى يده إلى خلفه ، والحذم بالميم أيضاً القطع ، وكذلك الحذم بالحاء للمعجمة .

• • •

وفي حديثه أنه قال : « لا بقر رحل أنه كان يظاً جاريت به ولدها ، فمن شاء فليمسكها ومن شاء فليؤسلها » .
قال أبو عبيد : هكذا الرواية بالتين للمهمة والمروف أنه : « الإرشال » بالشين المعجمة ، ولعله حوّل الشين إلى السين كما يقال ستمت العاطش ، أي شتمته :

• • •

وفي حديثه : « كذب عليكم الحج ، كذب عليكم العمرة ، كذب عليكم الجهاد ، ثلاثة أسفار ، كذبت عليكم ^(٤) » .

(١) النهاية ٧ : ١٣٤ (٢) النهاية ٢ : ٨٣ (٣) النهاية ١ : ٢١٠ .
(٤) الفائق ٢ : ١٠١ ، نهاية ابن الأثير ٤ : ١٢ ، التلخيص (كذب) .

قال أبو عبيد : معنى كذب عليكم الإغراء ، أى عليكم به ، وكان الأصل فى هذا أن يكون نصيباً ، ولكنه جاء عنهم بالرفع شاذاً على غير قياس ، ومما يحقق أنه مرفوع قول الشاعر :

كذبت عليك لا تزال تقوفى ككاف آثار الوثيقة قائف

ف قوله : « كذبت عليك » ، إنما أغراء نفسه ، أى عليك فى ؛ فحمل « نفسه » فى موضع رفع ، ألا تراه قد جاء بالياء فجعلها اسم .
وقال معمر بن حمار المارق :

وُذِيَّاتِيَّةٌ وَصَّتْ بِنَيْهَا نَأْنُ كَذِبِ الْقِرَاطِفِ وَالْقُرُوفِ^(١)

فرفع ، والشعر مرفوع ، ومعناه عليكم بالقراطيف والقروف ، والقراطيف : القعطف واحدها قرطُف . والقروف : الأوعية .

ومما يحقق الرفع أيضاً قول عمر : « كذبت عليكم » ، قال أبو عبيد : ولم أسمع التنصب فى هذا إلا حرطاً ، كان أبو عبيد يحكيه عن أعرابيٍّ نظر إلى ناقهٍ نصو^(٢) لرحل ، فقال : كذب عليك البرر والتوى^(٣) لم أسمع فى هذا نصاً غير هذا الحرف .
قال : والعرب تقول للمريض : كذب عليك العسل^(٤) ، بالرفع ، أى عليك به .

وفى حديثه : « ما يمنعكم إذا رأيتم الرُّسَّ يحرق أعراض الناس ألا تعربوا عليه ؟ » قالوا : نخاف لسانه ، قال : « ذلك ألا تكونوا شهداء »^(٥) .
قال أبو عبيد : « ألا تعربوا » ، أى ألا تُقيدوا عليه كلامه وتُقبَّحوه له .

وفى حديثه : أنه نهى عن الرُّس فى الذبيحة^(٦)

(١) الفائق ٢ : ٤٠١ ، اللسان ٢ : ٢٠٠ (٢) نصو . مرة .
(٣) اللسان (كذب) .
(٤) الفائق ٢ : ٢٦٥ .
(٥) الفائق ٢ : ١٣٤ .

قال أبو عبيد : قيل في تفسيره : أن ينتهي بالدخ إلى الخناج وهو عظم في الرقبة ، وربما فسر الخناج بأنه المنع الذي في فقار الصلب متصلا بالقفا ، فمنه أن ينتهي بالدخ إلى ذلك .

وقيل في تفسيره أيضا : أن يكسر رقبة الذبيحة قبل أن تبرد ، ويؤكد هذا التفسير قوله في تمام الحديث : « ولا تصحوا الأيس حتى ترهق » .

وفي حديثه حين أتاه رجل يسأله أيام الخيل ، فقال له : هلكك وأهلكك ، فقال عمر : « أهلكك وأنت تنيث تنيث الحيت : أعطوه ربيعة من الصدقة » ، فخرحت يتبعها طئراها^(١) .

قال أبو عبيد : قد روى : « نمش » ، باليم ^(٢) وهو المموط بالون . وتنيث ، أي ترشح وتفرق من سميك وكثرة لحك .
والحميت : النخى وفيه الرث أو السحق أو نحوها . والربيعة : ما ولد في أول الشتاء ، والذي كر ربيع .

وفي حديثه أنه خرج إلى المسجد للاستسقاء بصيد المبر ، فلم يزد على الاستسقاء حتى نزل قطيل : إنك لم تستسقي ، فقال : « لقد استسقيت تحادج السماء »^(٣) .
قال أبو عبيد : جعل الاستسقاء استسقاء ، تأول فيه قوله تعالى : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَمَّارًا ﴾ يرسل السماء عليكم مدراراً^(٤) . والحادج : جمع يحدح وهو النجم الذي كانت العرب تزعم أنها تمطر به ، ويقال : يحدح بصم اليم ، وإنما قال عمر ذلك ، على أنها كلمة جارية على ألسنة العرب ، ليس على تحقيق الأتواء ، ولا التصديق بها

(١) النهاية لابن الأثير ٤ : ١٢٥ ، الحائق ٣ : ٢١٠ (٢) النهاية لابن الأثير ٤ : ٧٧ .

(٣) سورة صوح ١٠ ، ١١ .

(٤) نهاية ابن الأثير ١ : ١٤٦ .

وهذا شبه قول ابن عباس في رجل جعل امرأته يدها ، فقالت له : أنت طالق ثلاثا ، فقال : خطأ الله نوءها ! ألا طلقت نفسها ثلاثا ! ليس هذا دعاء منه ألا تُعطر ، إنما ذلك على الكلام للقول .

ومما يبين أن عمر أراد إبطال الأنواء والتكذيب بها قوله : « لقد استقيت بمحاذع السماء » ؛ التي يستقي بها الغيث ، فجعل الاستفغار هو المحاذع لا الأنواء .



وفي حديثه ، وهو يذكر حال صباه في الجاهلية : لقد رأيتني مرة وأختي نرى على أوبىنا ناصحا لنا ، قد ألبسنا أمنا نقتبها ، وزودتنا يمينتيها من الهيد ، فنخرج بناضعنا ، فإذا طلعت الشمس ، ألتفت النقة إلى أختي ، وخرجت أسمى عروان فنرجع إلى أمنا ، وقد حملت لنا لمينة من ذلك الهيد ؛ فياخضياه ^(١) .

قال أبو عبيد : الناضح : البعير الذي يسى عليه فيسقى به الأرض ، والأختي ماصحة ، وهي الساية أيضا ، والجمع سوان ، وقد سَنَتْ تَسْنُو ، ولا يقال : ناضح لغير المستقى . والنقة أن تؤخذ القطعة من الثوب قدر السراويل فيحمل لها حُجْزَة مخيطة من غير يَفَق ^(٢) ، وتشد كما تشد حُجْزَة السراويل ، فإن كان لها يَفَق وساقان ، فهي سراويل . وقال : والذي وَرَدَتْ به الرواية « زودتنا يمينتيها » ، والوجه في الكلام أن يكون « يمينتيها » بالتشديد ، لأنه تصير « يمين » بلاها ؛ وإنما قال : « يمينتيها » ولم يقل : يديها ولا كفيها لأنه لم يرد أنها جمعت كفيها ثم أعطتنا بهما ، وإنما أراد أنها أعطت كل واحد كفا كفا يمينها ، فهاتان يمينان .

الهيد : حبة الحنظل ، زعموا أنه يعالج حتى يمكن أكله وطيب .

(٢) يَفَق السراويل : اللسع منها .

(١) الثاني ٣ : ٢١١ .

واللَّيْتَةُ : ضرب من الطَّبِيخِ كَالْحَسَاءِ .

•••

وفي حديثه : « إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ بِحَائِطٍ فَلْيَا كُلَّ مَهٍ ، وَلَا يَتَخَذِ ثِيَابًا »^(١) .
قال أبو عبيد : هُوَ الْوَعَاءُ الَّذِي يَحْمَلُ فِيهِ الشَّيْءُ ؛ فَإِنْ حَمَلْتَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ فَهُوَ ثِيَابٌ ،
وإِنْ حَمَلْتَهُ فِي حُضْنِكَ فَهُوَ حُتَّةٌ .

•••

وفي حديثه : « لَوْ أَشَاءَ لَدَعَوْتُ بِصِلَاءٍ وَصِيبٍ وَصَلَاتٍ وَكَرَاكِرَةٍ وَأَسْنِمَةٍ وَأَفْلَازٍ »^(٢) .
قال أبو عبيد : الصَّلَاءُ : الشَّوَاءُ . وَالصُّبْبُ : الْحُرْدَلُ بِالزَّيْتِ . وَالصَّلَاتِيُّ : الْخُبْزُ الرَّقِيقُ ،
وَمِنْ رَوَاهُ « صَلَاتِي » هَالِكِينَ أَرَادَ مَا يَسْتَقِي مِنَ الْقَوْلِ وَغَيْرِهَا . وَالْكَرَاكِرَةُ ، كَرَاكَرُ الْإِبِلِ .
وَالْأَفْلَازُ : سَمْعٌ فَلَدٌ وَهُوَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْكَبِدِ .

•••

وفي حديثه : « نَوَشْتُ أَنْ يَدْهَمَ لِي لَعْمَتٌ »^(٣) .
قال أبو عبيد : دَهَمْتُ الطَّعَامَ ، إِذَا لَيْتَهُ وَرَقَّتْهُ وَطَيَّبَتْهُ .

•••

وفي حديثه : « لَنْ بَقِيْتُ لِأَسْوَرَيْنِ بَيْنَ النَّاسِ ، حَتَّى يَأْتِيَ الرَّاعِي حَقَّهُ فِي صُفْعِهِ لَمْ
يَمْرُقْ جَبِينُهُ »^(٤) .
الْعُثْمُنُ : خَرِيطَةٌ لِلرَّاعِي فِيهَا طَعَامُهُ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَرَوَى بَفَتْحِ الْعَصَادِ ، وَيُقَالُ
أَيْضًا « فِي صَفِينِهِ » .

•••

وفي حديثه: «لئن بقيتُ إلى قابل، لبأتين كلَّ مسلمٍ حقه، حتى يأتي الراعي بسروٍ خيّر، لم يهرق جبينه^(١)».

السرو مثل الخيف، وهو ما انحدر عن الجبل وارتفع عن السيل.

وفي حديثه: «لئن عشتُ إلى قابل، لألحنَّ آحر الناس بأولهم، حتى يكونوا بيّناً واحداً^(٢)».

قال أبو عبيد: قال ابن مهدي: يعني شيئاً واحداً، ولا أحسب هذه الكلمة عربية، ولم أسمعها في غير هذا الحديث.

وفي حديثه: أنه خطب، فقال: «الآن الأسيف^(٣) - أسيف حُمولة^(٤) - رضى من ديه وأماشِرَ أن يقال: سابق الحاج - أو قال: سبق الحاج - فإذا مَرَضاً فأصبح قد رينَ به؛ فمن كان له عليه دينٌ فليعدْ بالعداء، فليقسم ماله بينهم بالخصص^(٥)».

قوله: «فإذا مَرَضاً» أي استدان مَرَضاً، وهو الذي يمرض الناس فيستدين ممن أمكنه، وكل شيء أمكك من عرضه فهو معرض لك، كقوله: «وَالْآخِرُ مَرَضاً وَالسَّيْرِ^(٥)».

ورين بالرجل، إذا وقع فيما لا يمكنه الخروج منه.

(١) النهاية لابن الأثير: والخبير هناك: «لولا أن أترك الناس بيّناً واحداً ما ضعت على كربة إلا قسمتها» أي أتركهم شيئاً واحداً.

(٢) قال الرغزبي: «الأسيف تصغير الأسع، صفة وعلا».

(٣) جهينة: من بطون قصاعة.

(٤) الفائق ١: ٦٠٠.

(٥) قطعة من بيت لعدى بن زيد، والبيت بتمامه:

مَرَّةً مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ وَالْبَعْرُ مَرَضاً وَالسَّيْرِ

وفي حديثه : أنه قال لمولاه أسلم - ورآه يحمل متاعه على بعير من إبل الصدقة -
قال : « فإلّا ناقة شحوصاً أو ابن لبون بوالاً ! »^(١).

الشحوص : التي قد ذهب لبنها ، ووصف ابن القبون بالبول . وإن كانت كلها
تبول ، إنما أراد : ليس عنده سوى البول ، أي ليس عنده مما ينتفع به من ظهر ولا له
شرع فيحلب ، لا يزيد على أنه بوال قط .

• • •

وفي حديثه حين قيل له : إن النساء قد اجتمعن يسكين على خالد بن الوليد ، فقال :
« وما على نساء بني الغيرة أن يستغفرن من ذنوبهن على أبي سليمان ، ما لم يكن قطع
ولا لقلقة ! »^(٢).

قيل : التفع ها هنا طعام المأثم ، (الأشبه أن التفع رفع الصوت ، والقلقة مثله .

• • •

وفي حديثه : أن سلمان بن ربيعة الباهلي شكّا إليه عاملاً من عماله ، فضره بالذرة
حتى انسج^(٣) .

قال أبو عبيد : أي أصابه الذنس والشر من الإعياء .

• • •

وفي حديثه حين قدّم عليه أحد بني ثور ، فقال له : هل من مغرّبة خير ؟ فقال :
نعم أخذنا رجلاً من العرب ، كفر بعد إسلامه قدّمناه فضر بنا عنقه ، فقال : « فإلّا
أدخلتموه جوف بيت فالتقيتم إليه كل يوم رغيفاً ثلاثة أيام ، لعله يتوب أو يرجع !
اللهم لم أشهد ولم آمر ، ولم أرض إذ بلغني »^(٤) .

(١) نهاية ابن الأثير ٤ : ٦٤ ، ١٧٢ .

(١) الفائق ١ : ٦٥٨ .

(٢) نهاية ابن الأثير ٤ : ١٨٥ ، وقال في شرحه : « أي وقع عليه الريو - يعني عمر » .

(٤) الفائق ٢ : ٢٢١ .

يقال : هل من مغربةٍ خير بكسر الراء ، وروى بفتحها ، وأصله البُعد ، ومنه شأؤُ مُعرب .

• • •

وفي حديثه أنه قال : آفقه ليصرن أحدكم أحياه مثل آكلة اللحم ، ثم يرى أنه لا أقيده ، وآفقه^(١) لأقيده^(٢) .
قال أبو عبيد : آكلة اللحم : عصا محددة .

• • •

وفي حديثه : « أعضل بي^(٣) أهل الكوفة ، ما يرضون بأمر ، ولا يرضاهم أمير^(٤) » .
هو من النصال ، وهو الداء والأمر الشديد الذي لا يقوم له صاحبه^(٥) .

• • •

وفي حديثه : أنه حطب فذكر الرِّيا قال : « إن مه أبو نانا لا تمنحني على أحد ، منها السلم في السن ، وأن شياخ التمرة وهي مصيبة ولما تظ ، وأن يباع الذهب بالورق نساء^(٦) » .

قال أبو عبيد : السلم في السن أن يلف الرجل في الرقيق والدواب وغيرها من الحيوان ، لأنه ليس له حد معلوم .

والمصيبة : المتدلية في شجرها ، وكل مترخ أعصف ، أي تكون غير مدركة .

• • •

وفي حديثه : أنه حطب ، فقال : ألا لا تعالوا في صدق النساء ، فإن الرجل يغالى بصدق نراه ، حتى يكون ذلك لها في قلبه عداوة ، تقول : حشمت إليك عرق التربة^(٧) .

(١) في الثاني : « عفر » ، والمر ، ذك : واسمه « أبة » ، فأضرب الياء .

(٢) الثاني ١ : ٣٨ .

(٣) وفي رواية عنها لم يخسر : « غلى أهل الكوفة » .

(٤) الثاني ٢ : ١٦٣ ، وقام الرواية : « استعمل عليهم للؤمن ليعصف ، واستعمل عليهم القاجر

ليجبر » . (٥) نهاية ابن الأثير ٣ : ١٦٤ ، والثاني ١ : ١١٨ . (٦) الثاني ٢ : ١٣٥ .

قال : معناه تكلفت لك حتى عرقت عرق القربة ، وعرقتها : سكلان مائها .

•••

وفي حديثه : أنه رفع إليه غلام ابنهر جارية في شمره ، قال : « انظروا إليه ، فلم يوجد أنبت ، فلدأ عنه الحد^(١) .

قال أبو عبيد : انتهرها ، أي قذفها بدمه ، فقال : فطت بها .

•••

وفي حديثه : أنه قضى في الأرنب محلان إذا قتلتها المحرم^(٢) .

قال : المحلان : الجدى .

•••

وفي حديثه : أنه قال : « حجة هاهنا ، ثم اخرج هاهنا حتى تنفى^(٣) .

قال : يأمر بحجة الإسلام لا غير ، ثم بعدها الفرو في سبيل الله .

حتى تنفى أي حتى تهرم .

•••

وفي حديثه : أنه سافر في عقب رمصان ، وقال : « إن الشهر قد تسمع ، فلو صمنا

بقيته^(٤) .

قال أبو عبيد : السين مكررة مهمة ، والعين مهمة ، أي أدبر وقي .

وفي حديثه - وقد سمع رجلاً حط فأكثر - فقال : « إن كثيراً من الخطب من

شقايق الشيطان^(٥) .

الواحدة شقيقة ، وهو ما يخرج من شلق العجل عند نزوانه ، شبيهة بالثرثرة . والشيطان

(٢) الفائق ١ : ٢٨٦ .

(٤) الفائق ٢ : ١٧٥ .

(١) النهاية ١ : ١٠٠ .

(٣) النهاية ١ : ٢٠٨ .

(٥) الفائق ١ : ٦٧١ .

لا شفقة له ، إنما هذا مثل لما يدخل في الخطب من الكلام المكذوب وتزوير الباطل .

وفي حديثه : أنه قدم مكة ، فأدس أبو مخنورة ، فرفع صوته فقال له : « أما خشيت وأبا مخنورة أن ينشقَّ مَرَبَطَاؤُكَ ^(١) » .

قال : المَرَبَطُ : ما بين السرة إلى العانة ، ويروى بالقصر .

وفي حديثه : أنه سئل عن اللذي ، فقال هو القَطَر ، وفيه الوضوء ^(٢) .

قال : سَاءَ قَطْرًا ^(٣) من قولهم : قَطَرَتِ النَّاقَةُ قَطْرًا ، إذا حَلَسَتْهَا بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ فَلَا يَخْرُجُ الْقَبْنُ إِلَّا قَلِيلًا ، وكذلك اللذي ، وليس اللذي كذلك ، لأنه يخرج منه مقدار كثير .

وفي حديثه : أنه سئل عن حدة الأمة الزانية ، فقال : « إن الأمة أَلَتِ قَرَوَةَ رَأْسِهَا مِنْ وَرَاءِ الدَّارِ ^(٤) » .

قال : القَرَوَةُ : جلدة الرأس ، وهذا مثل ، إنما أراد أنها أَلَتِ الْقِنَاعَ وَتَحَرَّكَ الْحِجَابُ ، وخرجت إلى حيث لا يمكنها أن تمنع من الفجور ، بحورعاية العم ؛ فكانت يرى أن لا حدة عليها .

وفي حديثه ، أنه أتى بشارب ، فقال لأبيتنك إلى رجل لا تأخذك فيك هواة ، فبعث به إلى مطيع بن الأسود العدوي ^(٥) ، فقال : إذا أصبحت غداً فاضربه الحدة ، فجاء عمر

(٢) الفائق ٢ : ٢٨٦ .

(١) الفائق ٣ : ٢٠ .

(٣) قال الزعفراني : وروى « القطر » بالضم . (٤) الفائق ٢ : ٢٦٥ .

(٥) الفائق : « العدوي » .

وهو يضربه ضرباً شديداً ، فقال : قتل الرجل ! كم ضربته ؟ قال : ستين ، قال : « أقص عنه بشرين ^(١) » .

قال : معناه اجعل شدة هذا الصرب قصاصاً بالعشرين التي بقيت من الحد فلا تضربه إلاها .



وفي حديثه أن رجلاً أتاه فذكر له أن شهادة الزور قد كثرت في أرضهم ، فقال : « لا يؤسر أحد في الإسلام بشهادة ^(٢) الزور ، فمن لا نقل إلا العدول » ^(٣) .
قال : لا يؤسر : لا يحبس ، ومنه الأسير : المسجون .



وفي حديثه : أنه حَدَّثَ السمر بعد ^(٤) عَشَةِ عَشَةٍ جَدَّه ^(٥) ، أي عابه ووصمه .

ومثل هذا الحديث في كراهيته السمر حديثه الآخر : أنه كان يشّ الناس بعد العشاء بالدُّرَّة ، ويقول : اصرفوا إلى بيوتكم ^(٦) .

قال : هكذا روى بالشين المعجمة ، وقيل : إن الصحيح « يَنْسَن » بالسين المهملة ، والأظهر أنه يَنْوَشُ الناس بالواو ، من التناول ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ ﴾ ^(٧) .



وفي حديثه : « هاجروا ولا تهجروا ، وانتقروا الأرنب أن يحذفها أحدكم بالعصا ، ولكن ليذك لكم الأسن : الرماح والنُّل » ^(٨) .

(٢) الخاقاني : « لعهداء السوء » .
(٤) الخاقاني : « القبر » .
(٦) النهاية لابن الأثير ٤ : ١٤٥ .
(٨) الخاقاني ٧ : ٤٤٥ .

(١) الخاقاني ٣ : ٢٢٩ .
(٣) الخاقاني ١ : ٣١ .
(٥) الخاقاني ١ : ١٦٤ .
(٧) سورة سبا ٥٢ .

قال : رَوَاهُ زَيْدُ بْنُ حُبَيْشٍ ، قَالَ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ ، فَفَرَجْتُ فِي يَوْمٍ عِيدٍ ، فَإِذَا رَجُلٌ مُتَلَسِّبٌ أَعْسَرَ أَيْسَرَ ، يَمُشِي مَعَ النَّاسِ كَأَنَّهُ رَاكِبٌ ، وَهُوَ يَقُولُ : كَذَا وَكَذَا ، فَإِذَا هُوَ عَمْرٌ ، يَقُولُ : هَاجِرُوا وَأَخْلَصُوا إِلَيَّ هَجْرَةً وَلَا تَهَجِّرُوا .

وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْمُهَاجِرِينَ عَلَى غَيْرِ صَحَّةٍ مِنْكُمْ ، كَقَوْلِكَ : تَحْمِلُ الرَّجُلُ ، وَلَيْسَ بِحَالِمٍ ، وَتَشْجَعُ وَلَيْسَ بِشَجَاعٍ .

وَالذِّكَاةُ : الذَّمُّ . وَالْأَسْلُ أَعْمٌ مِنَ الرَّمَاكِ ، وَأَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُ فِي الرَّمَاكِ خَاصَّةً . وَالتَّلَبُّبُ : التَّعَزُّمُ بِنِيَابِهِ .

وَفُلَانٌ أَعْسَرَ يَسَرَ : يَمْلِكُ بِكُلِّتَا يَدَيْهِ ، وَالَّذِي جَاءَ فِي الرَّوَابَةِ « أَيْسَرَ » بِالْهَمْزَةِ .

وَفِي حَدِيثِهِ : أَنَّهُ أَفْطَرَ فِي رَمَضَانَ ، وَهُوَ يَرَى أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ غَرَبَتْ ، ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا الشَّمْسُ طَالِمَةٌ ، فَقَالَ : « لَا تَقْضِيهِ ؛ مَا تَجَافَيْنَا فِيهِ الْإِسْمَ » ^(١) .

يَقُولُ : لَمْ تَقْضِ فِيهِ الْإِسْمَ ، وَلَا مِلْنَا إِلَيْهِ ، وَاجْتَنَفَ : لَئِيْلٌ .

وَفِي حَدِيثِهِ : أَنَّهُ قَالَ لَمَّا مَاتَ عُمَانُ بْنُ مَظْمُونٍ عَلَى فَرَّاشِهِ : « هَتَّهَ الْمَوْتُ عِنْدِي مِنْدَلَةً حِينَ ^(٢) لَمْ يَمِتْ شَهِيدًا ، فَلَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَرَّاشِهِ وَأَبُو بَكْرٍ ، عَلِمْتُ أَنَّ مَوْتَ الْأَخْيَارِ عَلَى فُرُشِهِمْ ^(٣) .

هَتَّهَ ، أَيُّ طَاطَأَهُ وَحَطَّ مِنْ قَدَرِهِ .

وَفِي حَدِيثِهِ : أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْجَنِّ لَقِيَهُ ، فَقَالَ : هَلْ لَكَ أَنْ تَصْلِيَ عَنِّي ، فَإِنْ صَرَعْتَنِي

(٢) الْمَوْتُ : « حَيْثُ لَمْ يَمِتْ شَهِيدًا » .

(١) الْفَاتِي ١ : ٢١٨ .

(٣) الْفَاتِي ٣ : ١٨٩ .

عَلَّمْتُكَ آيَةً إِذَا قَرَأْتَهَا حِينَ تَدْخُلُ بَيْتَكَ لَمْ يَدْخُلْ شَيْطَانٌ . فَصَارَ عَهْ فُصْرَعُهُ عَمْرٌ ، وَقَالَ لَهُ :
إِنِّي أَرَاكَ مُثِيلًا شَخِيئًا ، كَأَنَّ دِرَاعِيكَ دِرَاعَا كَلْبٍ ، أَفْهَكَدَا أُنْتُمْ كُلُّكُمْ أَيُّهَا الْجَنُّ ، أَمْ
أَنْتَ مِنْ بَيْنِهِمْ ؟ فَقَالَ : إِنِّي مِنْ بَيْنِهِمْ لِصَلْبِي ، فَصَارَ ذِي ، فَصَارَ عَهْ فُصْرَعُهُ الْإِنْسِي ، فَقَالَ :
أَنْقُرْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ؟ فَإِنَّهُ لَا يَرُودُهَا أَحَدٌ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ إِلَّا حَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ ، وَلَهُ خَبَجٌ
كَخَبَجِ الْحَارِ (١) .

قال : رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَقَالَ : خَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الْإِنْسِ ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنَ
الْجَنِّ . . . ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ ، فَقِيلَ لَهُ : هُوَ عَمْرٌ ، فَقَالَ : وَمَنْ عَمْرٍ أَنْ يَكُونَ إِلَّا عَمْرًا !
الشَّحِيحُ : التَّحْيِيفُ الْجَسْمَ ، وَمِنْهُ الشُّخْتُ .
وَالصَّلْبُ : الْعَظِيمُ (٢) الْخَلْقُ .
وَالْخَبَجُ : الْقِرَاطُ .



وَفِي حَدِيثٍ : أَنَّهُ كَانَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، وَهُوَ يَقُولُ : (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (٣) ؛ مَالَهُ هِجَبِيٌّ غَيْرَهَا (٤) .
قال : هِجَبِيٌّ الرَّجُلُ : دَأَاهُ وَدَيْدَاهُ وَشَأْنُهُ (٥) .
ومثلاها من قول عمر : لَوْ أَطِيقُ الْأَذَانَ مَعَ الْخَلْقِ لَأَذَنْتُ .
ومثلاها من قول عمر بن عبد العزيز : لَا رِدِّي فِي الصَّدَقَةِ (٦) ، أَيْ لَا تَرُدَّ .
ومثلاها قول العرب : كَانَتْ بَيْنَهُمْ رَمِيًا ، أَيْ مَرَامَةً ، ثُمَّ حَزَزَتْ بَيْنَهُمْ هِجَبِيٌّ ، أَيْ
مُحَاجَزَةٌ .



(٢) فِي الْخَاتَمِ : د وَالصَّلْبُ : الْمُهْرُ الْجَنِينُ
(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢٠١ .
(٤) (٥) ١٩٤ : ٣ .

(١) الْخَاتَمِ ٢ : ١٨ ، ١٩ .
فَوَافِرُ الْأَصْلَاحِ ، وَتَدْخُلُ صِلَاةٌ .
(٤) الْخَاتَمِ ٣ : ١٩٥ .
(٦) الْخَاتَمِ ١ : ٤٧٥ .

وفي حديثه حين قال للرجل الذي وُجد مشبوحاً فأنابه به ، فقال : عسى الفور
أبو س^(١) ! قال عريفة : يا أمير المؤمنين ، إنه وإنه...^(٢) فأتى عليه خيرا ، وقال : فهو حرٌّ ،
ولاؤه لك^(٣) .

الأبوس : جمع أبس^(٤) والمثل قديم مشهور ، ومراد عمر : لعنك أنت صاحب هذا
للنبوذ ! كأنه اتهمه وساء ظنه فيه ، فلما أتى عليه عريفة - أي كفيله - قال له : هذا للنبوذ
حرٌّ ولاؤه لك ، لأنه ياتقاه إياه من الهلكة كأنه أعتقه .



وفي حديثه : إن فريشا تريد أن تكون مغويات لئال الله^(٥) .
هكذا يروى بالتخفيف والكسر ، والمعروف « مغويات » بتشديد الياء ، وضعها بواحدتها
مغواة ، وهي حفرة كالزبية تحفر للذئب ، ويجعل فيها جذئ^(٦) ؛ فإذا نظر إليها الذئب سقط
يربده فيصاد ، ولهذا قيل : لكل مهلكة مغواة .



وفي حديثه : « فرّقوا عن النية ، واجملوا الرأس رأسين ، ولا تُلثُوا بدار معجزة ،
وأصلحوا مثابكم ، وأخفوا المواق قبل أن تخيفكم ، واخشوشنوا ، واخشوشبوا
وتمعدجوا^(٧) » .

(١) الفائق : « النور : ماء لقلب ؟ وهذا مثل ، أول من تكلم به الرباء الملك حين رأت الإبل
عليها الصناديق ، فاستفكرت شأن قصير إذ أخذ على غير الطريق ؟ أرادت : عسى أن يأتى ذلك الطريق
بسر ، ومراد عمر رضي الله عنه اتهام الرجل بأن يكون صاحب النبوء ، حتى أتى عليه عريفة خيرا » .
(٢) قال في الفائق : « إنه إنه ؟ أراد أنه أمين وعيب ؟ وما أشبه ذلك لحذف .

(٣) الفائق ٢ : ٢٣٩
على ما عليه أصل القياس » .
(٤) الفائق : « واتصاه بسى على أنه خبره

(٦) الفائق ٢ : ٢٦٥ .

(٥) الفائق ٢ : ٢٤٠

قال: «فرقوا عن النية، واجعلوا الرأس رأسين»، أى إذا أراد أحدكم أن يشتري شيئاً من الحيوان كملوك أو دابة فلا يبالغ به، فإنه لا يدري ما يحدث فيه، ولكن ليحصل ثمنه فى رأسين، وإن كان كل واحد منهما دون الأول، فإن مات أحدهما بقى الآخر. وقوله: «ولا تُلثُوا بدار معجزة»، فاللث الث إقامة، أى لا تقيموا ببلد يعجزكم فيه الرزق، ولكن اضربوا فى البلاد فكسب. وهذا شبهه بحديثه الآخر: «إذا اتهم أحدكم فى شيء ثلاث مرات فم يورق منه فليدعه».

والثاوى: النازل، جمع مثوى.

وأخفوا المواقم، أى اتحلوا ما يظهرون دوركم من الحيات والمقارب لتخافكم، فلا تظهر.

واحشونوا: أمر بالخشونة فى العيش، ومثله «أحشوشوا» بالهاء؛ أراد ابتدأ العمل فى العمل والاحتفاء فى المشى ليحفظ الجلد، ويحسوا.

وتعمدوا، قيل إنه من العَلَط أيضاً، يقال للعلام إذا أبت وغلط: قد تعمده. وقيل: أراد تشبهوا بمحمد بن عبدان، وكانوا أهل قشور غلظ فى العاش، أى دعوا التئمت وزى العجم.

وقد جاء عنه فى حديث آخر مثله: «عليكم باللبسة المدية».

وفى حديثه: أنه كتب إلى خالد بن الوليد: «إنه بلغنى أنك دخلت حماماً بالشام هو أن من بها من الأعاجم أعدوا لكم دلوفاً مخرجاً بحراً، وإنى أظنكم آل المفيرة ذرؤ النار»^(١).

الدُّلُوكُ : ما بَدَلْتُكَ بِهِ كَالسَّحُورِ وَالْفُطُورِ وَنَحْوِهَا .

وَدَّرُو النَّارَ : حَلَقَ النَّارَ . وَرَوَى : « ذَرَأَ النَّارَ » بِالْهَمْزَةِ ، مِنْ ذَرَأَ اللَّهُ النَّاسَ ، أَيْ صَوَّرَهُمْ وَأَوْجَدَهُمْ .

• • •

وَفِي حَدِيثِهِ : « اْمْلِكُوا الْمَجِينَ ؛ فَإِنَّ أَحَدَ الرَّيَمِينَ »^(١) .

مَلَكْتُ الْمَجِينَ : أَجَدْتُ نَجْتَهُ .

وَالرَّيْعُ : الزَّيْلَةُ ، وَالرَّيْعُ الثَّانِي مَا يَزِيدُ عِنْدَ حَبْزِهِ فِي التَّنُّورِ .

• • •

وَفِي حَدِيثِهِ حِينَ طُمِنَ ، فَدَحَلَ عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ فَرَأَاهُ مَعْتَمِئًا مِنْ يَسْتَخْلِفُ بَعْدَهُ ، فَذَكَرَ عُمَانٌ قَالًا : كَلِيفٌ بِأَقَارِبِهِ^(٢) ، قَالَ : فَعِلَى ؟ قَالَ : فِيهِ دُعَابَةٌ ، قَالَ : فَطَلْعَةٌ ؟ قَالَ : لَوْلَا بَأْوُ فِيهِ^(٣) ، قَالَ : فَالزَّيْرُ ؟ قَالَ : وَنَحْنَةُ لَيْسَ^(٤) . قَالَ : فَصَبَدَ الرَّحْمَنُ ؟ قَالَ : أَوْه ! ذَكَرْتُ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنَّهُ ضَعِيفٌ ، وَهَذَا الْأَمْرُ لَا يَصْلُحُ لَهُ إِلَّا اللَّيْنُ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، وَالْقَوِيُّ مِنْ غَيْرِ عَنَفٍ^(٥) ، قَالَ : فَعَدَّ^(٦) ؟ قَالَ : ذَلِكَ يَكُونُ فِي مِقْلَبٍ مِنْ مَقَانِبِكُمْ^(٧) .

قَوْلُهُ : « كَلِيفٌ بِأَقَارِبِهِ » أَيْ شَدِيدُ الْحُبِّ لَمْ .

وَالدُّعَابَةُ : الْمَزَاحُ .

(١) الْفَاتِقُ ١ : ٥١٨ .

(٢) الْفَاتِقُ : « وَرَوَى أَحْمَدُ حَقَّهُ وَأَثَرَهُ » .

(٣) الْفَاتِقُ : وَرَوَى أَنَّهُ قَالَ : « الْأَكْنَحُ لَهُ إِنْ فِيهِ نَأْوًا أَوْ نَحْوَةٌ » .

(٤) الْفَاتِقُ : « وَرَوَى خُرْسٌ ضَعِيفٌ أَوْ قَالَ : ضَعِيفٌ » .

(٥) الْفَاتِقُ : وَرَوَى لَا يَصْلُحُ أَنْ يَلِيَ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا حَسِبَ الْقِسْمَةَ ، قَلِيلُ الْمَرَّةِ ، الشَّدِيدُ فِي غَيْرِ

عَنَفٍ ، اللَّيْنُ فِي غَيْرِ صَبَبٍ ، الْجَوَادُ فِي غَيْرِ سُرْفٍ ، الْبَخِيلُ فِي غَيْرِ وَكْفٍ » .

(٦) ابْنُ أَبِي وَهَّابٍ . (٧) الْفَاتِقُ ٤ : ٤٢٥ ، ٤٢٦ .

والباو : الكبر والعظمة .

وقوله : « وعقة نفس » وروى « صبيح » ، ومعناه كلة الشراسة : وشدة الخلق وخُشَّ النفس .

والمقنب : جماعة من الفرسان .

وفي حديثه : أنه قال عام الرمادة : لقد هممت أن أجعل مع كل أهل بيت من المسلمين مثلهم ، فإن الإنسان لا يهلك على نصف شعبه ، فقال له رجل : لو فعلت يا أمير المؤمنين ما كنت فيها ابن ثأداء .

قال : يريد أن الإنسان إذا اقتصر على نصف شعبه ، لم يهلك جوعاً . وابن ثأداء^(١) بفتح الهزة : ابن الأمة^(٢) .



وفي حديثه : أنه قرأ في صلاة للفجر بالناس سورة يوسف ، فلما انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَسْأَلُوهُنَّ أَفْئِدَتِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تُعْلَمُونَ ﴾^(٣) ، بكى حتى سُمع نحيبه^(٤) .

النحيب : صوت السكاء ، يردده الصبي في صَدْرِهِ ولا يخرج به .

وفي حديثه أنه أتى في رِساء - أو إماء - ساعيات^(٥) في الجاهلية ، فأمر بأولادهم أن يقوموا على آباءهم ، فلا يُسْتَرْقُوا^(٦) .

(١) في الثائق يسكون الهزة ، وقال : التأداة : الأمة ؛ سميت بذلك لفسادها لوما ومهانة ، من قولهم ثد للبرك على البحر ، إذا اتل وفسد حتى لم يضر عليه .

(٢) الثائق ١ : ١٤١ ، وفيه رواية أخرى : « إن رجلاً قال له عام الرمادة : لقد انكثت وما كنت فيها ابن ثأداء ، فقال : ذلك لو أنكثت عليهم من مثل الخطاب » .

(٣) سورة يوسف : ٨٦ .

(٤) النهاية لابن الأثير ٤ : ١٤٣ .

(٥) الثائق ١ : ٥٩٥ .

(٦) ساعيت : « ساعيت » .

الساعة : زنا الإمام خاصة^(١) . قضى عمر في أولادهن في الجاهلية أن يسومن على آباتهم ، يدفع الآباء قيمتهم إلى سادات الإمام ، ويصير الأولاد أحراراً لاحقى النسب بآباتهم .

وفي حديثه : « ليس على عرني ملك ، ولستأ سارعين من يد رجل شيئاً أسلم عليهم ، ولكننا نقومهم الملة حملاً من الإبل »^(٢) .

قال : كانت العرب تسيب بعضها بعضاً في الجاهلية ، فيأتى الإسلام والمسي في يد الإنسان كالمملوك له ؛ قصى عمر في مثل هذا أن يردُّ حرّاً إلى نبيه ، ونكون قيمته على ماله يؤذيها إلى الذي ساء ، لأنه أسلم وهو في يده ، وقيته كأنما ما كان خسر من الإبل^(٣) .

قوله : « والملة » أى تقوم ملة الإنسان وشرعها .

وفي حديثه لما ادعى الأشعث بن قيس رقاب أهل نجران ، لأنه كان سبام في الجاهلية واستعدهم تغلباً فصاروا كماليك ، طما أسموا أسوأ عليه ، تخافهم عند عمر في رقابهم ، قالوا : وأمر المؤمنين ، إنما كماله عيذ مملكة ، ولم تكن عبد قين . فتميط عمر عليه ، وقال : « أردت أن تتغلبني ! »^(٤) .

يعنى أردت تغلبني .

(١) الفائق : « ساعطاً فلان ، إذا جربها ، وهو من الحى ، كفى كل واحد منها يعى لصاحبه » .

(٢) النهاية : ٤ : ١٩ .

(٣) في النهاية عن الأزهري : « كان أهل الجاهلية يشتون الإمام ويلدو لهم ، فكانوا يسبون إلى آباتهم ، وهم عرب ، فرأى عمر أن يردم على آباتهم ، فيشتون ، ويأخذ من آباتهم لمواليهم من كل واحد حملاً من الإبل » .

(٤) الفائق ٢ : ٣٨٠ ، وقال : « وروى أن تغلبني » ، والتمت طلب الممت .

وعبدقن ملك وملك أبواه ، وعدد ممكة بفتح اللام وضمتها : من غلب عليه واستعبد ، وكان في الأصل حُرّاً ، قضى عمر فيهم أن يصيرهم أحراراً بلا عوض ، لأنه ليس بسبأ على ^(١) الحقيقة .

•••

وفي حديثه : أنه قضى في ولد للفرور بفرّة ^(٢) .
قال : هو الرجل يزوج رجلاً آخر ممكةً لإنسان آخر على أنها حرة ، قضى عمر أن يفرّم الزوج لولي الأمة عمة ، أي عدا أو أمة ، ويكون ولده حُرّاً ، ثم يرجع الرجل الزوج على من غرّمه عما غرم .



وفي حديثه : أنه رأى جارية ممكة ، قال عنها فقالوا : أمة آل فلان ، فصرّتها بالدرّة صربات ، وقال : بالكما : أنشئين فطران ^(٣) !
قال : متكمكة : لاسة قناع ، بأصله من الكمة ، وهي كالنفسوة ، هو الأصل مكمة ، فأعاد الكاف ، كما قالوا : كفك فلان عن كذا ، ونصره من الباب .
ولكما . ولكاع بالكسر والناء : شتم للأمة ، وللرجل يقال : بالكع .

•••

وفي حديثه : « وَرَّعَ اللَّصَّ وَلَا تُرَاعَهُ » ^(٤) .
يقول : ادفعه إذا رأيته في منزلك واكفّعه بما استطعت ، ولا تنتظر فيه شيئاً ، وكلُّ

(١) ١ : « في الحقيقة » .

(٢) الثاني ٢ : ٤٢٩ .

(٣) النهاية لابن الأثير ٢ : ١٥٦ .

(٤) نهاية ابن الأثير ٤ : ٢٠٥ .

(١٠ - نهج - ١٢)

شيء كفهده فقد ورعته ، وكل ما تنتظره فأنت تراعيه ؛ والمعنى أنه رخص في الإقدام على اللص بالسلح ، وهي أن يملك عنه ما نأما .

• • •

وفي حديثه : أن رجلا أتاه ، فقال : إن ابن عمي شج موضع ، فقال : أمن أهل القرى أم من أهل البادية ؟ قال : من أهل البادية ، فقال عمر : إنا لا نتعافل المصغ يسا^(١) . قال : سمأها مصغاً ، استصمراً لها ولأمثالها كالسن والإصبع . قال : ومثل ذلك لا تحمله العاقلة عند كثير من الفقهاء ، وكذلك كل ما كان دون الثلث .

• • •

وفي حديثه : أنه لما حصب المسجد ، قال له فلان : لم فعلت ؟ قال : هو أغفر للشحامة ، وألین فی الموطأ^(٢) . أغفر لها : أستر لها . وحصب المسجد : قرشه بالحصباء ؛ وهي رمل فيه حصى صغار .

• • •

وفي حديثه : أن الحارث بن أوس سأل عن المرأة تطوف بالبيت ، ثم تنفر من غير أن تطوف طواف الصدر إذا كانت حائضا ، فيها عمر عن ذلك ، فقال الحارث : كذلك أفناني رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال عمر : أريت بذلك ! أنسألى ؛ وقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كي أخالفه^(٣) ! قال : دعا عليه بقطع اليدين ؛ من قولك : قطعت الشاة إربا إربا^(٤) .

• • •

(١) الفائق ٣ : ١٦٨ ، ومعجم الأمور - ككر - صطرحا .
(٢) الفائق ١ : ٢٣ .
(٣) الإرب : الصور .
(٤) الفائق ١ : ٢٦٥ .

وفي حديثه أنه سمع رجلاً يتعوذ من الفتن ، فقال عمر : اللهم إني أعوذ بك من الصَّعَاطَةِ ، أنسأل ربك ألا يرققك مالا وولداً^(١) !
قال : أراد قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَثْمَالُكُمْ وَأُولَادُكُمْ فَتِمَّةٌ ﴾^(٢) . والصَّعَاطَةُ : الخفق وضغف العقل ، رجل ضعیط ، أى أحق .

وفي حديثه : « ما هالُ رجالٍ لا يزال أحدهم كاسراً وسادة عند امرأة مُفْرِية ، يتحدث إليها وتتحدث إليه ! عليكم بالحنبة فإنها عَفَفٌ ، إنما النساء يَحْمُنَّ على وَضْمٍ إلا ما ذُبَّ عنه^(٣) » .

قال : مُفْرِية ، قد غرا روحها ، فهي حالب عنها ، أعرت المرأة ، إذا كان بملها غارياً ، وكذلك أغانت فهي مُعْبِية .
وعليكم بالحنبة ، أى الناحية ، بقول : تَنَحَّوْا عَنْهَا وَكَلِّوْهُنَّ مِنْ خَارِجِ الْبَيْتِ .
والوَضْم : الحشبة أو البارية يُحْمَلُ عليها الأثمن .

قال : وهذا مثل حديثه الآخر : « ألا لا بدعان رجلٌ على امرأة وإن قيل حموها ، ألا حموها الموت^(٤) » .

قال : دعا عليها . فإذا كان هذا رأيه في أبى الزوج وهو محرم لها فكيف بالقرب !

وفي حديثه : « إن بيعة أبى مكر كانت فِدْنَةً وَفَى الله شرها ، فلا بيعة إلا عن مشورة ؛ وأيضاً رجل بايع رجلاً عن غير مشورة فلا يؤمر واحدٌ منهما بغير أن يُقتل^(٥) » .
قال : التفرة : التفرير ، غررت بالقوم تفريراً وتفرّةً ، كقولك : حَلَلْتَ اليَمِينَ تحليلاً

(٢) سورة الناب : ١٥ .

(٤) لقائى : ١ : ١٩٥ .

(١) التباة : ٣ : ٢٢

(٣) القاتى : ٢ : ٤١١

(٥) القاتى : ٢ : ٢٩٧ .

ونجدة ، ومثله في الضاعف كثير ، أى أن في ذلك تضريرا بأنفسهما وتعريضا لهما أن يقتلا .

• • •

وفي حديثه : « إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته » ، وقال : انتمش تمشك الله ، وإذا تكبر وعدا طوره وهصه الله إلى الأرض ^(١) .
قال : وهصه أى كسره . وعدا طوره ، أى قدره .

• • •

وفي حديثه : « حجوا بالذرية ، لاتأكلوا أرزاقها ، وتدروا أرباقها في أعناقها » ^(٢) .
قال : أراد بالذرية هنا النساء ولم يرد الصبيان ، لأنه لاحق عليهم .
والأرباق : جمع ربق ، وهو الحبل .

• • •

وفي حديثه : أنه وقف بين الجنتين - وهما داران لفلان - فقال : « شوى ^(٣) أحوك ، حتى إذا انضج رمد » ^(٤) .

هذا مثل يضرب للرجل يصع معروفا ثم يخسره .

• • •

وفي حديثه : « السائبة والصدقة ليومها » ^(٥) .
قال : السائبة : الممتق .

(١) الفائق ١ : ٢٧٩ ، وقال : « الحكمة من الإنسان . أسفل وجهه ، ورفع الحكمة ، كسائه من الإعراف ، لأن من حفة الدليل أن يكس ويضرب بدهنه وصدرة . وقيل : الحكمة : القدر والثروة من قولهم : لا يقدر على هذا من هو أعظم حكمة منك » .

(٢) الفائق ١ : ٤٢٨ .

(٣) في الأصول : « شوى » ، وما أنجسه من الصائق ، وشوى ، أى ألقي الشواء في النار ، قال الرغزنى : « وهذا مثل ، نحوه قولهم : « لئلا تهدم الصنية » .

(٤) رمد : ألقاه في الرماد ، والجرى الفائق ١ : ٥٠٧ . (٥) الفائق ١ : ٦٣٠ .

وليومهما : ليوم القيامة الذي فعل ما فعله لأجله .

وفي حديثه : « لا تشترُوا رقيقَ أهلِ الدِّمَةِ ، فإنَّهم أهلُ خراجٍ يؤدِّي بعضهم عن بعض : وأرضهم فلا تنازعوها ، ولا يقرنُ أحدكم بالصَّاعِ بعد إذ نجاه الله » .
قال : كره أن يشتري أرضهم المسلمون وعليها خراج ، فيصير الخراج منتقلاً إلى المسلم ، وإنما منع من شراء رقيقهم ، لأنَّ حرَّيتهم تسكثُر على حسب كثرة رقيقهم ، فإذا ابتاع رقيقهم قُلت حُرِّيَّتُهم ، وإذا أُقِلَّت حرَّيتُهم بقَتِ بيتُ المال .

وفي حديثه في فنون النَّجَرِ : « وإليك سعي ومُحَنِّدٌ ، نرحو رحمتك ، ومُحَشِي عَذَابِكَ ، إنَّ عَذَابَكَ بالكُفَّارِ مُلْحِقٌ ^(١) » .
قال : حَمَدُ الْعَبْدِ مَوْلَاهُ يَحْمَدُ أَيَّ حَمْدٍ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ تَبِينَ وَحَمْدَةٌ ﴾ ^(٢) أي خَدَمًا .

ومُلْحِقٌ : اسم فاعل بمعنى لاحق من أُلْحِقَ ، وهو لُفَّةٌ في لَحَقَ ، يقال : لَحَقْتُ زَيْدًا ، وأُلْحَقُهُ بمعنى .

وفي حديثه : « لا تشترُوا الذَّهَبَ بِالْفَصَّةِ إِلَّا بِدَأْ بِيَدٍ ، هَاءٌ وَهَاءٌ ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ الرَّمَاءَ » ^(٣) .

قال : الرَّمَاءُ : الزِّيَادَةُ وهو بمعنى الرَّمَا ، يَرْمِي : أَرْمَيْتُ عَلَى الْخَسِينِ ، أَيِ زِدْتُ عَلَيْهَا .

(٢) سورة النحل ٧٢ .

(١) النهاية ١ : ٢٣٩ .

(٣) النهاية ٢ : ١٠٧ هاء وهاء : صوب بمعنى خذ .

وفي حديثه : مَنْ لَبَّدَ أَوْ عَقَصَ أَوْ صَفَّرَ ، فَعَلِيهِ الْحُلُقُ «^(١) .

قال : التلييد أن تحمل في رأسك شيئاً من صَبْغٍ أَوْ عَمَلٍ يَمِيعُ مِنْ أَنْ يَقْلُ .
وَالْعَقَصُ وَالصَّفَرُ : قَتْلُ الشَّعْرِ وَنَجْهُ .

• • •

وفي حديثه : « مَا تَصَدَّقْتُ بِخِطْبَةٍ ^(٢) كَمَا تَصَدَّقْتُ بِخِطْبَةِ النِّكَاحِ » ^(٣) .

قال : بِمَعْنَاهُ مَا شَقَّ عَلَيَّ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الصَّعُودِ ، وَهِيَ الْعُقْبَةُ لِلنَّكَاحِ ، قَالَ نَعَالِي :
(سَأَرَهَتْهُ صَعُوداً) ^(٤) .

• • •

وفي حديثه أنه قال للمالك بن أنس : « يَا مَالِكُ ، إِنَّهُ قَدْ دَفَّتْ عَلَيْكَ مِنْ قَوْمِكَ دَافَةً ،
وَقَدْ أَمَرْنَا لَمْ يَرْضَخْ فَاقْسِمْ فِيهِمْ » ^(٥) .
قال : الدافاة : جِغَاعَةٌ تَصِيرُ سِيرًا لَيْسَ بِأَشَدِّ مِنْهَا .

• • •

وفي حديثه : أَنَسَالُ جَيْشًا ، قَالَ : « هَلْ تَبْتَ لَكُمْ الْعِدَّةُ قَدَرِ حَلْبِ شَاةٍ بِكَيْفَةٍ » ^(٦) ؟
قال : الْكَيْفَةُ : الْقَلِيلَةُ مِنَ الْبَيْتِ .

• • •

وفي حديثه أنه قال في مُنْعَةِ الْحَجِّ : « قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَضَّلَهَا وَأَصْحَابَهَا ، وَلَكِنْ كَرِهَتْ أَنْ يَطْأُوا هُنَّ مُعْرِسِينَ تَحْتَ الْأَرَاكِ ، ثُمَّ يَلْبِثُونَ بِالْحَجِّ
تَتَمَارَرُ مَوْسِمَهُمْ » ^(٧) .

(١) الفائق ٢ : ٤٤٦ .

(٢) الفائق : « شَيْءٌ » ، وَوَيْلٌ : « مَا تَكَادَتْ شَيْءٌ » مَا تَكَادَتْ خِطْبَةُ النِّكَاحِ .

(٣) الفائق ٢ : ٢٤٤ . (٤) سورة الدھر ١٧ .

(٥) الفائق ١ : ٤٠٢ . (٦) نهاية ابن الأثير ١ : ٩٠ .

(٧) الفائق ٢ : ١٣٦ .

قال : المرئس : الذي يَنْشَى امرأته . قال : كره أن يحل الرجل من عُمرته ، ثم يأتي النساء ، ثم يهل بالحج .

• • •

وفي حديثه : « نعم للرء صبيب ، لو لم يخف الله لم يصمه » .
قال : للمعنى أنه لا يترك المعصية خوفاً العقاب ، بل يتركها لتبجحها ، فلو كان لا يخاف عقوبة الله لترك المعصية .

• • •

وفي حديثه : أنه أتى بكران في شهر رمضان ، فقال : للسخرين للسخرين ، أصبياتنا حيام وأمت مفطر !
قال : معناه الدعاء عليه ، كقولك : كُتِبَ الله للسخرين ! وكقولهم : للدين وللعم !

• • •

وفي حديثه أنه قال لما توفى رسول الله صل الله عليه وآله ، قام أبو بكر فتلا هذه الآية في خطبته : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِثْمُ مَيِّتُونَ)^(١) . قال عمر : ففِرْتُ حق وقَمْتُ إلى الأرض^(٢) .
قال : يقال للرجل : إذا بُيِّتَ وبقي متعبراً دهشاً : قد عقر ، ومثله يعل وخرق .

• • •

وفي حديثه أنه كتب إلى أبي عبيدة وهو بالشام حين وقع بها الطاعون : « إنَّ الأردن أرض كُحْمَة ، وإنَّ الجابية أرض نَزْهَة ، فأظهروا عن معك من المسلمين إلى الجابية »^(٣) .

(١) سورة الزمر ٢٠

(٢) النهاية ٣ : ١١٤

(٣) الحاشي ٢ : ٢٣٦ .

قال : المِمْتة : الكثيرة الأداة والوباء ، والنزْهة : البعيدة من ذلك .

• • •

وفي حديثه : أنه قال لبعضهم في كلام كلمه له : « بل تحوشك فتة »^(١) .

قال : معناه تحالطك وتحشك على ركوسها . قال : وتحوش مثل : تجوس ، بالجيم ؛ قال تعالى : ﴿ فَجَاسُوا خِلَالَ الدُّبَارِ ﴾^(٢) .

• • •

وفي حديثه حين ذكر الجراد ، قال : « وددت أن عندما منه قفعة أو قفعتين »^(٣) .

قال : القفعة : شيء شبيه بالرنيل ، ليس بالكبير ، يمل من حوص ليس له عُرْوى ؛ وهو الذي يسمى القففة .

• • •

وفي حديثه : أن أذينة المدي أتاه يسأله ، فقال : إني حَتَحْتُ من رأس هزاو خارك ، أو بعض هذه المرافف ، فمن أين أعتمر ؟ فقال : اثت عليا ، فأسأله ، عدأته ، فقال : من حيث اشتدأت^(٤) .

قال : رأس هزاو خارك موضعان من ساحل فارس ، والمرافف : كل قرية تكون بين التّز وملاد الربف ، وهي المراع أيضا ، كالأبيار وعين التمر والحيرة .

• • •

وفي حديثه : أنه سبى عن المكابلة^(٥) .

قال : مصاه مكافأة الفحل القبيح بمثله !

• • •

(٢) سورة الإسراء •
(٤) الفائق ١ : ٤٤٣ .

(١) النهاية ١ : ١٢٠ .
(٣) النهاية لابن الأثير ١ : ٢٦٨ .
(٥) النهاية لابن الأثير ٤ : ٤٢ .

وفي حديثه : « ليس الفقير الذي لا مال له ، إنما الفقير الأخلق الكسب »^(١) .
 قال : أراد الرجل الذي لا يرى رأى في ماله ، ولا يصيب بالمصائب ، وأصله أن يقال للحمل
 المصمت الذي لا يؤثر فيه شيء : أخلق . وصخرة حنقاء ، إذا كانت كذلك ، فأراد عمر
 أن الفقر الأكبر إنما هو فقر الآخرة ، لمن لم يقدم من ماله لنفسه شيئاً يثاب عليه هناك .
 وهذا نحو قول النبي صلى الله عليه وآله : « ليس الرقوب »^(٢) الذي لا يبقى له ولد ،
 إنما الرقوب الذي لم يقدم من ولده أحداً .
 فهذا ما خلصته من عريب كلام عمر من كتب إلى عبيد .

وَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ قَبِيَّةٍ مِنْ عَرِيبٍ حَدِيثُهُ فِي كِتَابِهِ ، فَأَنَا أَلْحَمُّ مِنْهُ مَا أَنَا ذَاكِرُهُ .
 قال ابنُ قَبِيَّةٍ : فَمِنْ عَرِيبٍ حَدِيثُ عُمَرَ أَنَّهُ حَذَّرَ ، فَقَالَ : إِنْ أَحْوَفَ مَا أَحَافَ
 عَلَيْكُمْ أَنْ يُوَحِّدَ الرَّحْلَ الْمُسْلِمَ الْهَرَبِيَّ عِنْدَ اللَّهِ فَيُدْسِرَ كَمَا يُدْسِرُ الْجُرُورُ ، وَيَشَاطُ لَحْمَهُ
 كَمَا يَشَاطُ لَحْمُ الْجُرُورِ ، يَقَالُ : عَاصٍ وَلَيْسَ بِعَاصٍ . فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَكَيْفَ ذَلِكَ
 وَلَمَّا تَشَدَّ الْبَايَةُ ، وَتَظْهَرُ الْحَيَّةُ ، وَنَسِيَ الْمَرْيَةَ ، وَتَدْقُهُمُ الْعَيْنُ دَقَّ الرِّيحِ يَشْفَاهَا^(٣) !
 قال ابنُ قَبِيَّةٍ : يُدْسِرُ أَيُّ يُدْخَعُ ، وَمِنْهُ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ : لَيْسَ فِي الْعَنْبَرِ زَكَاةٌ ،
 إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يُدْسِرُهُ السَّحَرُ^(٤) .
 وَيَشَاطُ لَحْمُهُ ، أَيُّ يَقْطَعُ وَيُنْصَعُ ، وَالْأَصْلُ فِي الْإِشْطَاةِ الْإِحْرَاقُ ، فَاسْتَعِيرَ ، وَفِي الْحَدِيثِ :
 « إِنْ زَيْدٌ مِنْ حَارِثَةٍ قَاتَلَ يَوْمَ مُؤْتَةِ حَتَّى شَاطَتْ رِمَاحُ الْقَوْمِ » .
 وَالنُّعَالُ : جِلْدَةٌ تَبْسُطُ تَحْتَ الرِّيحِ فَيَقَعُ عَلَيْهَا الدَّقِيقُ .

(١) العائلي ١ : ٣٦٦ (٢) سباه ابن الأثير ٢ : ٩٥ .
 (٣) العائلي ١ : ٣٩٧ (٤) العائلي ١ : ٣٩٧ وفيه : « سره البحر »

وفي حديث عمر : « القسامة ^(١) تُوجب العقْل ، ولا تُشيط الدم » ^(٢) .
قال ابن قتيبة : العقْل : الدية ، بقول : إذا حلفت فإنما تجب الدية لا القود ، وقدرى
عن ابن الزبير وعمر بن عبد العزيز أنهما أقادا بالقسامة .



وفي حديثه : « لا تظفروا حتى تروا الليل يفسق على الظراب » ^(٣) .
قال : يفسق ، أى يظلم .
والظراب : جمع ظرب ، وهو ما كان دون الجبل ، وإنما خص الظراب بالذكر
لنقصها ، أراد أن طلة الليل تقرب من الأرض .



وفي حديثه : أن رجلاً كسيراً ^(٤) منه عظم فأتى عمر يطلب القود ، فأبى أن يقتصر له ،
فقال الرجل : فكسير عظمي إن كالأرقم ، إن يقتل ينقم ، وإن يترك يلقم ، فقال عمر :
« هو كالأرقم » ^(٥) .

قال : كانت الجاهلية تزعم أن الجن يتصور بعضهم في صورة الحيات ، وأن من قتل
حية منها طلبت الحية بالثأر ، فرثما مات أو أصابه خنل ، فهذا معنى قوله : « إن يقتل ينقم » .
ومعنى « يلقم » يقول : إن تركته أكك ، وهذا مثل يضرب للرجل يجتمع عليه أصران من
الشر لا يدري كيف يصنع فيهما ، ونحوه قولهم : هو كالأشقر إن تقدم عقر وإن تأخر محر .

(١) في الفائق : « القسامة مخرجة على ماء الزمانة والجمالة لا يلزم أهل المحلة إذا وجد قتيل فيها لا يعلم
قاتله من الحكومة بأن يقيم حسون منهم ، ليس فيهم صبي ولا مجنون ولا امرأة ولا عبد ؛ يشعرون الزوال
وقسمهم أن يقولوا : بالله ما قتلنا ولا عدنا له قتلا ، فإذا أقسموا نصي على أهل المحلة بالدية ، وإن لم يكلوا
حين كررت عليهم الأيمان حتى تبلغ حين يجيأ » .

(٢) الفائق ٢ : ٢٢٦ .

(٣) الفائق ٢ : ٢٤٥ .

(٤) النهاية ٤ : ٦٤ ، ١٧٣ .

قال : وإنما لم يقده لأنه يخاف من القصاص في العظم الموت ، ولكن فيه الدُّيَّة .

•••

وفي حديثه : أنه أتى مسجد قباء ، فرأى فيه شيئاً من غبار وعنكوت ، فقال لرحل : « اتقني بحريذة واتق الموأين » ، قال : فحنته بها ، فربط كميته بوزمة ، ثم أخذ الجريدة ، فجعل يتتبع بها الغبار ^(١) .

قال : الجريدة : السُّفَّة ، وحمها حرير .

والموأن : السمَّات التي يلبس القُبَّة ، والقُبَّة جمع قُلْب ، وأهل نجد يسمون الموأن الخواني ، وإنما نهاه عنها إشفاقاً على القُب أن يصرَّبه قطعها .
والوَزْمَة : سيرٌ من سيور الدلو يكون بين آذان الدلو والعراقي .

(•••)

وفي حديثه : « ألا لا تضرُوا المسلمين فتدلوهم ، ولا تسموهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تجمروهم فتقتوهم » ^(٢) .

قال : التَّجْمِير : ترك الجيش في منازلهم لا يقتلون .

•••

وفي حديثه : أنه أتى مَرُوط ، فقسمها بين نساء المسلمين ، ورفع مِرْطاً بقي إلى أم سُلَوط الأنصارية ، وقال : « إنها كانت تزفِر القِرَب يوم أحد نسق المسلمين » .
قال : تزفِرُها : تحملها ، ومنه زُفَر ، اسم رجل كان يحمل الأختال .

•••

(١) الفائق ١ : ١٨٥ .

(٢) نهاية ابن الأثير ٢ : ١٢٧ .

وفي حديثه أنه قال : « أعطوا من الصدقة من أقت له السنة غمًا ، ولا تعطوا من أقت له السنة عمنين » ^(١) .

قال : السنة : هاهنا الأرمسة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسُّبُنِ ﴾ ^(٢) .

قال : وكان عمر لا يجير ككاحا في عام سنة ، يقول : « لعل الصبيعة تحمّلهم على أن ينكحوا غير الأكفاء » .

وكان أيضًا لا يقطع سارقًا في عام سنة .

وقوله : « غمًا » أى قطعة من المم ، يقال لفلان : غمّان ، أى قطعتان من المم ، وأراد عمر أن من له قطعتان عني لا يعطى من الصدقة شيئًا ؛ لأنها لم تكن قطعتين إلا لكثرةها .



وفي حديثه أنه انكفأ لونه في عام الرمادة حين قال : « لا آكل سمنا ولا سمينا ، وأنه اتخذ أهام كان يطعم الناس قِدْحًا فيه قرص ، فكان يطوف على القِصَاع فيفمز القِدْح ، فإن لم تبلغ الثريدة القِرْص قل : فانظر ماذا يفعل » ^(٣) صاحب الطعام ^(٤) .

قال : انكفأ : تغير عن حاله ، وأصده الانقلاب ، من كعأت الإناء .

وسمى عام الرمادة من قولهم : أرمد الناس ، إذا جهدوا ، والرمد : الهلاك .

والقِدْح : السهم . والقِرْص : الحر ، جعل عمر هذا الحر علامة لصمق الثريد في الصعفة .



(١) الخاقاني ١ : ٦١٧ .

(٢) سورة الأعراف ١٣٠ .

(٣) الخاقاني : « بقى ولي العظم »

(٤) الخاقاني ٢ : ٤١٧ ، ٤١٨ .

وفي حديثه : أن عطاء بن يسار ، قال : قلت الوليد بن عبد الملك : روي لي أن عمر بن الخطاب قال : وددت أني سلت من الخلافة كغفارا لا علي ولاي ، قال : كذبت^(١) ! الخليفة يقول هذا ! قلت : أو كذبت ؟ فأفقت منه بجريرة الذقن^(٢) .
قال يقال حلس من خصمه كغفارا ، أي كفت كل واحد منهما عن صاحبه ، فلم يل أحدهما من الآخر شيئا^(٣) .

وأفقت فلان بجريرة ذقن ، أي أن نفسه قد صارت في فيه . وجريرة : تصغير جرعة .

قلت : وإنما استعظم الوليد ذلك ، لأن بني أمية كانوا يرون أن من ولي الخلافة فقد وجبت له الجنة ، ولهذا خطب هشام يوم ولي ، قال : الحمد لله الذي أنقذني من النار بهذا المقام .



وفي حديثه : أن سماك بن حرب ، قال : رأيت عمر ، فرأيت رجلا أرواح كانه راكب ، والناس يمشون كأنه من رجال بني سدوس^(٤) .
قال : الأرواح الذي تتداني عقباه ، وتتباعد صدور قديميه ، يقال : أرواح : بين الروح ، والأفنج : الذي تتداني صدور قديميه ، وتتباعد عقباه وتتفتح ساقاه ، والأذرع : الذي يميل إبهام رجله على أصابعه حتى يزول ، فيرى شخص أصلها خارجا ، وهو الركع ، ومنه أمة وكماء .

وبنو سدوس : نخذ من بني شيبان ، والطول أغلب عليهم .



(١) الأصول : « كذب » ، وصوابه ما في الثاني .

(٢) الثاني ٢ : ٤٢١ (٣) فسر صاحب الثاني ، وقال : « أي رأساً برأس

لا أرزا منك ولا ترزا مني وحقيقته ، أكف عنك وتكف عني » .

(٤) النهاية لابن الأثير ٢ : ١١٠ .

وفي حديثه عن ابن عباس ، قال : دعاني فإذا حصير بين يديه ، عليه الذهب منشور
نثر الخثا ، فأمرني بقسمه ^(١) .

قال : الخثا : الثبن ^(٢) مقصور ، قال الراجز يهجو رجلاً :
وبأكل التمر ولا يلقى التوى ولا يوارى فرجه إذا اصغى
• كأنه عرارة ملأى حثا •

• • •

وفي حديثه أنه قال : « النساء ثلاث ، فهنة لينة عفيفة مدلة ، تعين أهلها على
المعيش ، ولا تعين الفيش على أهلها ، وأخرى وعاء للولد ، وأخرى غلّ قيل يضعه الله
في عنق من يشاء ، ويحكّه عن يشاء . والرجال ثلاثة : رجل ذو رأي وعقل ، ورجل
إذا حربه أمر أتى ذا رأي فاستشاره ، ورجل حائر بائر ، لا ياتمر رشداً ، ولا يطيع
مرشداً » ^(٣) .

قال النائر : المالك ، قال تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ ^(٤) . والأصل في قوله :
« غلّ قيل » ، أنهم كانوا يعملون بالقيد وعليه الشعر ، فيقبل على الرجال .
ولا ياتمر رشداً ، أي لا يأتي رشداً من ذات نفسه ، يقال لمن فعل الشيء من غير
مشاورة : قد اتهم ، وبئس ما اتهمت لنفسك ، قال الشعر بن تولى :
واعلم أن كل مؤتمر محط في الرأي أحيما

• • •

وفي حديثه أنه خرج ليلة في شهر رمضان ، والناس أوزاع ، فقال : « إني لأظن
لو جمعناهم على قاري واحد كان أفضل » ، فأمر أبي بن كعب فأتهم ، ثم خرج ليلة وهم

(١) النهاية ١ : ٢٠١ .

(٢) النهاية : « دقق الص » .

(٣) اللسان ١٨ : ١٧٩ ، وذكر به :

تسألني عن زوجها أي متى خبّ جروز وإذا جاع بكى

(٤) سورة التبع ١٢ .

(٥) الفائق ٣ : ٢٢٤

يصلّون بصلاته ، فقال : « نم البدعة هذه ! والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون »^(١) .
قال : الأوزاع : الفرق ، يريد أنهم كانوا يصلّون فرادى^(٢) ، يقال : وزعتُ الليل
بينهم ، أي فرّقته .

وقوله : « والتي ينامون عنها أفضل » ، يريد صلاة آخر الليل ، فإنها خير من
صلاة أوله .

• • •

وفي حديثه أن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله تذاكروا الوتر ، فقال أبو بكر :
أما أنا فأبدأ بالوتر ، وقال عمر : لكتي أوتر حين ينام الضمطي^(٣) .
قال : هو جمع ضميط ، وهو الرجل الجاهل الضعيف الرأي .
ومنه ما روى عن ابن عباس ، رآه قال : لو لم يطلب الناس مديم عثمان لرُموا بالحجارة
من السماء ، فقيل : أتقول هذا وأنت عامل لقلائق ؟ فقال : إن في صمطات ، وهذه إحدى
صمطاتي^(٤) .

• • •

وفي حديثه أنه قال في وصيته : « إن تؤقيت وفي يدي مِرْمة ابن الأَكْوع ؛ فستبها
سنة تمخ^(٥) .

(١) الفائق ٣ : ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) في الفائق : « يريد أنهم كانوا يقتلون بعد صلاة العشاء فرقا » ، قال اللب بن علس :

أَحَلَّتْ بَيْنَكَ بِالْجَمْعِ وَبَعْضُهُمْ مَفْرَقٌ لِيَجُلَّ فِي الْأَوْزَاعِ

(٣) الفائق ٣ : ٦٧ .

(٤) الفائق ٣ : ٦٧ .

(٥) الفائق ٦ : ٢١ .

قال : الصَّرمَةُ هاهنا : قطعة من الخُل ، ويقال للقطعة الخفيفة من الإبل : صرمة ، ويقال لصاحبها مُصَرِّم ، ولعله قيل للمقل ، مُصَرِّم من هذا .
وَتَمَحَّغ : مال كان لمصر ، ووقته .

• • •

روى حديثه : أنه لما قدم الشام تفحَّل له أسراء الشام^(١) .
قال : أى احتوشنوا له فى الرِّى واللباس والمطعم تشبها به ، وأحمله من الفعل ، لأنَّ التصنع فى اللباس والقيام على النفس ، إى هو عندهم للإثبات لا للمعول .

• • •

روى حديثه : أنه قدم مكة ، فبُذِلَ من يَطِ موصع المقام — وكان السَّيل احتمله من مكانه — فقال للطلَّاب من أى وداعة السَّهْبِ : بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، قد كنت قدَّرتَه وذرعته بِمَقَامٍ عِنْدِي^(٢) .

قال : المَقَام : الحبل ، وجمعه مَقَط .

• • •

روى حديثه أنه قال للذى قتل الطَّي وهو محرم : « حدِّثْنا من الفَمِّ فتصدَّقْ بلحمها ، وأسقِ إهابها »^(٣) .
قال : الإهاب : الجلد .

وَأَسَقَهُ ، أى أحمله سِقَاءً لمبرك ، كما تقول : أسقى عبلا ، أى أحمله لى سِقَاءٍ وَأَقْدَبِى حَيْلاً ، أى أعطى خيلاً أقودها ، وأسقى إبلا : أعطى إبلا أسوقها .

(٢) الثاني ٣ : ٤١ .

(١) الثاني ٢ : ٢٥٠ .

(٣) النهاية ٣ : ١٧٠ .

وقالت بنو تميم للحجاج : أقبِزنا صالحاً ، بمنون صالح بن عبد الرحمن ، وكان قتله وصابه ، فسألوه أن يملكهم من دفته .

• • •

وفي حديثه : أنه ذكر عنده التمر والزبيب : أيهما أفضل ؟ وروى أنه قال لرجل من أهل الطائف : الخلة أفضل أم الحلة ؟ فأرسل إلى أبي حشمة الأنصاري ، فقال : إن هؤلاء اختلفوا في التمر والزبيب أيهما أفضل .

وفي رواية أخرى : وجاء أبو عمرة عبد الرحمن بن محسن الأنصاري ، فقال أبو حشمة : ليس الصنبر في رموس الرقل ، الراسحت في الوحل ، المطبات في المحل ، تلة الصق ، وقرى الصيف ، وبه يُحترش الصب في الأرض الصماء ، كريب إن أكلته صرست ، وإن تركته غرثت .

وفي الرواية الأخرى : فقال أبو عمرة : الزبيب إن آكله أصرس ، وإن أتركه أغرث ، ليس كالصنبر في رموس الرقل ، الراسحات في الوحل ، والمطبات في المحل ، خرق الصائم ، وتعمة الكبير ، وصنمة الصغير ، وخروسة مريم ، ويحترش به الصباب من الصماء ^(١) .

قال : الخلة ، بفتح الحاء وتسكين الهمزة : الأصل من الكرم ، وفي الحديث : إن نوحاً لما خرج من السفينة عرس الخلة ، وكانت لأس بن مالك خلة تحمل كذا ، وكان يسميها أم العيال ، فاما الخلة بالصم فثمر الصماء ، ومنه الحديث : كما نفروا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وماله طعام إلا الخلة ، وورق السمُر . والخلة بالصم أيضاً : صرب من الخل يحمّل في القلائد ، شبه بورق الصماء ، لأنه يصاع على صورته .

وأغرث : أحوج ، والمرث : الجوع .

(١) الثاني ١ : ٢٣١ .

والصَّغْرُ : غسل الرُّطْب .

والرَّقْل : جمع رَقْلَة ، وهى النحلة الطويلة .

وقوله : « خُرْفَةُ الصَّائِمِ » اسم لما يَحْتَرَف ، أى يَحْتَمَى ، وسبها إلى الصائم ، لأنهم كانوا يَحْتُون أن يَفْطَرُوا على التمر .

وقوله : « وَصُنَّةُ الصَّغِيرِ » ؛ لأن الصغير كان إذا بكى عندهم سَكَتَوْهُ . ونَمَلَةٌ الصَّبِيّ نَحْوُهُ ، من التَّطِيل .

وخرُفَةُ صَرِيم ، الخُرْفَةُ ما نَطَمَهُ النَّفْسُ عِنْدَ وِلَادَتِهَا ، أشار إلى قوله تعالى : ﴿ وَهَرَىٰ إِلَيْكَ بِمِذْعِ النَّخْلَةِ نُسَاقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حَبِيًّا ﴾ ^(١) ، فأما الحُرْسُ فغيرها فهو الطعام الذى يصنع لأجل الولادة ، كالإعْذَارُ لِلْخَتَانِ ، والنَّقِيعَةُ لِلْقَادِمِ ، والوَكَيرَةُ لِلْبِنَاءِ . وَيَحْتَرِشُ بِهِ الضَّبُّ أَيْ يَصْطَادُ ، يقال لَكَ الصَّبُّ يعصب بالتمر ، والحارِشُ : صَائِدُ الصَّابِ .

وَالصَّلْمَاءُ : الصَّعْرَاءُ الَّتِي لَا بَيَاتَ بِهَا كِرَاسُ الْأَصْلَحِ .

• • •

وفى حديثه أنه قال للسانب : « وَرَّعَ عَنِّي بِالْإِثْمِ وَالْإِثْمَيْنِ » ^(٢) .

قال : أى كَفَّ الْخُصُومَ عَنِّي فَيَقْدِرُ الْإِثْمُ وَالْإِثْمَيْنِ بَأَن تَنْظُرَ فِي ذَلِكَ ، وَتَقْضَى فِيهِ بَيْنَهُمْ ، وَتَنْوِبَ عَنِّي . وَكَلَّ مَنْ كَمَعَتْهُ فَقَدْ وَرَّعَتْهُ ، وَمِنْهُ الْوَرَّعُ فِي الدِّينِ ، إِنَّمَا هُوَ الْكَمْعَةُ عَنِ الْمَعَاصِي . وَمِنْهُ حَدِيثُ عُمَرَ : لَا تَنْظُرُوا إِلَى صَلَاةِ الرَّجُلِ وَصِيَامِهِ ، وَلَكِنْ مِنْ إِذَا حَدَّثَ صَدَقَ ، وَإِذَا أَتَمَّنَ أَذَى ، وَإِذَا أَشْنَى وَزَع ، أَيْ إِذَا أَشْرَفَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ كَفَّ عَنْهَا .

• • •

وفي حديثه أنه خطب الناس ، فقال : « أيها الناس ؛ لينكح الرجل منكم لثمة من النساء ، ولتنكح المرأة لثمتها من الرجال » ^(١) .
قال : لثمة الرجل من النساء مثله في السن ، ومنه ما روى أن فاطمة عليها السلام خرجت في لثمة من نساها [تتوطأ ذيلها] ^(٢) ، حتى دخلت على أبي بكر ^(٣) .
وأراد عمر بن الخطاب : لا تنكح الشاة الشيخ الكبير ، ولا ينكح الشاب العجوز ، وكان سب هذه الخطبة أن شاة روثها أهلها شيعاً قتلته .

وفي حديثه : أن رجلاً أتاه يشكو إليه النقرس ، فقال : كدنتك الظهائر ^(٤) .
قال : الظهائر : جمع طهيرة ، وهي المذخرة ، ووقت زوال الشمس .
وكدنتك ، أى عليك بها ، وهي كلمة مصهاها الإعراء ، يقولون : كذبتك كذا ، أى عليك به .

ومنه الحديث الرفوع : [الخطبة على الربيع فيها شفاء وبركة] ، فمن احتجم في يوم الخميس ويوم الأحد ، كذاك ^(٥) .
أى عليك بهما ، وإنما أمر عمر صاحب النقرس أن يبرز للمحرة في الماجرة ويمشي حافياً ، ويتنذل نفسه ، لأن ذلك يذهب النقرس .

وفي حديثه أنه قال : « مَنْ بدلني على نسيج وحده ؟ » ، فقال أبو موسى : مانعه غيرك ، فقال : ما هي إلا إبل موقَّعٌ ظهورها ^(٦) .
قال : معنى قولهم : « نسيج وحده » أى لا عيب فيه ، ولا نظير له . أصله من الثوب النفيس ، لا ينسج على مواله غيره .

(٢) من الفائق .

(١) الفائق ٢ : ١٠٦ .

(٤) الفائق ٢ : ٤٠٠ .

(٣) الفائق ٢ : ١٧٦ .

(٦) الفائق ٣ : ٨٦ .

(٥) النهاية لابن الأثير ٣ : ١٢ والسكة من حاله .

والبعير الموقع الذي بكثرت آثار الدَّيرِ ظاهره ، لكثرة ما يركب ، وأراد عمر أنَّا
كلَّنا مثل ذلك في العيب .

• • •

وفي حديثه : إن الطيب الأنصاري سقاء لنا حين طُعن ، تخرج من الطعنة
أبيضٌ يصلد^(١) .

قال : أي يبرق ولم يتمير لونه .

• • •

وفي حديثه أن نادية عمر ، قالت : واعمر اه ! أقام الأود ، وشقى العبد . فقال عليّ
عليه السلام : أما والله ما قالته ولكن قولته^(٢) .

والعبد : ورم ودَّير يكون في ظهر البعير^(٣) وأراد عليّ عليه السلام أنه كأنما أتى
هذا الكلام على لسانها لصحته وحديثه .

• • •

وفي حديثه : أنه استعمل رجلاً على اليمن ، فوفد إليه ، وعليه حلة مُشتمرة ، وهو
مرجل دَهِين ، فقال : أهكذا فضلك ! ثم أمر بالحلة فزِعت عنه ، وألبس جبة صوف ،
ثم سأل عن ولايته فلم يذكر إلَّا خيراً فردَّه على عمله ، ثم وفد إليه بعد ذلك ، فإذا
أشعث مغبر عليه أطلاس ، فقال : ولا كل هذا ، إن عاملنا ليس بالشعث ولا العاق ،
كلوا واشربوا وادّهنوا ؛ إنكم لتعلمون الذي أكره من أمركم^(٤) !
قال : ثياب أطلاس ، أي وسعة ، ومه قيل للذئب : أطلس .

(٢) الثاني ١ : ٥٠

(١) الثاني ٢ : ٣٥

(٣) الثاني ١ : ٦٨٣

والعافى : العاويل الشعر ؛ يقال : عَنَى وُجْهُ البعير ، إذا طال ، ومنه الحديث المرفوع :
« أمر أن تُعَفَّى اللَّحَى وتُخَفَّى الشَّوَارِبُ » .

• • •

وفي حديثه أنه قال للرجل : أما تراني لو شئت أمرت بشاة فختية سمينة [أو قنينة]^(١)
فألقى عنها صوفها ، ثم أمرت بدقيق فذجل في حرقة ، فجعل منه خبر مرقق ، وأمرت بصاع
من زبيب فجعل في سُنْ حَتَّى يكون كدم العرمل^(٢) .
قال : السُّنْ : قرعة أو إداوة ينشد فيها وتلنق بمِدْع .

• • •

وفي حديثه : أنه رأى رجلاً يأخ بطنه ، فقال : ما هذا ؟ قال : بركة من الله ، قال :
بل هو عذاب من الله يمدلك^(٣) []
قال : يأخ : بصوت ، وهو ما يعتري الإنسان السمين من النهر إذا مشى ، أنخ يأخ أوحا

• • •

وفي حديثه أنه لما دنا من الشام ولقيته الناس ، حملوا يقرطون ، فأشكته ذلك
وقال لأسلم مولاة : إنهم لم يروا على صاحبك يرّة قوم غصب الله^(٤) عليهم .

قال : أشكته : أعصبه ، قال : أراد أنهم لم يتحاموا عنه اللعط ، والكلام بالفارسية
والنبطية بحضرته ، لأنهم لم يروؤه بعين الإمارة والسلطان ، كما يروؤن أمراءهم ، لأنهم لم
يروا عليه بزة الأمراء وزيتهم .

• • •

(١) من الفائق ، قال : « القنية : ما أخى من شاة أو خافه »

(٢) النهاية ١ : ٤٦

(٣) الفائق ٢ : ٣٧٩

(٤) الفائق ١ : ٤٨

وفي حديثه : أن عاملاً على الطائف كتب إليه : إن رجالاً منهم كلّفوني في خلاياهم ، أسدوا عليها ، وسألوني أن أحميها لهم . فكتب إليه عمر : « إنها ذباب غَيْث ؛ فإن أدّوا زكاته فاحمه لهم » ^(١) .

قال : الخلايا موضع النحل التي تعمل ، الواحدة خلية ، وأراد بقوله : « إنها ذباب غيث » أنها تعيش بالمطر ؛ لأنها تأكل ما ينبت عنه ، فإذا لم يكن غيث فقدت ما تأكل ، فشبهها بالتأم من السم لا مؤنة على صاحبها منها ، وأوجب فيها الزكاة .



وفي حديثه : أن سعد بن الأخرم ، قال : كان بين الحنّ وبين عدى بن حاتم تشاحراً فأرسلوني إلى عمر فأنبته وهو يطعم الناس من كسور إبل ، وهو قائم متوكئاً على عصا ، مؤتزراً إلى أنصاف ساقه ، خذّب لمن الرجل كأنه راعي عم ، وعلى حلة ابتعتها بمسماة درهم ، فسلبت عليه ، فنظر إلى يد سمعته ، وقال لي : أمالك معور ؟ قلت : بلى ، قال : فآلقها ، فآلقيتها وأخذت معوراً ، ثم لقبت فسلّدت ، فردّ على السلام ^(٢) .

قال : كسور ^(٣) الإبل : أعضاؤها .

والخذب : العظيم الجاني وكأنه راعي عم ، يريد في الجفاء والبداة وخشونة الهيئة واللبسة .

والمعوز : الثوب الخلق ، والميم مكسورة ؛ وإنما ترك ردّ السلام عليه أولاً ، لأنه أشهر نخبة ، فأدّبه بترك ردّ السلام ، فمّا حلّ عليها ولبس للمعوز ردّه عليه .



(٢) الفائق ٢ : ٤١١ .

(١) الفائق ١ : ٢٦٦ .

(٣) واحد كسر ، بالفتح والكسر .

وفي حديثه : أنه ذكر فتیان قريش وسرّفهم في الإغراق ، فقال : الحِرْفة أحدهم أشدّ علّٰى من عَيْلته^(١) .

قال : الحِرْفة ها هنا ، أن يكون الرجل لا يتحر ولا يلمس الرّوق ، فيكون محدودا لا يرزق إذا طالب ، ومنه قيل : فلا محارف . والعيلة : الفقر .

وفي حديثه : أنه قال لرجل : ما مالئت ؟ قال : أقرن لي وآدمية في المدينة ، قال : قوّمها وزكّها^(٢) .

قال : الأقرن : جمع قرن ، وهي حصة من حدود تكون للعيّادين يشق منها جانب ليدخلها الريح فلا يفسد الريش .

وآدمية : جمع آدم ، كجرب وأخرية .
واللبينة : الدّماغ ، وإعما أسره تركيتها ، لأنها كانت للتجارة .



وفي حديثه أن أبا وجرة السديّ ، قال : شهدته يسقي ، فعمل يستمر ، فأقول : ألا يأخذ فيما خرج له ! ولا أشعر أن الاستسقاء هو الاستعمار ، فقلّدتنا السماء قلداً كلّ خمس عشرة ليلة ، حتى رأيت الأربعة بأكلها صغار الإبل من وراء حِقاق العُرْفَط^(٣) .
قال : قلّدتنا : مطرنا لوقت معيّن ، ومنه قلّد الحنّ ، وقلّد الزرع ، سقيه لوقت وهو وقت الحاجة .

وقال : رأيت الأرب يحتملها السيل حتى تتماق بالعُرْفَط ، وهو شجر ذو شوك ، وزاد في الأرب ها ، كما قالوا : عقرب وعقربة ، وحِقاق العُرْفَط : صفارها ، وقيل : الأرب

(٢) الفائق ٢ : ٢٢٢

(١) الفائق ١ : ٢٥٢

(٣) الفائق ٢ : ٣٧١

ضرب من الثبت ، لا يكاد يطول ، فأراد أنه طال بهذا المطر حتى أكلته صغار الإبل من وراء شجر العُرْفُط .

وفي حديثه : أنه قال : ما ولي أحدٌ إلّا حامى^(١) على قرابته ، وقرى في عيته ، ولن يلى الناس قرشى^٢ عض على ناجذه^(٣) .

قال : حامى عليهم : عطف عليهم ، وقرى في عيته ، أى اختان ، وأصل قرى : جمع .

وفي حديثه : لن تخور قوى ما كان صاحبها ينزع ويبرو^(٤) .
يخور : يصعب . والنزع في القوس ، والنزو على الخيل .
وروى أن عمر كان يأخذ يده اليمنى أذنه اليسرى ، ثم يجمع جرابيه ويثب ، فكأنما خلق على ظهر فرسه .

وفي حديثه : « تعلّوا السنة والعرائس واللحن ، كما تتعلمون القرآن »^(٥) .
قال : اللحن ها هنا : اللغة والمحو .

وفي حديثه : أنه مر على رابع ، فقال : يا راعى ، عليك بالطفل [من الأرض]^(٦) لا ترمض ، فإنك رابع وكل رابع مسئول^(٧) :
قال : الطفلف : المواضع الصلبة ، أمره أن يرعى غنمه فيها ، ونهاه أن يرمض ، وهو أن يرعى غنمه في الرمضاء وهي تشتت جدا في الداهاس والرمل ، ونحفت في الأرض الصلبة .

(٢) القائل ١ : ٣١١ .
(٤) القائل ٢ : ٤٥٧ .
(٦) القائل ٧ : ١٠١ .

(١) القائل : « حلم » .
(٣) القائل ١ : ٣٧٦ .
(٥) من القائل .

وفي حديثه : أنَّ رجلاً قرأ عليه حرفاً ، فأسكره ، فقال : مَنْ أقرأك هذا ؟ قال :
أبو موسى ، فقال : إِنْ أبَا موسى لم يكن من أهل البهش^(١) .
قال : البهش المثل الرطب ، فإذا يبس فهو الخسل ، وأراد أنَّ أبَا موسى : ليس من
أهل الحجاز ، لأنَّ المثل بالحجاز ببت ، والقرآن نزل بلغة الحجاز

• • •

وفي حديثه : أنَّ عتبة بن أبي مُصَيْب ، لما قال للنبي صلى الله عليه وآله : أأقتل من بين
قريش ؟ فقال عمر : حَنْ قِدْح ليس منها^(٢) .
قال : هذا مثل يضرب للرجل يُدخل فيه في القوم وليس منهم ، والقِدْح : أحد
قِدَاح البسر ، وكانوا يستعمرون القِدْح يدخلونه في قِدَاحهم فينيسون به ويشقون نفوزه .



وفي حديثه : أنَّ أهل الكوفة لما أوفدوا اليَمَناء بن الهيثم السدوسي إليه، فرأى عمر
هيئته رثةً ، وأعجبه كلامه وعمله ، قال : لكلِّ أناسٍ في حيلهم خير .
قال : هذا مثل ، والمراد أنهم سؤدوه على معرفةٍ منهم بما فيه من الحلال المحمودة ،
والعنى أن حَيْره هرق منظره .

• • •

وفي حديثه : أنه أخذ من القطيعة الزكاة^(٣) .
قال : هي الحبوب كالعدس والحمص ، وفي أحد الزكاة منها خلاف بين الفقهاء .

(٢) الثاني ١ : ٣٠٠ .

(١) الثاني ١ : ١١٨
(٣) النهاية ٣ : ٢٦٥ .

وفي حديثه : أنه كان يقول للحارس^(١) : « إذا وجدت قوماً قد حرقوا في حائطهم ، فاعمار قدر ما ترى أنهم يأكلونه ، فلا تحرقه »^(٢) .
قال : حرقوا فيه ، أى نزلوا فيه أيام اختراق الثمرة .

وفي حديثه : « إذا أحرقت الماء على الماء جرى عكث »^(٣) .
قال : يريد صب الماء على البول في الأرض ، فإنه يطهر المكان ، ولا حاجة إلى غسله .
وحزى : قصي وأغنى ، من قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْرِيْ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾^(٤) ، فإن أدخلت الألف قلت : « أحرأك » وهرت ، ومما كمالك .

وفي حديثه أنه قال : « لا يظن من المعاصم شيء حتى تقسم ؛ إلا لراع ؛ والدليل غير مؤليه »^(٥) .

قال : الراعى هاهنا الطليعة ، لأنه يرعى القوم ؛ أى يحفظهم .
وقوله : « غير مؤليه » ، أى غير مُعطيه شيئاً لا يستحقه .

وفي حديثه : « إن من الناس من يقتل رياءه وسمة ، ومهم من يقتل وهو يسوى الدنيا ، ومهم من أُلجِه القتال فلم يجد بداً ، ومهم من يقتل صاراً محتسباً ، أو لثكهم الشهداء » .
قال : أُلجِه القتال ، أى رَهقه وغشيه ، فلم يجد مخلصاً .

(١) خر من النحلة : إذا حرر ما عليها من الرطب ؛ من الحرص ؛ وهو العس .
(٢) الفائق ١ : ٣٣٧ (٣) النهاية لابن الأثير ١ : ١٦٢ .
(٤) سورة النجم ١٢٣ (٥) النهاية ٢ : ٨٨ ، ٤ : ٢٣٢ .

وفي حديثه : أنه أرسل إلى أبي عبيدة رسولا فقال له حين رجع : فكيف رأيت أبا عبيدة ؟ قال : رأيت ملأ من عيش فقصر من ررقه ، ثم أرسل إليه ، وقال للرسول حين قدم : كيف رأيت ؟ قال : رأيت حموفاً ، قال : رحم الله أبا عبيد ، سطننا له فبسط ، وقبضنا له فقبض^(١) .

قال : الحُمُوف والحَمَف واحد ، وهو صيق العيس وشدة ، يقال : ما عليهم حَمَف ولا صَفَف ، أي ما عليهم أثر عَوَرٍ ، والشَّطَف : مثل الحَمَف .

• • •

وفي حديثه : أنه رثى في المنام ، فمثل عن حاله ، فقال : « ثُلْ عَرَشِي^(٢) لولا أي صادفت ربي رحماً » .

قال : ثُلْ عرشه ، أي هدم .

• • •

وفي حديثه : أنه قال لأبي سريم الحنصلي : « لأنا أشدُّ نفضاً لك من الأرض للدم » ، قالوا : كان صر عليه غليظاً ، كان قاتل زيد بن الخطاب أخيه ، فقال : أبينقصني ذلك من حتى شيئاً ؟ قال : لا ، قال : فلا صير^(٣) .

قال : هذا مثل ، لأن الأرض لا يفوس فيها الدم كما يفوس الماء ، فهذا بنفض الأرض له ، ويقال : إنَّ دم العير تنشفه الأرض وحده .

• • •

وفي حديثه : « إنَّ اللبن يشبهه عليه »^(٤) .

(٢) في النهاية : « كاد يثل مهشي » .

(٤) الفائق ١ : ٦٣٤ .

(١) الفائق ١ : ١١١ .

(٣) النهاية ١ : ٣٧ .

قال : معناه أن العَقل ربما نزع به الشَّبه إلى الطَّئ من أجل لبنها ، فلا تسترضعوا
إلا مَنْ ترصون أخلاقها .

وفي حديثه : « اغزوا ، والعزوا حلو حوهر ، قبل : أن يكون ثُمَاما ، ثم يكون دُمَاما ،
ثم يكون حُطَاما »^(١) .

قال : هذا مثل ، والثُّمام : بيت ضعيف .
والرُّمام ، بالضم والرميم واحد ، مثل طوال وطويل .
والحُطام : عيس الفت إذا تكسر ، ومعنى الكلام أنه أمرهم بالفرو حين عرائتهم
قوية ، وبواعثهم إليه شديدة ، فإن مع ذلك يكون الطفر قبل أن يهوى ويصُف ، فيكون
كالثُّمام الضعيف ، ثم كالرميم ، ثم يكون حُطَاما فيذهب .

وفي حديثه : « إذا انتاطت المتأزى ، واشتدَّت المرائم ، ومنعت الصائم أنفسها ، غير
غزوكم الرِّباط » .

قال : انتاطت : ب مدت ، والتعطى : البعيد .
واشتدَّت المرائم : صمت ومنعت الصائم أنفسها ، غير غزوكم الرِّباط في سبيل الله .

وفي حديثه أنه وضع يده في كُثْبَة^(٢) صَب ، وقال : إن النبي صلى الله عليه وآله
لم يحرمه ، ولكن^(٣) قدره .
قال : كُثْبَة الصَّب : شعم بطنه .

(٢) وروى : « كُثْبَة » .

(١) القائل ١ : ٣٥٢ .

(٢) القائل ١ : ١٦٩ .

وقوله : « وضع » أى أكل منه .

• • •

وفى حديثه : « لأوتى بأحدٍ اشقص من سبل السالين إلى مثابته شيئاً إلا فعلت به كذا »^(١) .

قال : المثابات هاهنا : للنازل يشرب أهلها إليها ، أى يرجعون ، والمراد من اقتطع شيئاً من طريق المسلمين وأدخله فى داره .

• • •

وفى حديثه : أنه كره التبر^(٢) .

قال : هو علم التوب ، وأظنه كرهه إذا كان حريراً .

• • •

وفى حديثه : أنه استكسرت قلوب من قبل الصدقة صحتها^(٣) .

قال : اتخذ منها جفنة من طعام ، وأجمع عليه^(٤) .

• • •

وفى حديثه : « مجبت لتأخر هجر ، وراكب البحر »^(٥) !

قال : مجب كيف يختلف إلى هجر مع شدة وبائها ، وكيف يركب البحر مع

الخطار بالنفس !

• • •

وفى حديثه : أنه قال ليلة لابن عباس فى مسيره : أشدنا لشاعر الشعراء ، قال : ومن

(٢) الفائق ٣ : ١٣٩ .

(٤) النهاية : « وجمع الناس عليه » .

(١) الفائق ١ : ١٦٣ .

(٣) النهاية ١ : ١٦٨ .

(٥) نهاية ابن الأثير ٤ : ٢٤٠ .

هو ؟ قال : الذي لم يعاظم بين القول ، ولم يبيع حوشي الكلام ، قال : ومن هو ؟ قال : زهير ، فعمل يُنشد إلى أن يرق الصبح ^(١) .

قال : هو مأخوذ من تعاظم الجراد ، إذا ركب بعضه بعضا .
وحوشي الكلام : وحشيته .

وفي حديثه أن نائلاً مولى عثمان ، قال : سمعتُ مع مولاى وعمر فى حج أو عمرة ، فكان عمر وعثمان وابن عمر إماماً ، وكنت أبا وابن الربير فى شبة منائفاً ، فكنا تهازح وتترامى بالحنظل ، فما يزيدنا مهر على أن يقول لنا : كذا لا تدعروا علينا ، قلنا لرباح بن العرف ^(٢) : لو نصبت لنا نصب العرب ! فقال : [أقول] ^(٣) مع عمر قلنا : افعل وإن نهاك فاته ، ففعل ولم يقل جهم شيئاً ، حتى إذا كان فى وجه السمر مائة : يارباح ، إنيها ، اكف فإيها ساعة ^(٤) !

قال : إماماً ، أى حزبا وفرقة .

وشبة : جمع شاة ، مثل كاتب وكتبة ، وكاذب وكذبة ، وكافر وكفرة .
وقوله : « كذا » أى حسبكم .

وقوله : « لا تدعروا علينا » ، أى لا تنفروا إلينا .

ونصب العرب : غناء لم يشبه الحداء ، إلا أنه أرق منه .

وفي حديثه : أنه كتب فى الصدقة إلى بعض عماله كتاباً فيه : « ولا تحبس الناس أو لم على آخرهم ، فإن الرجن العاشية عليها شديد ، ولها مهلك ، وإذا وقف الرجل عليك غنمه فلا تهم من عنيه ، ولا تأخذ من أدمائها ، وحد الصدقة من أوسطها ، وإذا وجب على

(٢) الفائق : للنفوس .

(٤) الفائق ٢ : ٤٦٩ .

(١) الفائق : ١٦٥ .

(٣) من الفائق .

الرجل من^(١) لم تجدها في إبله فلا تأخذ إلا تلك السن من شروى إبله أو قيمة عدل، وانظر ذوات الدّر والماخض، فتكتب عنها؛ فإنها ثمال حاضريهم^(٢).

قال: الرّجّن: الحبس؛ رجّن بالسكان: أقام به، ومثله دجن، بالدال. ولا تقم: لا تحتر، اعتماد اعتياداً، أي احتار. من شروى إبله، أي من مثلها وذوات الدّر: ذوات اللبن. وللماخض: الحامل.

و ثمال حاضريهم: عصمتهم وعيائهم، وحاضريهم: من يكن الحضر.



وفي حديثه: أنه كان يلقط النوى من الطريق والنسك؛ فإذا مرّت مدار قوم ألقاها فيها، وقال: «لينا كل هذا راحتكم وانضموا بنا»^(٣).

قال: الداجنة ما يعلمه الناس في منازلهم، من الشاة والدجاج والطيور. والنسك: انطبوط الخلق من صوف أو شعر أو زبر.



وفي حديثه: «ثلاث من المواقف: جار مقامة؛ إن رأى حسنةً دقها، وإن رأى سيئةً أذاعها، وامرأة إن دخلت عليها لستك، وإن غبت عنها لم تأمنها، وإمام إن أحسنت لم يرض عنك، وإن أسأت قهقك»^(٤).



(٢) الفائق ٣ : ١٣٤ .

(١) الفائق ١ : ٤٦٦ .

(٣) الفائق ٢ : ٢٩٠ .

قال : الفواقر : الدواهي ، واحذنها قافرة ، لأنها تكسر فقار الظهر .
ولسنتك : أخذتك بلسانها .

• • •

وفي حديثه في خطبة له : « مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ لَا يَنْهَرُهُ إِلَّا بِهِ ، رَجَعَ وَقَدْ غُفِرَ لَهُ » .
قال : ينهره : يدفعه ، يريد من حج لا يسوي بالحج إلا الطاعة غفر له .

• • •

وفي حديثه : « اللَّيْنُ لَا يَمُوت » .

قال : قيل في مصاء : إن اللين إذا أحد من ميتة لم يحرم ، وكل شيء أخذ من الحي
فلم يحرم فإنه إن أخذ من الميت لم يحرم .
وقيل في مصاء : إن رَصَعَ الطفل من امرأة ميتة حُرِّمَ عليه من أولادها وقرانها
مَنْ يَحْرُمُ عَلَيْهَا مِنْهَا لَوْ كَانَتْ حَيَّةً .
وقيل : مصاء : إن اللين إذا انفصل من الصرع فأوحر به الصبي أو آدم به أو ديف له
في دواء وسقيته ، فإنه إن لم يسم في اللغة رصاعاً ، إلا أنه يحرم به ما يحرم بالرصاص ؛ فقال : اللين
لا يموت ، أي لا يبطل عمله بمفارقة الندي .

• • •

وفي حديثه : « مَنْ حَطَّ الْمَرْءُ نَفَاقَ آيَتِهِ وَمَوْصِعَ خُفِّهِ » ^(١) .

قال : الأيتم التي لا بعل لها ، والخف : الإبل ، كما تسمى الحرو والبغال حافراً ، والبقر والعنم
ظلفاً ، يريد من حط الإنسان أن يحط به إليه ويتزوج سائته وأخواته وأشباههن ، فلا يبزن ،

(١) النهاية ١ : ٢٧٠ ، ومبته : « موصع حفه » ، وقال في شرحه : « وأن يكون حفه في دعة
مأمون جعوده وتهضبه » .

ومن حطه أيضاً أن ينفق إله، حتى يبتاه التُّعار وغيرهم فيبتاعوها في مواضعها، يستطرقونه لا يحتاج أن يعرضها عليهم .

وفي حديثه : أن العباس بن عبد المطلب سأل عن الشراء ، فقال : امرؤ القيس سابقهم ، خسف لهم عين الشمر ؛ فافتقر عن معانٍ عورٍ أصحَّ بصير^(١) .
قال : خسف لهم ، من الخسب ، وهي الثر تحفر في حجارة ، فيخرج منها ماء كثير ، وجمعها خُف .

وقوله : « افتقر » أى فتح ، وهو من الفقير ، والفقير : فم القلة .
وقوله : « عن معانٍ عور » يريد أن امرؤ القيس من اليمن ، واليمن ليست لم فصاحة تزار ، جعل معانيهم عوراً ، وفتح امرؤ القيس عنها أصح نصر .

[ذكر الأحاديث الواردة في فضل عمر]

فأما الحديث الوارد في فضل عمر ، فله ما هو مدكور في الصَّحاح ، ومنه ما هو غير مدكور فيها . فمما ذكر في المسانيد الصحيحة من ذلك ، ما روت عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « كان في الأمم محدثون ، فإن يكن في أمتي ضمير » . أخرجاه في الصحيحين .
وروى سعد بن أبي وقاص ، قال : استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعنده نساء من قريش يكلمنه ، عالية أصواتهن ، فلما استأذن قمنَّ يتدبرن الحجاب ، فدخل ورسول الله صلى الله عليه وآله يصعك ، قال : أصعك الله سنك يا رسول الله ! قال : عجبت من هؤلاء اللواتي كنَّ عدى فلنَّ سمعنَّ صوتك اندبرن الحجاب . فقال عمر : أنت

(١) الفائق ٦ : ٣٤٣ .

أحق أن يهين ، ثم قال : أي عدوات أنفسهن ، أنهتني ولا تهين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلن : نعم ، أنت أغلط وأفظ ، فقل رسول الله صلى الله عليه وآله : « والذي نفسي بيده ، ما ليك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك » ، أخرجاه في الصحيحين .

وقد روى في فضله من غير الصحيح أحاديث :

منها : « إن الكينة لتتعلق على لسان عمر » .

ومنها : « إن الله تعالى ضرب بالحق على لسان عمر وقله » .

ومنها : « إن بين عيني عمر ملكا يسدده ويوقه » .

ومنها : « لو لم أيمت فيكم ليث عمر » .

ومنها : « لو كان بسدي بئ لكان عمر » .

ومنها : « لو نزل إلى الأرض عذاب لما نحا منه إلا عمر » .

ومنها : « ما أبطأ عني جبريل إلا ظننت أنه يموت إلى عمر » .

ومنها : « مراج أهل الجنة عمر » .

ومنها : أن شاعراً أشد النبي صلى الله عليه وآله شعراً ، فدخل عمر ، فأشار النبي صلى

الله عليه وآله إلى الشاعر أن اسكت ، فلما خرج عمر ، قال له : عد فساد ، فدخل عمر فأشار

النبي صلى الله عليه وآله بالكوت مرة ثانية ، فلما خرج عمر سأل الشاعر رسول الله صلى

الله عليه وآله عن الرجل ، فقال : « هذا عمر بن الخطاب ، وهو رجل لا يحب

الباطل » .

ومنها : أن النبي صلى الله عليه وآله قال : « وزيت بأمتي فرجحت ، ووزن أبو بكر

بها فرجح ، ووزن عمر بها فرجح ، ثم رجع ، ثم رجع » .

وقد روي في فضله حديثا كثيرا غير هذا ، ولكننا ذكرنا الأشهر . وقد طعن أعداؤه ومبصروه في هذه الأحاديث ، فقالوا : لو كان محدثا وملهما لما احتار معاوية العاصي لولاية الشام ، ولكان الله تعالى قد ألمه وحذته بما يواقع من القبايح والمسكرات والبهى والتقلب على الخلافة ، والاستئثار بمال النىء ، وغير ذلك من المعاصي الطاهرة .

قالوا : وكيف لا يزال الشيطان يسلك لنا غير فجته ، وقد مر مرارا من الزحف فى أحدٍ وحين وخبر ، والفرار من الرخف من عمل الشيطان وإحدى الكبار للموبة ! قالوا : وكيف يدعى له أن السكية تنطق على لسانه ! أترى كانت السكية تلاحى رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الحديبية ، حتى أعصه !

قاله : ولو كان يطق على لسانه ملك أو بين عينيه ملك يسدده ويوقفه ، أو ضرب الله مالحق على لسانه وقلبه ، لكان نظير الرسول الله صلى الله عليه وآله ، بل كان أفضل منه ؛ لأنه صلى الله عليه وآله كان يؤدى الرسالة إلى الأمة عن ملك من الملائكة ، وعمر قد كان يطق على لسانه ملك ، وریدا ملكا آخر بين عينيه يسدده ويوقفه ، فهذا الملك الثانى بما قد فصل به على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد كان حكم فى أشياء فيعطى فيها حتى يفهمه إياها على س أبى طالب ومعاذ بن جبل وغيرهما ، حتى قال : لو لا على هلاك عمر ، ولو لا معاذ لهلك عمر . وكان يشكل عليه الحكم ، فيقول لابن عباس : غصن ياغواص ، فيفرج عنه ، فأين كان الملك الثانى المسد له ! وأين الحق الذى ضرب به على لسان عمر ؟ ومعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينتظر فى الوقائع نزول الوحي . وعمر على مقتضى هذه الأخبار لاحاجة به إلى نزول ملك عليه ، لأن الملكين معه فى كل وقت وكل حال ، ملك ينطق على لسانه وملك آخر بين عينيه يسدده ويوقفه . وقد عررا ثالث وهى السكية ، فهو إنا أفضل من رسول الله صلى الله عليه وآله !

وقالوا: والحديث الذي مضمونه: لو لم أكن فيكم لبعث عمر، فيلزم أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله عذاباً على عمر، وأذى شديداً له، لأنه لو لم يبعث لبعث عمر نبياً ورسولاً، ولم تعلم رتبة أجل من رتبة الرسالة، فالمريل لعمر عن هذه الرتبة التي ليس وراءها رتبة، ينبغي ألا يكون في الأرض أحدٌ أمضى إليه منه!

قالوا: وأما كونه مراجع أهل الجنة: فيقتضى أنه لو لم يكن تحلى عمر لكات الجنة مظلة لاسراج لها.

قالوا: وكيف يجوز أن يقال: لو نزل العذاب لم يسج منه إلا عمر، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾^(١).

قالوا: وكيف يجوز أن يقال: إن النبي صلى الله عليه وآله كان يسمع الباطل ويحبه ويشهده، وعمر لا يسمع الباطل ولا يشهده ولا يحبه! أليس هذا تريباً لعمر عما لم يزره عنه رسول الله صلى الله عليه وآله!

قالوا: ومن العجيب أن يكون النبي صلى الله عليه وآله أرحم من الأمة يسيراً، وكذلك أبو بكر، ويكون عمر أرحم منهما كثيراً! فإن هذا يقتضى أن يكون فضلاً بين وأظهر من فضل أبي بكر ومن فضل رسول الله صلى الله عليه وآله!

والجواب أنه ليس يجب فيمن كان محدثاً ملهماً أن يكون محدثاً ملهماً في كل شيء بل الاعتبار بأكثر أفعاله وظهوره وآرائه، ولقد كان عمر كثير التوفيق، مصيب الرأي في جمهور أمره، ومن تأمل سيرته علم صحة ذلك، ولا يقدح في ذلك أن يختلف ظنه في القليل من الأمور.

وأما الفرار من الرخف، فإنه لم يجر إلا متعيزاً^(٢) إلى فئة، وقد استثنى الله تعالى ذلك فخرج به عن الإثم.

(٢) هو قوله تعالى في سورة الأفعال ١٦:

(١) سورة الأفعال ٢٣

﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّجًا لِمَا لَمْ يَكُنْ لِي بِهِ سُلْطَانٌ﴾

وأما باقى الأخبار فالمراد بالملك فيها الإخبار عن صحة ظنه، وصدق فراسته، وهو كلام
يجرى مجرى المثل، فلا يقدح فيه ماد كروه.

وأما قوله صلى الله عليه وآله: «لو نزل إلى الأرض عذاب لما نجما منه إلا عمر»، فهو كلام
قاله عقيب أخذ القدية من أسارى بدر، فبن عمر لم يشر عليه، ونهاه عنه، «فأنزل الله تعالى:
(لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)»^(١). وإذا
كان القرآن قد نطق بذلك وشهد، لم يلتفت إلى طعن من طعن في الخبر.

وأما قوله عليه السلام: «سراج أهل الجنة عمر»، فمعناه سراج القوم الذين يستحقون
الجنة من أهل الدنيا أيام كونهم في الدنيا مع عمر، أى يستنصون به، كما
يستضاء بالسراج.

وأما حديث منع الشاعر، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله خاف أن يدكر في شعره
ما يقتضى الإسكار فيمتنع به عمر، وكان شديد النظرة، فأراد النبي صلى الله عليه وآله أن
يشكر هو على الشاعر إن قال في شعره ما يقتضى ذلك على وجه اللطف والرفق، وكان عليه
السلام رءوفا رحيما، كما قال الله تعالى^(٢).

وأما حديث الرجعان، فالمراد به الفتوح وملك البلاد، وتأويله أنه عليه السلام أرى
في منامه ما يدل على أنه يفتح الله عليه بلاداً وعلى أبى بكر مثله، ويفتح على عمر أضاف
ذلك، وهكذا وقع.

واعلم أن من تصدى للمعيب وجده، ومن قصر عنه على الطعن على الناس انفتحت

(١) سورة الأهل ٦٨.

(٢) وهو قوله تعالى في سورة التوبة ١٢٨ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ
مَّا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

له أبواب كثيرة ، والسعيد مَنْ أنصف من نفسه ، ورفض الهوى ، وتزود التقوى ،
وبالله التوفيق !

• • •

[ذكر ماورد من الخبر عن إسلام عمر]

وأما إسلام عمر ، فإنه أسلم ، فكان تمام أربعين إساقاً في أطهر الروايات ، وذلك في
السنة السادسة من النبوة ، وسنه إذ ذاك ست وعشرون سنة ، وكان عمر ابنه عبد الله يومئذ
ست سنين .

وأصح ما روي في إسلامه رواية أس بن مالك عنه ، قال : خرجت متقلداً سيفي ،
فلقيت رجلاً من بني زُهرة ، فقال : أين تعمد ؟ قلت : أقتل محمداً ، قال : وكيف تأمن
في بني هاشم وبني رهرة ؟ قلت : ما أراكَ إلا صَبِوتاً ! قال : أفلا أدلك على المعجب !
إنَّ أختك وزوجها قد صَبِوتا . فمشى عمر فدخل عليهما ذامراً ، وعدهما رجل من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وآله ، يقال له : حناب بن الأرت ، فما سمع خَبَاب حينَ عمر
توارى ، فقال عمر : ماهذه الهيعة ^(١) التي سمعتها عنكم ؟ وكأوا يقرءون « طه » على
خَبَاب ، فقال : ما عندنا شيء ، إنما هو حديثٌ كما تتحدثه يبننا ، قال : فملكما قد صَبِوتا ^(٢)
فقال له حننه : أرايت يا عمر إن كان الحق في غير دينك ! فوثب عمر على حننه فوطئه وطمنا
شديداً ، طمنا أخته فدفعته عن روحها ، ففجعها بيده ، فأدمى وجهها ، فجاءته ، فقالت :
إنَّ الحق في غير دينك ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فاصنع
ما بدا لك ! فلما يئس قال : أعطوني هذا الكتاب الذي عنكم فأقرؤموه وكان عمر يقرأ الخطب

(١) الهيعة : الصوت المنق .

(٢) طه ، أي خرج من ديبه .

فقلت له أحته : إياك رجس ؛ وإيا هذا الكتاب لا يمسه إلا للطهرون ، فقم فتوضأ ، فقام فأصاب ماء ، ثم أخذ الكتاب ، فقرأ ﴿ طه ﴾ • مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى • إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿ إلى قوله : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ ، فقال عمر : ذلوني على محمد ، فما سمع حث قول عمر ، ورأى منه الرقة ، خرج من البيت ، فقال : أيسر يا عمر ، فبني لأرحو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة الخميس لك ، سمعته يقول : « اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام » - قال : ورسول الله صلى الله عليه وآله في الدار التي في أصل الصفا - فاطلق عمر حتى أتى الدار ، وعلى الباب حمزة بن عبد المطلب وطبعة بن عبيد الله وناس من أهل رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما رأى الناس عمر قد أقبل ، كأنهم وجدوا ، وقالوا : قد جاء عمر ، فقال حمزة : قد جاء عمر ، فإن برد الله خيراً بئس ، وإن يرد غير ذلك كان قتله علياً حيناً ، قال : والبي صلى الله عليه وآله من داخل البيت يوحى إليه ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله كلام القوم ، فخرج مسرعاً حتى انتهى إلى عمر ، فأخذ بمجامع ثوبه وحامل سيفه ، وقال : ما أت منتهباً ، عمر حتى ينزل الله بك - بمعنى من الخزي والكال - ما أنزل بالوليد بن المغيرة . ثم قال : اللهم هدا عمر ، اللهم أعز الإسلام بعمر ! فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله . فكثير أهل الدار ، ومن كان على الباب ، تكبيرة سمعها من كان في المسجد من المشركين ^(١) .

وقد روى أن عمر كان موعوداً ومبشراً بما وصل إليه من قبل أن يظهر أمر الإسلام . قرأت في كتاب من تصانيف أبي أحمد العسكري رحمه الله ، أن عمر خرج عسيفاً ^(٢) مع الوليد ابن المغيرة إلى الشام في تحارة للوليد ، وعمر يومئذ ابن ثمان عشرة سنة ، فكان يرمي

الوليد إليه ، ويرفع أحواله ، ويحفظ متاعه ، فما كان بالثقةاء لقيه رجل من علماء الروم ،
 عمل بنغاز إليه ، ويخيل النظر لعمر ، ثم قال : أظن اسمك بإعلام « عاسرا » أو « عمران »
 أو نحو ذلك ؟ قال : اسمي « عمر » ، قال : اكشف عن فخذيك ، فكشف فإذا على
 أحدهما شامة سوداء في قدر راحة الكف ، فسأله أن يكشف عن رأسه ، فكشف فإذا
 هو أصم ، فدأله أن يمتل يده ، فاعتمل فإذا أعسر أيسر ، فقال له : أنت ملك العرب ،
 وحق مريم البتول ! قال : فصحت عمر مستهزئا ، قال : أو تضحك ! وحق مريم البتول
 إنك ملك العرب ، وملك الروم ، وملك العرس افتركه عمر وانصرف مستهينا بكلامه ،
 وكان عمر يحدث بعد ذلك ، ويقول : سمى ذلك الرومي وهو راكب حمرا ، فلم يزل
 معي حتى باع الوليد متاعه ، وابتاع منه عطرأ ونيابأ ، وقفل إلى الحجاز ، والرومي
 يسمى ، لا يألني حاجة ، وبقتل بدي كل يوم إذا أصعبت كما تقتل يد الملك ، حتى
 حرقا من حدود الشام ، ودحطنا في أرض الحجاز براحين إلى مكة ، فودعني ورجع .
 وكان الوليد يسأني عنه فلا أجبه ، ولا أراه إلا هلك ، ولو كان حيا لشعص إلينا .



[تاريخ موت عمر والأخبار الواردة في ذلك]

فأما تاريخ موته ، فإن أبا ثورثة طعمه يوم الأربعاء ، لأربع بقين من ذي الحجة
 من سنة ثلاث وعشرين ، ودُفن يوم الأحد صباح هلال الحرام سنة أربع وعشرين ،
 ركبت ولايته عشر سنين وستة أشهر ، وهو ابن ثلاث وستين في أشهر الأقوال ، وقد كان
 قال على المنبر يوم الجمعة ، وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وأبا بكر : إني قد
 رأيت رؤيا ، أغلبها لحضور أجلى ، رأيت كأن ديكاً قرى قرنين ، فقصصتها على أسماء

(١) الأعسر : الذي يميل يده اليسرى ، وفي النهاية لابن الأثير : ٤ : ٢٦٥ : « كان عمر أعسر
 أيسر » ، هكذا يروى ، والمصواب « أعسر يسر » وهو الذي يميل يديه جيما ، ويسمى الأضبط .

بنت عَمَيْس، فقالت: يقتلك رجلٌ من العَجَم؛ وإني أفكرتُ فيمن أستخلف، ثم رأيتُ أن الله لم يكن ليضيع دينه وخلافته التي بعث بها رسوله.

وروى ابنُ شهاب، قال: كان عمر لا يأبى لصبيٍّ قد احتلم في دخول المدينة، حتى كتب للميرة، وهو على الكوفة، يدكر له غلاماً صعباً عنده، ويستأذنه في دخول المدينة، ويقول: إنَّ عنده أعمالاً كثيرة فيها مافع للناس، إني حذاد نقاش نحار. فأذن له أن يرسل به إلى المدينة، وضربَ عليه الميرة مائة درهم في كل شهر، فجاء إلى عمر يوماً يشتكى إليه المراج، فقال له عمر: ماذا تحسنُ من الأعمال؟ فحدثه الأعمال التي يحسن، فقال له: ليس خراجك مكثير في كونه عليك.

هذا هو الذي رواه أكثر الناس من قوله له، ومن الناس من يقول: إني جهر بكلام غليظ، وانفقوا كلهم على أن العبد الصرف ساحطاً يتنفر، فلبث أياماً ثم مر بسر فدعاه، فقال: قد حدثت أنك تقول: لو أشاء لصنعتُ ربحاً تطعنُ بالريح، فالتفت العبد عاساً ساحطاً إلى عمر، ومع عمر رطم من الناس، فقال: لأصنعن لك ربحاً يتحدث الناس بها، فلما ولى أقبل عمر على الرطم، فقال: ألا تسمعون إلى العبد! ما أغتبه إلا أوعدني أنفاً! فلبث ليالي، ثم اشتعل أبو ثولوة على خنجر ذي رأسين، نصابه في وسطه، فكمن في زاوية من زوايا المسجد في عَمَس السحر، فلم يزل هالك حتى جاء عمر يوقظ الناس لصلاة الفجر، كما كان يفعل، فلما دبامنه وثب عليه؛ فطعنه ثلاث طعنات؛ إحداهن تحت السررة، قد خرقت الصفاق^(١) - وهي التي قتلته - ثم انحاز إلى أهل المسجد، فطعن فيهم من يلبه حتى طعن أحد عشر رجلاً سوى عمر، ثم انتعر بخنجره، فقال عمر حين أدركه الترف: قولوا لعبد الرحمن بن عوف؛ فليهل بالناس، ثم غلبه الترف فأغمي عليه،

(١) الصفاق: الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر.

فاحتمل حتى أدخل بيته ، ثم صلى عبد الرحمن بالناس ، قال ابن عباس : فلم أزل عند
عمر وهو معي عليه لم يرل في عشيرة واحدة ، حتى أسفر ، ولما أسفر أفاق ، فطارق وحوه
من حوله ، وقال : أصلي الناس ؟ فقل : نعم ، فقال : لا إسلام لمن ترك الصلاة ، ثم دعا
بوضوء فتوضأ وصلى ، ثم قال : اخرج يا ابن عباس ، فاسأل من قتلني ؟ فمئت حتى فتحت
باب الدار ، فإذا الناس محتشمون ، فقلت : من طعن أمير المؤمنين ؟ قالوا : طعنه أبو لؤلؤة
علام المعيرة ، قال ابن عباس : فدحت وقد عمر سطار إلى الباب يستأني خبر ما نفى له ،
فقلت : يا أمير المؤمنين ، زعم الناس أنه عدو لله أو لؤلؤة علام المعيرة بن شعبة ، وأنه طعن
رهطاً ثم قتل معه ، فقال : الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي يحاجني عند الله بسعة سعداه
قط ، ما كات العرب لتقتلني ، ثم قال : أرسلوا إلى طبيب بطار حرثي ، فأرسلوا إلى طبيب
من العرب ، فسقاه ببدأ مخرج من المرح ، فاشتم عليهم الدم باليد ، ثم دعوا طبيباً آخر
فسقاه لنا ، فخرج الارب من الطعنة صدراً أبيض ، فقال الطبيب : اعتمد يا أمير المؤمنين
عهدك ، فقال : لقد صدقي ، ولو قال غير ذلك لكذب ، فبكى عليه القوم حتى أسمعوا من
خارج الدار ، فقال : لا تمكوا عليا ، ألا ومن كان باكباً فيخرج ، فإن النبي صلى الله
عليه وآله قال : « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » .

وروى عن عبد الله بن عمر ، أنه قال : سمعت أبي يقول : لقد طعن أبو لؤلؤة طعنتين ،
وما أظنه إلا كلباً حتى طعن الثالثة .

وروى أن عبد الرحمن بن عوف طارح على أبي لؤلؤة مدأ طعن الناس خيصة^(١)
كانت عليه ، فما حصل فيها بحر نمه ، فاحتر عند الرحمن رأسه واجتمع البصريون وأعيان
للهاجرين والأنصار بالباب ، فقال عمر لابن عباس : اخرج إليهم ، فاسألهم عن ما منكم

(١) الخيصة : كساء أسود مربع له عمام ، بين لم يكن مدأ فليس بخيصة .

كان هذا الذي أصابني ؟ فخرج يسألهم ، فقال القوم : لا والله ، ولوددنا أن الله زاد في صمره من أعمارنا !

وروى عبد الله بن عمر ، قال : كان أبي يكتب إلى أسراء الجيوش : لا تجلبوا إلينا من العلوج أحداً جرت عليه المواسي ، فلما طعنه أبو ثؤلثة ، قال : من بي ؟ قالوا : غلام المغيرة ، قال : ألم أقل لكم : لا تحبوا إلينا من العلوج أحداً ، فغلبتموني !

وروى محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون ، قال : إني^(١) لقائم ما بيني وبين عمر إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب ، وكان إذا مر بين الصّفين ، قال : استووا ؛ حتى إذا لم ير بيننا^(٢) حلاًّ تقدم فكبر ، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل في الرّكعة الأولى [أو نحو ذلك في الرّكعة الثانية]^(٣) حتى يجتمع الناس ، فما هو إلا أن كثر ، فسمعه يقول : قتلني - أو أكلني - الكلب ؛ وذلك حين طعنه العليّج سكّين ذات طرفين ؛ لا يمر على أحد يمينا ولا شمالا إلا طعنه ، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً ، مات منهم ستة^(٤) ، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برّساً ، فلما ظنّ العليّج أنه مأخوذ نحر نفسه ، وتناول عمر بيده عبد الرحمن بن عوف ، فقدمه ، فنزل على عمر ، فقد رأى الذي رأى ، وأمّا نواحي المسعد فإنهم لا يدرون غير أنهم فقدوا صوت عمر ، فهم يقولون : سبحان الله ! فصلّى عبد الرحمن صلاة خفيفة ، فلما انصرفوا قال : يا بن عباس ، انظر من قتلني ؟ فجال ساعة ؛ ثم جاء فقال : غلام المغيرة ؛ قال : الصّنع ! قال : نعم ،

(١) صدر الحديث كما في البخاري « رأيت عمر بن الخطاب رمى الله عنه قبل أن يصيب بأهله بالمدينة وثق على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حطب ؛ قال : كيف فعلنا ؟ أمّا نحن أن نكون قد حملنا الأرض ما لا تطيق ؟ قال : حملناها أسراً على نه مطيعة ، ما فيها كبر فصل ؛ قال : انظروا أن نكون قد حملنا الأرض ما لا تطيق ؟ قال : لا ؛ فقال عمر : لئن سلمني الله لأدعن أراسل أهل العراق لا يمتحن إلى رجل بعدى أبداً . قال : فما أنت عليه رابعة حتى أصيب ؛ قال : إني لقائم . . . »

(٢) من رواية البخاري

(٣) البخاري : « ميمون »

(٤) البخاري : « ستة » .

قال : قاتله الله ؛ لقد أمرت به معروفاً ، الحمد لله الذي لم يجعل منيقي^(١) بيد رجل يدعى الإسلام ، وقد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج - وكان العباس أكثرهم رقيقاً - فقال : إن شئت فعلنا^(٢) ؛ أي قتلاهم ، قال : كذبت بعد أن تكلموا بلسانكم وصلوا أقتلكم ، وحقوا بحكمكم ! فاحتل إلى بيته ، واطلعت معه ، وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ ، فقاتل : يقول : لا بأس عليه ، وقاتل يقول : أحاف عليه ، فأتى فبيد فشره ، فخرج من جوفه ، ثم أتى بلبس فشره فخرج من جوفه ، فعدوا أنه ميت ، فدخل الناس يشنون عليه ، وجاء [رجل]^(٣) شاب ؛ فقال : أأشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله ، لك مصيبة رسول الله وقدّم في الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ، ثم الشهادة . فقال عمر : وددت أن ذلك كله كان كعاقاً ، لا على ولا لى ، ولنا أدر إذا رداؤه^(٤) يمس الأرض ، فقال : ردّوا على العلام ، فردوه ؛ فقال : يا من أجي ، ارفع نوبك ، فإنه أبقى لنوبك ، وأبقى لنوبك ؛ يا عبد الله بن عمر ، إنظر ما على من دين ؛ فمسبوه فوجدوه سنة وثمانين ألفاً أو نحوها ، فقال : إن وقى به مال آل عمر فأذه من أموالهم ، وإلا فسل في نبي عدى بن كعب ، فإن لم تقب به أموالهم ، فسل في قريش ولا تقدم إلى غيرهم ؛ وأذنى هذا المال ، اطلق إلى عائشة ، قل لها : يقرأ عليك السلام عمر - ولا تقل « أمير المؤمنين » ، فإنه اليوم لست للمؤمنين أميراً - وقل : يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه ، فخصى وسلم ، واستأذن ودخل عليها فوجدوها قاعدة تبكي ، قال : يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فقالت : كنت أريدك لنفسى - بمعنى الموضع - ولأثرته اليوم على نفسى . فلما أقبل قيل : يا عبد الله قد جاء ، قال : ارفعوني ، فسننوه إلى رجل منهم ، قال : يا عبد الله مالديك ؟ قال : الذي تحب يا أمير المؤمنين ، قد أذنت ، قال : الحمد لله ، ما كان شيء أهم إلى من

(٢) البخارى : « فئات » .

(٤) البخارى : « لزاره » .

(١) البخارى : « منيقي » .

(٣) من صحيح البخارى .

ذلك ، إذا أنا قبضت فاحملني ، ثم سلم عايها ، وقل : يستأذن عمر بن الخطاب ، فإن أذنت لي فأدخلوني ، وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين ، وادفوني بين المسلمين وجاءت اخته حفصة ، والنساء معها ، قال : فمأ رأيناها قننا ، فوجت عليه فبكت عنده ساعة ، واستأذن الرجال فوجت بيتا داخلا لهم ، فمعنا بكاءها من البيت الداخل فقال : أوصي بأمر المؤمنين واستعلف ، فقال : ما أجدر أحق بهذا الأمر من هؤلاء الغرأ وقال : الرهط الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راضٍ ، فسئ عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن ، وقال : يشهدكم عبد الله بن عمر ، وليس له من الأمر شيء . - كهيئة التعمية له - فإن أصابت الإمارة ^(١) سعداً ، فهو أهل لذلك ، وإلا فليستين به أيكم أثر ، فإن لم أعزله عن غمز ولا عن خيانة ، ثم قال : أوصي الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين ، أن يعرف لهم حقوقهم ، ويحفظ لهم حرمتهم ، وأوصيه بالأنصار حبراً ، الذين ببوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، أن يقتل من محسنهم وأن يعموا عن مسيئتهم ، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً ، فإنهم رجة الإسلام وحماء الأموال ، وغيطة العدو ؛ ألا يأخذ منهم إلا فصالهم ، عن رصام ، وأوصيه بالأعراب حبراً ، فإنهم أصل العرب ، ومادة الإسلام ؛ أن يؤخذ من حوائج أموالهم ، ويرد على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى لهم سهدم ، وأن يقاتل من وراءهم ، وألا يكلفوا إلا طاقهم .

قال : فلما قبض خرجنا به فاطلقنا نمشي ، فسلم عبد الله بن عمر ، وقال : يستأذن عمر ابن الخطاب ، فقالت : أدخلوه ، فأدخل ، فوضع هاتك مع صاحبيه ^(٢) .

(١) البخاري : « الإمسة » .

(٢) صحيح البخاري ٢ : ٢٩٧-٢٩٩ ، وفي الحديث : « فصار فرغ من دفته اجتمع هؤلاء الرهط ، فقال عبد الرحمن : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم ، فقال الزبير : جعلت أمري لذي علي ؛ فقال طلحة : قد جعلت أمري لذي عثمان ، وذلك سعد : قد جعلت أمري لذي عبد الرحمن بن عوف ، فقال عبد الرحمن : ألكم جراً من هذا فنجه إليه واقعه عليه ، والإسلام لينظرون أصلهم فيه ؟ فأسكت الشيطان ؛ فقال =

وقال ابن عباس : أنا أول من أتى عمر حين طعن ، فقال : احفظ عني ثلاثاً ، فإني أخاف ألا يدركني الناس ، أما أنا فلم أقصر في السكالة ، ولم أستخلف على الناس ، وكل مملوك لي عتيق ، فقلت له : أشرب بالجنة ، صحبت رسول الله صلى الله عليه وآله فأطلت صحبته ، ووليت أمر المسلمين فزيت عليه ، وأذيت الأمانة .

قال : أما تبشرك لي بالجنة ، فوالله الذي لا إله إلا هو ، لو أن لي الدنيا بما فيها لافتديت به من هزل ما أمانى قبل أن أعلم ما الخير ، وأما ما ذكرت من أمر المسلمين فلو حدث أن ذلك كان كغاف لا على ولا لي ، وأما ما ذكرت من صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله فهو ذلك .

وروى معمر ، عن الزهري ، عن سالم عن عبد الله ، قال : دخلت على أبي ، فقلت : سمعت الناس يقولون مقالة - وآليت أن أقولها لك - زعموا أنك غير مستخلف ، وأنه لو كان لك راعي إبل أو غنم ثم جارك وتركها رأيت أنه قد ضيع ، فرعاية الناس أشد ، فوضع رأسه ثم رضى ، فقال : إن الله تعالى يحفظ دينه ، وإن لم أستخلف فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يستخلف ، وإن استخلفت فإن أبا بكر قد استخلف . فوالله ما هو إلا أن ذكر رسول الله وأبا بكر ، فعلت أنه لم يكن يعدل برسول الله صلى الله عليه وآله أحداً ، وأنه غير مستخلف .

وروى أنه قال : وقد أذنت لعائشة في أن يدفن في بيتها : إذا مت فاستأذنوها مرة ثانية ، فإن أذنت ، وإلا فتركوها ، فإني أحشى أن تكون أذنت لي لسلطاني ، فاستأذنوها بعد موته فأذنت .

عبدالرحمن : أذهبوا لي ، وابق على الآوا من أصلكم ؟ قالوا : نعم ، فأخذ بيد أحدهما فقال : لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم واقدم في الإسلام ما قد علمت ؟ فاقه عليك لئن أمرتك لتسلن ؟ وإن أمرت عمك لتسمن ولتطعن ! ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك ؟ فلما أحد الميثاق قال : ارفع يدك يا عتيق ، فبايعه ، فبايع له علي ، وولج أهل الدار فبايعوه .

وروى عمر بن ميمون ، قال : لما طعن عمر ، دخل عليه كعب الأحبار ، فقال :
 ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمَكْرِبِينَ ﴾ ^(١) ، قد أسأتك أنك شهيد ، فقال :
 من أين لي بالشهادة وأنا بجزيرة العرب !

وروى ابن عباس ، قال : لما طعن عمر وجته بغير أبي لؤلؤة أتيته والبيت
 ملآن فكرهت أن أعطي رقابهم - وكنت حديث السن - فجلست وهو مسجى ،
 وجاء كعب الأحبار ، وقال : لئن دعا أمير المؤمنين ليقب الله لهذه الأمة حتى يفعل فيها
 كذا وكذا ! حتى ذكر المارقين فيمن ذكر ، فقلت : أبلغه ما تقول : قال : ما قلت إلا وأنا
 أريد أن تبليه ، فشجعت وقت ، فطحيت رقابهم ، حتى جلست عند رأسه ، وقلت :
 إنك أرسلتني بكذا ، إن عبد المعيرة قتل وأصاب منك ثلاثة عشر إنسانا ، وإن كعبا
 هاهنا وهو يحلف بكذا ، فقال : ادعوا إلى كعبا ، فدعيت فقال : ما تقول ؟ قال : أقول كذا ،
 قال : لا والله لأدعو ، ولكن شقي عمر إن لم يضر الله له .

وروى المنصور بن محرمة ، أن عمر لما طعن أغشى عليه طويلا ، فقبل إنكم لم
 توقطوه بشيء مثل الصلاة إن كانت به حياة ! فقالوا ! الصلاة : يا أمير المؤمنين ، الصلاة
 قد صليت ! فأنبه ، فقال : الصلاة ، لاها الله لا أركها ، لاحظ في الإسلام لمن ترك
 الصلاة ! فصل ، وإن جرحه لينتخب ^(٢) دما .

وروى المنصور بن محرمة ، أيضا ، قال : لما طعن عمر ، جعل يألم وبجزم ، فقال ابن
 عباس : ولا وكل ذلك يا أمير المؤمنين ، لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأحسنت
 صحبتته ، ثم فارقته وهو عنك راض ، وصحبت أبا بكر وأحسنت صحبتته ، وفارقك وهو
 عنك راض ، ثم صحبت المسلمين فأحسنت إليهم وفارقتهم وهم عنك راضون .

قال : أما ما ذكرت من صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر فذلك ، مما من الله به عليّ ، وأما ما ترى من حزني هو الله لو أن لي عافي الأرض ذهبا لا فتديت به من عذاب الله قبل أن أراه . وفي رواية لا فتديت به من هول المطلع . وفي رواية : المغرور من غرر تموه ! لو أن لي ماعلى ظهرها من صفراء وبيضاء لا فتديت به من هول المطلع . وفي رواية : في الإمارة عليّ ثني ابن عباس ! قلت : وفي غيرها ، قال : والذي نفسي بيده لو ددت أني خرجت منها كما دخلت فيها ، لا حرج ولا وزر . وفي رواية : لو كان لي ما ملئت عليه الشمس لا فتديت به من كرب ساعة - يعني الموت - كيف ولم أرد الناس بعد ! وفي رواية : لو أن لي الدنيا وما فيها لا فتديت به من هول ما أمانى ، قل أن أعلم ما الخير .

قال ابن عباس : فسمعا صوت أمّ كلثوم : وانعزاه ! وكان معها سودة يبيكين ، فارتج البيت بكاء ، فقال عمر : ويلم عمر ! إن الله لم يعف له ! قلت : والله إني لأرحو ألا تراها إلامقدار ما قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِمَّا كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ ﴾ (١) ؛ إن كنت - ما علمنا - لأمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، تنقي بالكتاب ، وتنقم بالسوية .

فأعجبه قولي ، فاستوى جالسا فقال : أنشهد لي بهذا ابن عباس ؟ فكففت - أي أي جئت - فصر ب عليّ عليه السلام بين كتنى ، وقال : أشهد . وفي رواية لم تجزع بأمر المؤمنين ؟ فوالله لقد كان إسلامك عرا وإمارتك فتعا ، ولقد ملأت الأرض عدلا فقال : أنشهد لي بذلك ابن عباس ؟ قال : فكأنه كره الشهادة ، فتوقف ، فقال له عليّ عليه السلام : قل : نعم ، وأنا معك ، فقال : نعم .

وفي رواية أنه قال : مست جلدك وهو ماني ، قلت : جلد لا تمسه النار أبدا ، فنظر إلى نظرة جملة أرثي له منها ، قال : وما عليك بذلك ؟ قلت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله فأحدثت صحبتته . . . الحديث ، فقال : لو أن لي ماني الأرض لا فتديت

به من عذاب الله قبل أن ألقاه أو أراه .

وفي رواية ، قال : فأسكرنا الصوت ، وإذا عبد الرحمن بن عوف ، وقيل : طمين أمير المؤمنين . فانصرف الناس وهو في دمه مسجى ، لم يصل الفجر بعد ، فقيل : يا أمير المؤمنين : الصلاة ! فرفع رأسه وقال : لاها الله إذن ، لاحظ لا مري في الإسلام ضيع صلاته . ثم وثب ليقيم فاشتعب جرحه دما ، فقال : هاتوا لي حمامة ، فصب بها جرحه ، ثم صلى وذكرا ، ثم التفت إلى ابنه عبد الله ، وقال : ضع خدي إلى الأرض يا عبد الله ، قال عبد الله : فلم أضع بها ، وظننت أنها اختلاس من عقه ، فقالا مرة أخرى : ضع خدي إلى الأرض يا بني فلم أفعل ، فقال الثالثة : ضع خدي إلى الأرض ، لا أم لك ! عرفت أنه محتج العقل ، ولم يمنعه أن يضعه هو إلا ما به من العنة ، فوصت خذّه إلى الأرض ، حتى نظرت إلى أطراف شعر لحينه خارجة من أصناف التراب ، وبكى حتى نظرت إلى الطين قد لعق بيمينه ، فأصغيت أذني لأسمع ما يقول ، فسمعت يقول : يا ويل عمرا وويل أم عمسر ، إن لم يتجاوز الله عنه !

وقد جاء في رواية ، أن عليا عليه السلام جاء حتى وقف عليه ، فقال : ما أجد أحب إلي أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى !

وروى عن حفصة أم المؤمنين ، قالت : سمعت أبا يقول في دعائه : اللهم قتلا في سبيلك ، ووفاة في بلد نبيك ! قلت : وأنت يكون هذا ؟ قال : يأتي به الله إذا شاء .
ويروى أن كعبا كان يقول له : نمدك في كتفنا تموت شهيدا ؛ فيقول : كيف لي بالشهادة وأنا في جزيرة العرب !

وروى المقدم بن معد يكرب ، قال : لما أصيب عمر دخلت عليه حفصة ابنته ، فنادت : يا صاحب رسول الله ، ويا صهر رسول الله ، ويا أمير المؤمنين ! فقال لابنه عبد الله : أجلسني ، فلا صبر لي على ما أسمع ، فأسده إلى صدره ، فقال لها : إني أخرج عليك (١٣ - نهج - ١٢)

بِمَالِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ أَنْ تَنْدِينَنِي بَعْدَ مَحْكُوكِ هَذَا ، فَأَمَّا عَيْنُكَ فَلَنْ أَمْلِكُهَا ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ مَيِّتٍ يُنْدَبُ عَلَيْهِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ ، إِلَّا لِلثَّلَاثَةِ تَمَقُّتُهُ !

وَرَوَى الْأَحْنَفُ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ : إِنْ قَرِيشًا رَمَوْسَ النَّاسِ ، لَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَدْخُلُ مِنْ بَابٍ إِلَّا دَخَلَ مَعَهُ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ ، فَلَمَّا أَصِيبَ عُمَرُ مُصْهِبًا أَنْ يَصَلَّى بِالنَّاسِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَيُطْعِمَهُمْ ، حَتَّى يَجْتَمِعُوا عَلَى رَحْلِهِ ، فَلَمَّا وُضِعَتِ الْمَوَائِدُ كَفَّ النَّاسُ عَنِ الطَّعَامِ ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَاتَ فَأَكَلْنَا بَعْدَهُ ، وَمَاتَ أَبُو مُكْرٍ فَأَكَلْنَا بَعْدَهُ ، وَإِنِّي لَا أَبَدُ لِلنَّاسِ مِنَ الْأَكْلِ ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَأَكَلَ مِنَ الطَّعَامِ ، فَصَرَفَتْ قَوْلَ عُمَرَ .

وَيُرْوَى كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الشَّعْرَ الَّذِي كُورٌ فِي الْحِمَاةِ ، وَيَزْعَمُ أَنَّ هَاتِمًا مِنَ الْجِنِّ هَبَّ بِهِ وَهُوَ :

جُزِيَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ حَبِيرًا وَبَارَكْتَ	يَسُدُّ اللَّهُ فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ الْمَرْقِي ^(١)
فَنْ يَسْعَ أَوْ يَرْكَبَ جَنَاحِي نَعَامِي	لِيَدْرِكَ مَا قَدَّمْتُ بِالْأَمْسِ يُسَبِّحِي
قَصِيَتْ أُمُورًا ثُمَّ غَادَرَتْ بَعْدَهَا	بِوَأَثَقِي أَكْثَمَهَا لَمْ تَفْتَقِ ^(٢)
أَبَدَ قَتِيلٍ بِالْمَدِينَةِ أَظْلَمَتْ	لَهُ الْأَرْضُ تَهْتَزُّ الْعَصَا نَاسُوتِي ^(٣)
وَمَا كُنْتُ أَحْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ	بِكَيْفِي سَبَبَتِي أَرْقُ الْعَيْنَ مُطْرِقِي ^(٤)
تَظَلَّ الْحِصَانُ الْبِكْرُ يُنْقِي جِيْنَهَا	شَا خَيْرٍ فَوْقَ الْمَطَى مُعَلَّقِي

وَالْأَكْثَرُونَ يَرَوْنَهَا لِمَزْدَأَخِي الشَّمَاخِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَوِيهَا لِلشَّمَاخِ نَفْسِهِ .

• • •

(١) ديوان الحماسة - بصرح الرزوقي ٣ : ١٠٩٠ وسبها إلى الشماخ .

(٢) البواقي : الدواهي العامة . (٣) العصا : شجر .

(٤) السبتي ، أصله في الثور ، ويشتغل في الجري القديم . والطرق : الفليط الجفن الثقيل .

[فصل في ذكر ما طعن به على عمر ، والجواب عنه]

وبذكر في هذا الموضع ما طعن به على عمر في " المغني " من المطاعن ، وما اعترض به الشريف المرتضى على قاضي القضاة ، وما أجاب به قاضي القضاة ، في كتابه المعروف " بالشافي " ، وذكر ما عندنا في البعض من ذلك .

الطعن الأول

قال قاضي القضاة : أول ما طعن له عليه قوله صلى الله عليه وسلم : **إِنَّهُ يَمُوتُ مِنْ قِتْلَةٍ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الْمَوْتَ يَحْدُثُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَنَّهُ أَسْوَأُ الْأَنْبِيَاءِ فِي ذَلِكَ ، حَتَّى قَالَ : وَاللَّهِ مَا مَاتَ مُحَمَّدٌ ، وَلَا يَمُوتُ حَتَّى تُقَطَّعَ أَيْدَى رِجَالِهِمْ ، فَلَمَّا تَلَا عَلَيْهِ أَبُو سَكْرٍ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ^(١) ، وَقَوْلُهُ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَلْقَدْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ... ﴾ ^(٢) الآية ، قَالَ : أَبْقَيْتَ بَوَاقِيهِ ؛ وَكَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ هَذِهِ الْآيَةَ ، فَلَوْ كَانَ يَحْمِلُ الْقُرْآنَ أَوْ يَفْتَكِرُ فِيهِ لَمَا قَالَ ذَلِكَ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى بَعْدِهِ مِنْ حِفْظِ الْقُرْآنِ وَتِلَاوَتِهِ ، وَمَنْ هَذَا سَالَهُ لَا يَحُوزُ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا .**

قال قاضي القضاة : وهذا لا يصح لأنه قد روى عنه أنه قال : كيف يموت ، وقد قال الله تعالى : ﴿ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ^(٣) وقال : ﴿ وَلَيَسْجُذُنَّهُمْ مِنْ بَيْتِهِمْ خَوْفُهُمْ أُنْشَاءً ^(٤) ؛ وَلِذَلِكَ نَقَى مَوْتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لِأَنَّهُ حَلَّ الْآيَةَ عَلَى أَنَّهَا خَبَرٌ عَنْهُ فِي حَالِ حَيَاتِهِ

(٢) سورة آل عمران ١٤٤ .

(٤) سورة النور ٥٥ .

(١) سورة المؤمن ١٥ .

(٣) سورة التوبة ٢٣ .

حتى قال له أبو بكر : إن الله وعده بذلك وسيفعله ، وتلا عليه ماتلا ، فأيقن عند ذلك بموته ، وإنما ظن أن موته يتأخر عن ذلك الوقت ؛ لا أنه منع من موته .
ثم سأل ^(١) قاضي القضاة عنه ، فقال : فإن قيل : فلم قال لأبي بكر عند قراءة الآية : كَأَنِّي لَمَ أَسْمِعُهَا ، ووصف نفسه بأنه أيقن بالوفاة !

وأجاب بأن قال : لما كان الوجه في ظنه ما زال أبو بكر الشبهة فيه ، جارا أن يتيقن .
ثم سأل نفسه عن سبب بقينه فيما لا يعلم إلا بالمشاهدة .
وأجاب بأن قرينة الحال عند سماع الخبر أفادته اليقين ، ولو لم يكن في ذلك إلا خبر أبي بكر وادعاءه لذلك ، والناس محتمون ؛ لحصل اليقين .

وقوله : كَأَنِّي لَمَ أَسْمِعُهَا ، أو لَمَ أَسْمِعُهَا ، تنبيه على ^(٢) ذهوله عن الاستدلال بها ، لا أنه على الحقيقة لم يقرأها ولم يسمعها ، ولا يجب فيمن ذهب عن بعض أحكام الكتاب ألا يعرف القرآن ، لأن ذلك لو حله لوجب ألا يحفظ القرآن إلا من يعرف جميع أحكامه . ثم ذكر أن حفظ القرآن كله غير واجب ، ولا يقدح الإخلال به في الفضل .
وحكى عن الشيخ أبي علي أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يحط علمه بجميع الأحكام ، ولم يمنع ذلك من فصله ، واستدل بما روى من قوله : كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله حديثا نفعت الله به ما شاء أن ينفعني ، وإذا حدثني غيره أحلفته ، فإن حلف لي صدقته ، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر . وذكر أنه لم يعرف أي موضع يدفن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ، حتى رجع إلى ماروا أم أبو بكر ، وذكر قصة الزبير في موالى صفية ، وأن أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يأخذ ميراثهم ، كما أن عليه أن يحمل عقلم حتى أخبره عمر بخلاف ذلك من أن الميراث للأب ، والعقل على العصبه .

(٢) الشافعي : « تنبيه عن ذهوله عن الاستدلال » .

(١) الشافعي : « ثم قال » .

ثم سأل نفسه فقال : كيف يجوز ما ذكرتم على أمير المؤمنين عليه السلام ، مع قوله : « سألوني قبل أن تفقدوني » ، وقوله : « إن هاهنا علما جماً » ، يوصى إلى قلبه ، وقوله : « لو ثنيت لي الوسادة لحسكت بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم ، وبين أهل الزبور بزبورهم ، وبين أهل القرآن بقرآنهم » . وقوله : « كنت إذا سئلت أجبت وإذا سكت ابتديت » .

وأجاب عن ذلك بأن هذا إنما يدل على عظم الخلق في العلم ، من غير أن يدل على الإحاطة بالجميع .

وحكى عن أبي علي استبعاده ماروى من قوله : « لو ثنيت الوسادة » ، قال : لأنه لا يجوز أن يصف معه بأنه يحكم بما لا يجوز ، ومعلوم أنه عليه السلام لا يحكم بين الجميع إلا بالقرآن ، ثبت له الوسادة أو لم تثبت وهذا يدل على أن الخبر موضوع .

فاعترض الشريف المرتضى ، فقال : ليس يجوز خلاف عمر في وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله من أن يكون على سبيل الإسكار لموته على كل حال ، والاعتقاد بأن الموت لا يجوز عليه على كل وجه ، أو يكون مسكراً لموته في تلك الحال ، من حيث لم يظهر ديبته على الدين كله ، وما أشبه ذلك مما قال صاحب الكتاب : إنها كانت شبهة في تأخر موته عن تلك الحال .

فإن كان الوجه الأول ، فهو مما لا يجوز خلاف العقلاء مثله ، والعلم بجواز الموت على سائر البشر لا يشك فيه عاقل ، والعلم من دينه عليه السلام بأنه سيموت كما مات من قبله ضرورة ، وليس يحتاج في مثل هذا إلى الآيات التي تلاها أبو بكر ، من قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ، وما أشبهها .

وإن كان خلافه على الوجه الثاني ، تأول من فيه أن هذا الخلاف لا يليق بما احتج به أبو بكر من قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ؛ لأنه لم يسكر على هذا جواز الموت ، وإنما خالف في تقدمه ، وقد كان يجب أن يقول له : وأي حجة في هذه الآيات على

مَنْ جَوَزَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ لِلْوُت فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَأَنْكَرَهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ !
وبعد ، فكيف دخلت الشبهة البعيدة على عمر من بين سائر الخلق ! ومن أين زعم أنه
لا يموت حتى يقطع أيدي رجال وأرجلهم ! وكيف حمل معنى قوله تعالى : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى
الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ وقوله : ﴿ وَلِيَبْذُلَهُمْ مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ على أن ذلك لا يكون في
المستقبل بعد الوفاة ! وكيف لم يحظر هذا إلا لعمر وحده ، ومعلوم أن ضعف الشبهة إنما يكون
من ضعف الفكرة ، وقلة التأمل والبصيرة أو كيف لم يوقن بموته لما رأى ما عليه أهل الإسلام
من اعتقاد موته ، وما ركبهم من الحزن والكآبة لفقده ! وهلا دفع بهذا اليقين ذلك
التأويل البعيد ، فلم يحتج إلى موقض معرف ! وقد كان يجب - إن كانت هذه شبهة - أن
يقول في حال مرض رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد رأى حرع أهله وأصحابه وخوفهم
عليه من الوفاة ، حتى يقول أسامة بن زيد معتبراً من تباطئه ^(١) عن الخروج في الجيش الذي
كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكرّر ويردّد الأمر حينئذ بنفسه : لم أكن لأسأل
هناك الركب - : ما هذا الجرع والملع ، وقد آمنتم بالله من موته تكذابي وحه كذا ؛ وليس
هذا من أحكام الكتاب التي يعنى من لا يعرفها على ما علته صاحب الكتاب ^(٢) .

قلت : الذي قرأناه ورويناه من كتب التواريخ ، يدل على أن عمر أكرم موت
رسول الله صلى الله عليه وآله من الوحيين للدكتورين ؛ أكرم أولاً أن يموت إلى يوم
القيامة ، واعتقد عمر أنه يعمر كما يمتد كثير من الناس في الخضر ، فلما حاجه أبو بكر
بقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ ^(٤) .
رجع عن ذلك الاعتقاد .

وليس يراد على هذا ما اعترض به المرتضى ؛ لأن عمر ما كان يمتد استحالة الموت عليه
كاستحالة الموت على الباري تعالى - أعنى الاستحالة الذاتية - بل اعتقد استمرار حياته إلى يوم

(١) القائل : « من تأخره » .

(٢) الشافعي ٢٥٢ .

(٣) سورة الممت ٣٠

(٤) سورة آل عمران ١٤٤ .

القيامة ، مع كون الموت جائراً في العقل عليه ، ولا تناقص في ذلك ، فإن إبليس يبقى حياً إلى يوم القيامة ، مع كون موته جائراً في العقل ، وما أورده أبو بكر عليه لارم على أن يكون نفيه للموت على هذا الوجه .

وأما الوجه الثاني ، فهو أنه لما دفعه أبو بكر عن ذلك الاعتقاد فضع شبهة أخرى ، اقتضت عنده أن موته يتأخر ، وإن لم يكن إلى يوم القيامة ، وذلك أنه تأول قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ ^(١) ، جعل الضمير عائداً على الرسول لا على الدين ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يظهر بعد على سائر الأديان ، فوجب أن تستمر حياته إلى أن يظهر على الأديان بمقتضى الوعد الذي لا يحوز عليه الخلف والكذب ، لحاجة أبو بكر من هذا المقام ، فقال له : إنما أراد : ليظهر دمه وسيطيره فيما بعد ، ولم يقل : « ليظهره الآن » ، ثم قال له : ولو أراد ليظهر الرسول صلى الله عليه وآله على الدين كله لكان الجواب واحداً ، لأنه إذا ظهر دينه فقد أظهره هو .

فأما قول المرتضى رحمه الله : « وكيف دخلت هذه الشبهة على صر من بين الخلق ؟ » ، فكذا تكون الخواطر والشك والاعتقادات نسب إلى ذهن واحد دون غيره ، وكيف دخلت الشبهة على جماعة ممنعوا الزكاة ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ ^(٢) دون غيرهم من قبائل العرب ! وكيف دخلت الشبهة على أصحاب الجبل وصفيين دون غيرهم ! وكيف دخلت الشبهة على خوارج النهر وان دون غيرهم ! وهذا باب واسع .

فأما قوله : « ومن أين زعم أنه لا يموت حتى تُقطع أيدي رجال وأرجلهم » ، فإن الذي

ذكره المؤرخون أنه قال : مات رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإنما غاب عنا كما غاب موسى عن قومه ، وسيعود فتقطع أبدي رجال وأرحلهم من أرحف بموته ، وهذه الرواية تخالف ما ذكره المرتضى .

فأما قوله : وكيف حل معنى قوله : ﴿ لِيُطَهِّرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلَيَدْلُوهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ ^(١) على أن ذلك لا يكون في المستقبل ! فقد بينا الشبهة الداخلة عليه في ذلك ، وكونه ظن أن ذلك ، يكون معجلاً على الفور ، وكذلك قوله : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيَدْخُلُنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ ^(٢) ، فإنه ظن أن هذا العموم يدخل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنه سيد المؤمنين ، وسيد الصالحين ، أو أنه لفظ عام ، والمراد به رسول الله وأخيه ، كما ذكرنا في كثير من آيات القرآن مثل ذلك ، وعلى أن هذا الاستحلاف في جميع الأرض ، وبديل الخوف بالأمر إنما هو على الفور لا على التراخي ، وليست هذه الشبهة بصحيحة جداً ، كما ظن المرتضى ، بل هي موضع نظر .

فأما قوله : « كيف لم يؤمن بموته لما رأى من كآبة الناس وحرهم ! » فلا أن الناس يبنون الأمر على الظاهر ، وعمر نظر في أمر باطن دقيق ، فاعتقد أن الرسول لم يمُتْ ، وإنما ألقى شبهة على غيره ، كما ألقى شبهة عيسى على غيره ، فصلياً بموعيسى قد رفع ولم يصلب . واعلم أن أول مَنْ سَنَّ لأهل العيبة من الشيعة القول بأن الإمام لم يمُتْ ولم يقتل ، وإن كان في الطاهر وفي مرأى العين قد قتل أو مات ؛ إنما هو عمر ؛ ولقد كان يحب على المرتضى وطائفته أن يشكروه على ما أسس لهم من هذا الاعتقاد .

فأما قوله : فهلا قال في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله لنا رأى جرحهم لموته : « قد أمتكم الله من موته » أفغير لازم ، لأن الشبهة لا تحب أن تحط بالبال في كل الأوقات ، فله قد كان في ذلك الوقت غافلاً عنها مشغول الذهن بغيرها ، ولو صح المرتضى هذا لوجب أن يدفع ويبطل كل ما يتجدد ويطرأ على الناس من الشبهة في المذاهب والآراء ، فنقول : كيف طرأت عليهم هذه الشبهات الآن ، ولم تطرأ عليهم من قبل ؟ وهذا من اعتراض المرتضى الضعيفة ، هل أما قد ذكرنا عن في الجزء الأول من هذا الكتاب ما قصده صر بقوله : « إن رسول الله لم يمُت » ، وقلنا فيه قولاً شافياً لم نستش إليه ، فليعاود . ثم قال المرتضى : فأما ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام من خبر الاستحلاف في الأخبار ، فلا يدل على عدم علم أمير المؤمنين بالحكم ، لأنه يجوز أن يكون استخلافه ليرهب الخبير ويخوفه من الكذب على النبي صلى الله عليه وآله ، لأن العلم بصحة الحكم الذي ينصته الخبير لا يقتضي صدق الخبر ، وأيضاً فلا تاريخ لهذا الحديث ^(١) ، ويمكن أن يكون استخلافه عليه السلام للرواة ^(٢) إنما كان في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفي تلك الحال لم يكن محيطاً بجميع الأحكام .

فأما حديث الدفن وإدخاله في باب أحكام الدين التي يجب معرفتها فطريف ، وقد يجوز أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام سمع من النبي صلى الله عليه وآله في باب الدفن مثل ما سمعه أبو بكر ، وكان عازماً على العمل به ، حتى روى أبو بكر ما رواه فعيل بما كان يعلمه لامن طريق أبي بكر ، وظن الناس أن العمل لأجله . ويجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله خير وصيه عليه السلام في موضع دفنه ، ولم يمتن له موضعاً بعينه ، فلما روى أبو بكر ما رواه رأى موافقته ، فبس في هذا دلالة على أنه عليه السلام استفاد حكماً لم يكن عنده .

وأما موالى صفة لحكم الله فيهم ما أفتى به أمير المؤمنين عليه السلام، وليس سكوته حيث سكت عند عمر رجوعاً عما أفتى به، ولكنه كسكوته عن كثير من الحق تقيّة ومدارة للقوم.

وأما قوله عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني»، وقوله: «إن هاهنا لِمُلَمّا بَجّا»، إلى غير ذلك، فإنه لا يدل على عظم الحل في العلم فقط، على ما ظنه صاحب الكتاب، بل هو قول واثق بنفسه، آمن من أن يُسأل عما لا يعلمه، وكيف يجوز أن يقول مثله على رؤوس الأشهاد وظهور لسان: «سلوني قبل أن تفقدوني»، وهو يعلم أن كثيرا من أحكام الدين يعرب عنه^(١)، وأين كل أعداؤه والمتشبهون لفرصته وزلته عن سؤاله عن مشكل السائل، وغوامض الأحكام! والأمر في هذا ظاهر.

فأما استبعاد أبي علي لما روى عنه عليه السلام من قوله: «لو نُفِيت لي الوسادة» للوحه الذي عليه فهو العبد، فإنه لم يخطأ لفرصته عليه السلام، وإنما أراد: أنني كنت أقاصيهم إلى كتبهم الدالة على البشارة بقتينا صلى الله عليه وآله وصحبه شرعه، فأكون ما كما حينئذ عابهم بما تقتضيه كتبهم من هذه الشريعة وأحكام هذا القرآن، وهذا من جليل الأعراض وعظيمها^(٢).

الطمع الثاني

أنه أمر برحمة حامل حتى ينه معاد، وقال: إن يكن لك عليها سبيل فلا سبيل لك على ماني بطنها، فرجع عن حكمه، وقال: لولا معاذ لهلك عمر. ومن يحمل هذا القدر لا يجوز أن يكون إماماً، لأنه يجرى مجرى أصول الشرع، بل العقل يدرك عليه؛ لأن الرّجم عقوبة، ولا يجوز أن يعاقب من لا يستحق.

اعتذر قاضي القضاة عن هذا ، فقال : إنه ليس في الخبر أنه أمر برجمها ، مع علمه بأنها حامل ، لأنه ليس بمن يحنى عليه هذا القدر ، وهو أن الحامل لا تُرجم حتى تصع ، وإنما ثبت عنده زناها ، فأمر برجمها على الظهر ، وإنما قال ما قال في معاذ لأنه شبهه على أنها حامل .

ثم سأل^(١) نفسه فقال : فإن قيل : إذا لم تكن منه معصية ، فكيف يهلك لولا معاذ ! وأجاب بأنه لم يرد : لهلك من جهة العداب ، وإنما أراد : أنه كان يحرق بقوله قتل من لا يستحق القتل . ويحور أن يريد بذلك تقصيره في معرف حالها ، لأن ذلك لا يمنع أن يكون بخطيئة وإن صفت .

اعترض المرتضى على هذا الاعتذار ، فقال : لو كان^(٢) الأمر على ما ظنت لم يكن تنبيه معاذ له على هذا الوجه ، بل كان يجب أن ينبيه بأن يقول له : هي حامل ، ولا يقول له : إن كان لك سبيل عليها فلا سبيل لك على ما في نيتها ؛ لأن هذا قول من عنده أنه أمر برجمها مع العلم بحملها ، وأقل ما يجب لو كان الأمر كما ظنته صاحب الكتاب أن يقول لمعاذ : ما ذهب على أن الحامل لا تُرجم ، وإنما أمرت برجمها لفقد علمي بحملها ، فكان ينبغي بهذا القول عن نفسه الشبهة ! وفي إمساكه عنه مع شدة الحاجة إليه دليل على صحة قولنا . وقد كان يجب أيضا أن يسأل عن الحمل ، لأنه أحد النواصع من الرجم ، فإذا علم انتفاءه وارتفع عنه أمر الرجم ، وصاحب الكتاب قد اعترف بأن ترك المسألة عن ذلك تقصير وخطيئة ، وادعى أنها صغيرة ، ومن أين له ذلك ولا دليل يدل عليه في غير الأبياء عليهم السلام أن معصية سبها صغيرة .

فأما إقراره بالهلاك لولا تنبيه معاذ ، فإنه يقتضي التعميم والتفخيم لشأن الفعل ، ولا يليق ذلك إلا بالتقصير الواقع ؛ إمامي الأمر برجمها مع العلم بأنها حامل ؛ أو ترك البحث عن ذلك

(١) الثاني : « قل : » فإن قيل : « (٢) الثاني : « يقال له : ما أولت به في الخبر من التأويل البعيد ؛ لأن لو كان الأمر على ما ظنه . . . » .

والسألة عنه ، وأى لوم عليه في أن يحرق بقوله قتل من لا يستحق القتل إذا لم يكن ذلك عن تفريط منه ولا تقصير^(١) !

قالت : أما ظاهر لفظ مُعَاذَ فبشرنا قاله المرتضى ؛ ولم يمتنع أن يكون عمر لم يعلم أنها حامل وأن مُعَاذًا قد كان من الأدب أن يقول له : حامل يا أمير المؤمنين ، فعدل عن هذا اللفظ بمتضى أحلاق العرب وخشوتهم ، فقال له : إِنْ كَانَ لَكَ عَلَيْهَا سَبِيلٌ فَلَا سَبِيلَ لَكَ عَلَى مَا فِي بَطْنِهَا ؛ فنتبه على العلة والحكم معا ، وكان الأدب أن يفتنه على العلة فقط .

وأما عدول عمر عن أن يقول : أَدْعُ أَنْتَ الْحَامِلَ لَا تُرْجِمَ ، وإنما أمرت بمرجئها ، لأنى لم أعلم أنها حامل ، فلا بُدَّ إِنَّمَا يَجِبُ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذَا مَنْ يَخَافُ مِنْ أَصْطِرَابِ حَالِهِ ، أو نقصان مأموره وقاعدته إِنْ لَمْ يَقُلْهُ ، وعمر كَانَ أَنْتَ قَسَمًا فِي وِلَايَتِهِ ، وَأَشَدُّ تَمَكُّنًا مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى الْإِعْتِدَارِ بِمِثْلِ هَذَا .

وأما قول المرتضى : كَانَ يَحِبُّ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْحَمْلِ ، لَأَنَّهُ أَحَدُ الْمَوَاقِعِ مِنَ الرَّجْمِ ، فكلام صحيح لازم ، ولا ريب أبَّ ترك السؤال عن ذلك نوع من الخطأ ، ولكن المرتضى قد علم قاضي القضاة ، لأنه زعم أنه ادعى أن ذلك صغيرة ، ثم أنكر عليه ذلك ، ومن أين له ذلك ! وأى دليل دل على أن هذه المعصية صغيرة ؛ وقاضي القضاة ما ادعى أن ذلك صغيرة ؛ بل قال : لَا يَمْتَنَعُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حَطِيئَةً وَإِنْ صُمِّرَتْ . والمعجب أنه حكى لفظ قاضي القضاة بهذه الصورة ، ثم قال : إِنَّهُ ادَّعَى أَنَّهَا صَغِيرَةٌ ، وبين قول القائل : « لَا يَمْتَنَعُ أَنْ يَكُونَ صَغِيرَةً » ، وقوله : « هِيَ صَغِيرَةٌ » لا محالة فرق عظيم .

وأما قول عمر : لَوْلَا مُعَاذُ لَهْلَكَ عَمْرٌ ، فإن ظاهر اللفظ بِشَرِّ مَا يَرِيدُهُ الْمُرْتَضَى ، وَيَنْهَوُ إِلَيْهِ ؛ وَلَا يَمْتَنَعُ أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ بِهِ مَا ذَكَرَهُ قَاضِي الْقَضَاةِ وَإِنْ كَانَ مَرْجُو حَاجَةً فَإِنَّ الْقَائِلَ خَطَا

قد يقول : هلكت، ليس ينفى به العقاب يوم القيامة، بل لوم الناس وتصنيفهم إياه على ترك الاحتراس وإهمال التثبت .

الطعن الثالث

خبر المجنونة التي أمر برجمها ، فنتبه أمير المؤمنين عليه السلام ، وقال : إن القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق . فقال : لولا عليّ هلكت عمر^(١) ! وهذا يدل على أنه لم يكن يعرف الطاهر من الشريعة .

أجاب قاصي القصاة فقال : ليس في الخبر أنه عرف جنونها ؛ فيحور أن يكون الذي نبه عليه هو جنونها دون الحكم ، لأنه كان يعلم أن الحد لا يقام في حال الجنون ؛ وإنما قال : لولا عليّ هلكت عمر ، لامن جهة المعصية والإثم ، لكن لأن حكمه لو نفذ لعظم عظمته ، ويقال في شدة ألمه : إنه هلاك ، كما يقال في الفقر وغيره ، وذلك مبالغته منه لما كان يلحقه من الألم الذي زال بهذا التنبيه . على أن هذا الوجه مما لا يمتنع في الشرع أن يكون صحيحا ، وأن يقال : إذا كانت مستعققة للحد ، فإقامته عليها نصح ، وإن لم يكن لها عقل ؛ لأنه لا يخرج الحد من أن يكون واقعا موقعه ، ويكون قوله عليه السلام : « رفع القلم عن ثلاث » ، يراد به زوال التكليف عنهم دون زوال إحراء الحكم عليهم ، ومن هذه حاله لا يمتنع أن يكون مشتقها ، فخرج فيه إلى غيره ، ولا يكون الخطأ فيه مما يعظم فيمنع من صحة الإمامة .

اعترض الشريف المرتضى هذا فقال : لو كان أمر برجم المجنونة من غير علم بمجنونيتها لما قال له أمير المؤمنين : أما علمت أن القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق ! بل كان يقول له بدلا من ذلك : هي مجنونة ؛ وكان ينبغي أن يقول عمر متبرئا من الشبهة : ما علمت بمجنونيتها ؛ ولست ممن يذهب عليه أن المجنون لا يرجم ، فلما رأينا استعظم ما أمر به ، وقال : لولا

(١) وهذا في الثاني : « ويروي ذلك لحاذ » .

على تهلك عمر؛ دلنا على أنه كان تأتم وتخرج بوقوع الأمر بالرحم، وأنه مما لا يجوز ولا يحل؛
وإلا فلا معنى لهذا الكلام . وأما ذكر العلم، فأى غم كان يلحقه إذا فعل ماله أن يعمل !
ولم يكن منه تفريط ولا تقصير؛ لأنه إذا كان حسونها لم يعلم به ؛ فكانت المسألة عن حالها
والبحث لا يحيان عليه؛ فأى وجه لتأله وتوحيه واستعظامه لما فعله ! وهل هذا إلا كرجم
المشهود عليه بالزنا في أنه : لو ظهر للإمام بعد ذلك براءة ساحتها لم يجب أن يذم على فعله
ويستعظمه ؛ لأنه وقع صوابا مستحقا .

وأما قوله : إنه كان لا يمتنع في الشرع أن يقام الحد على المجهنون، وتأوله الخبر المروي
على أنه يقتضي روال التكليف دون الأحكام ؛ فإن أراد أنه لا يمتنع في العقل أن يقام على
المجهنون ما هو من جنس الحد تغير استعفاف ولا إهانة ، فذلك صحيح ، كما يقام على الثائب
وأما الحد في الحقيقة، وهو الذي تضمنه الاستعفاف والإهانة فلا يجوز إلا على المكلفين
ومستحقى العقاب ، وبالجنون لقد أزيل التكليف ، فرال استحقاق العقاب الذي
تبعه الحد .

وقوله : لا يمتنع أن يرجع فيها هذه حاله من المشبهة إلى غيره ، فليس هذا من المشبهة
العاص ، بل يجب أن يعرفه العوام فضلا عن العلماء ، على أننا لا يجوز أن
يرجع الإمام في حلي ولا مشبهة من أحكام الدين إلى غيره .
وقوله : إن الخطأ في ذلك لا يعظم فيمنع من صحة الإمامة ، اقتراح بغير حجة لأنه
إذا اعترف بالخطأ فلا سبيل للقطع على أنه صغير ^(١) .

قلت : لو كان قد نقل أن أمير المؤمنين قال له : «أما علمت» ، لكان قول المرتضى قويا
ظاهرا، إلا أنه لم ينقل هذه الصيغة بعينها، والمعروف المنقول : أنه قال له : قال رسول الله صلى
الله عليه وآله : «رُفِعَ القلم عن ثلاث» ؛ فرجع عن رَجْعها، ويجوز أن يكون أشعره بالعلّة

والحكم معاً ، لأن هذا الوضع أكثر اشتباهاً من حديث رَجْم الحامل ، فغلب على ظن أمير المؤمنين أنه لو اقتصر على قوله : إنها مجنونة لم يكن ذلك دافعاً لرجمها ، فأكد برواية الحديث . واعتذار قاضي القضاة بالمعجيد ، وقول المرتضى : أي غم كان يلحقه إذا فعل ماله أن يفعله ! ليس بإنصاف ، ولا مثل هذا يقال فيه إنه فعل ماله أن يفعله ، ولا يقال في العرف لمن قتل إنساناً خطأ : إنه فعل ماله أن يفعله ، والمرحوم في الزنا إذا ظهر للإمام بعد قتله براءة ساحته قد يفتم بقتله غماً كثيراً بالطبع البشري ، ويتألم وإن لم يكن آثماً ، وليس من توابع الإثم ولو أزمه .

وقول المرتضى : لم يجب أن يندم على ما فعله كلامٌ خارج عما هو بصدده ؛ لأنه لم يجر ذكر الندم ، وإنما الكلام في العلم ولا يلزم أن يكون كل مضمٍ نادماً .

وأما اعتراضه على قاضي القضاة في قوله : لا يجتمع في الشرع أن ترجم المحنونة ، فلما اشتبه على عمر الأمر سأل غيره عنه بقوله : « إن أردت الحد الحقيقي فعلم ، وإن أردت ما هو جنس الحد فسلم » فليس بجيد ، لأن هذا إنما يكون طعماً على عمر بتقدير ثلاثة أمور : أحدها أن يكون النبي صلى الله عليه وآله قد قال : « أقيموا الحد على الراي » بهذا اللفظ ، أعنى أن يكون في لفظ النص ذكر الحد ، وثانيها أن يكون الحد في اللغة العربية أو في عرف الشرع الذي يتفاهمه الصحابة هو العقوبة المخصوصة التي يقارنها الاستخفاف والإهانة . وثالثها ألا يصح إهانة المحنونة والاستخفاف به ، وأن يعلم عمر ذلك ، فإذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة ثم أمر عمر بأن يقام الحد على المحنونة فقد توضح الطعن ، ومعلوم أنه لم تجتمع هذه الأمور الثلاثة ، فإنه ليس في القرآن ولا في السنة ذكر الحد بهذا اللفظ ، ولا الحد في اللغة العربية هو العقوبة التي يقارنها الاستخفاف والإهانة ولا عرف الشرع ومواضع الصحابة يشتمل على ذلك ، وإنما هذا شيء استنبطه المتكلمون المتأخرون بأذهانهم وأفكارهم ؛ ثم بتقدير تسليم هذين المقامين لم قال : إن المحنونة

لا يصح عليه الاستخفاف والإهانة ؟ فمن الجائر أن يصح ذلك عليه وإن لم يتألم بالاستخفاف والإهانة كما يتألم بالعقوبة ، وإذا صح عليه أن يألم بالعقوبة صح عليه أن يألم بالاستخفاف والإهانة ؛ لأن الجوارح لا يبلغ - وإن عظم - مبلغاً يبطل تصور الإنسان لإهانتته ولاستخفافه ؛ وتقدير ألا يصح على المخنون الاستخفاف والإهانة ، من أين لنا أن نعلم أن ذلك لا يصح عليه ! فمن الممكن أن يكون ظن أن ذلك يصح عليه ، لأن هذا مقام اشتقاء والتناس .

فأما قوله : « قد يبا أنه لا يجوز أن يرجع الإمام أصلاً إلى غيره » ، فهو مبني على مذهبهم وقواعدهم . وقوله معترضاً على كلام قاضي القضاة : إن الخطأ في ذلك قد لا يمتنع لينع من صحة الإمامة إن هذا اقتراح سير حجة ، لأنه إذا اعترف بالخطأ فلا سبيل إلى القطع على أنه صغير غير لازم ، لأن قاضي القضاة لم يقطع بأنه صغير ، بل قال : لا يمتنع ، وإذا جاز أن يكون صغيراً لم يكن قاطعين على فساد الإمامة به .

فإن قال المرتضى : كما أنكم لا تقطعون على أنه صغير ، تكون الإمامة مشكوكاً فيها ؛ قيل له : الأصل عدم الكبير ، فإذا حصل الشك في أمر : هل هو صغير أم كبير ؟ تساقط التعارض ، ورجعنا إلى الأصل ؛ وهو عدم كون ذلك الخطأ كبيراً ، فلا يمنع ذلك من صحة الإمامة .

الطعن الرابع

حديث أبي المعجم ، وأن عمر مع من المعالة في صدقات النساء ، اقتداء بما كان من النبي صلى الله عليه وآله في صدقات قاطمة ، حتى قامت المرأة وسهته بقوله تعالى : ﴿ وَآيَاتُهُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا ﴾ ^(١) ؛ على جوار ذلك ، فقال : كل النساء أفتة من عمر !

(١) سورة النساء ٢٠ .

وبما روي أنه نسوّر على قوم ، ووجدتم على منكّر ، فقالوا له : إنك أخطأت من جهات :
تجست ، وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبُوا ﴾ ^(١) ، ودخلت بمير إذن ، ولم تسلم ^(٢) .
أجاب قاضي القضاة ، فقال : عندما تتقدم عمر في العلم وفصله فيه ضروري ، فلا يجوز
أن يقدح فيه بأخبار أحاديث غير مشهورة ، وإنما أراد في المشهور أن المستحب الاقتداء
برسول الله صلى الله عليه وآله ، وأن المعالاة فيها ليس بمكرمة ، ثم عند التنبيه ، علم أن ذلك
مبنى على طيب النفس ، فقال ما قاله على جهة لتواضع ، لأن من أظهر الاستفادة من
غيره - وإن كان عنه - فقد تعاطى الخسوع ، وسأ على أن طريقته أخذ الفائدة أيما وحدها :
وصير عنه قدوة في ذلك وأشوة ، وذلك حسن من الفضلاء . وأما حديث الحسن فإن
كان فعله فقد كان له ذلك ، لأن للإمام أن يجتهد في إزالة المنكر بهذا المجلس من العمل ،
وإنما لحقه - على ما ^(٣) روي في الخبر - المحض ، لأنه لم يصادف الأمر على ما ألقى إليه
في إقدامهم على السكر .



اعترض المرتضى على هذا الجواب ، فقال له : أما تميلك على العلم الضروري بكو
من أهل العلم والاجتهاد ؛ فذلك إذا صح لم يملك ، لأنه قد يذهب على من هو بهذه الصفة
كثير من الأحكام حتى يسه عيبها ويجهل فيها ، وليس العلم الضروري ثباتاً بأنه عالم بجميع
أحكام الدين ، فيكون قاصياً على هذه الأخبار . فاما تأوله الحديث وحمه على الاستحباب
فهو دفع للبيان ، لأن المروي أنه منع من ذلك وخطره حتى قالت المرأة ما قالت ، ولو كان
غير حاطر له بالافتلا كان في الآية حجة ، ولا كان لكلام المرأة موقع ، ولا كان يصرف لها بأنها
أفقه منه ، بل كان الواجب أن يردّ عيبها ويوتحها ويعرفها أنه ما حذر لذلك ، وإنما تكون

(٢) ١ : « ودخلت ولم تسلم » .

(١) سورة المحرات ١٢ .

(٢) ١ : « روى » .

الآية حُجَّةٌ عليه لو كان حاضر مانعاً ، فأمّا لتواضع فلا يقتضى إظهار التوبيخ وتصويب الخطأ .
ولو كان الأمر على ما توقعه صاحبُ الكتاب لكان هو المصيب والمراءى مخطئة ، فكيف
بتواضع بكلام يؤمُّ أنه المخطئ ، وهي المصيبة ! فأمّا التحسُّن فهو محذور بالقرآن والسنة ،
وايس للإمام أن يتعهد فيما يؤدى إلى مخالفة الكتاب والسنة ، وقد كان يحب إن كان هذا
عندرا صحيحا أن يعتذر به إلى من حطّاء في وجهه . وقال له : إياك أخطأت السنة من وحوه ؛ فإنه
بمعايير نفسه أعلم من صاحب الكتاب ، وتلك الحال حال تدعو إلى الاحتجاج
وإقامة العذر ^(١) .

قلت : تُضارَى هذا الطعن أن من اجتهد في حُكْم أو أحكام فأخطأ ، ولما نُسبَ عليها
رحم ، وهذا عند المعتزلة وأكثَر المسلمين غير مفكر ، وإلّا ما بكر أمثال هذا من بسطل
الاجتهاد ، ويوجب عصمة الإمام ، فقدن هذا البحث يسقط على أصول المعتزلة ، والجواب
عنه غير لازم علينا .

الطعن الخامس

أنه كان يعطى من بيت المال مالا يحوز ، حتى إنه كان يعطى عائشة وحفصة عشرة
آلاف درهم في كل سنة ، ومنع أهل البيت خمسهم الذى يحرى محرى الواصل إليهم من
قَبْلِ رسول الله صلى الله عليه وآله . وأنه كان عليه ثمانون ألف درهم من بيت المال على
سبيل القرض .

أجاب قاضى القضاة ، بأن دفعه إلى لأرواج جائز من حيث إنَّ لهنَّ حقاً فى بيت

(١) المال ٢٥٤ ، وزاد بعدها : « وكل هذا طريق وتقليد » .

للمال، وللإمام أن يدفع ذلك على قدر ما يراه، وهذا القمل قد فصله من قلبه من بعده، ولو كان مسكراً لما استمر عليه أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ثبت استمراره عليه، ولو كان ذلك طعناً لوجب - إذا كان يدفع إلى الحسن والحسين وإلى عبد الله بن جعفر وغيرهم من بيت المال شيئاً - أن يكون في حكم الخائز، وكل ذلك يبطل ما قالوه، لأن بيت المال إنما يُراد لوضع الأموال في حقوقها ثم الاحتجاج وإلى المتولى للأمر في الكثرة والقلة.

فأما أمر المجلس فمن باب الاحتجاج، وقد اختلف الناس فيه، فمنهم من جعله حقاً لنزوى القرى وسبها مفرداً لم على ما يقتضيه ظاهر الآية، ومنهم من جعله حقاً لم من جهة الفقر، وأجرام مجرمي غيرهم، وإن كانوا قد حصوا بالدكر، كأخرى الأيتام - وإن حصوا بالدكر - مجرمي غيرهم في أنهم يستحقون بالعقر. والكلام في ذلك يطول، فلم يخرج عمر عما حكّم به عن طريقة الاحتجاج، ومن قدّح في ذلك فإنما يقترح في الاحتجاج الذي هو طريقة الصحابة.

فأما اقتراحه من بيت المال، فإن صحّ فهو غير محذور؛ بل ربما كان أحوط، إذا كان على ثقة من رده بمعرفة الوجه الذي يمكنه منه الرد، وقد ذكر الفقهاء ذلك، وقال أكثرهم: إن الاحتياط في مال الأيتام وغيرهم أن يحمل في ذمة العبي المأمون، لعدّه عن الخطر، ولا فرق بين أن يفرض العير أو يفترسه لنفسه. ومن بلغ في أمره أن يطمع على عمر بمثل هذه الأخبار - مع ما يعلم من سريره وتشدده في ذات الله واحتياطه فيما يتصل بملك الله، ونزاهه عنه؛ حتى فعل بالصبي الذي أكل من تمر الصدقة واحدة ما فعل، وحتى كان يرفع نفسه عن الأمر الحقير ويتشدد على كل أحد، حتى على ولده - فقد أهدى القول.

اعترض المرتضى، فقال: أما تفصيل الأزواج، فإنه لا يجوز، لأنه لا سبب فيهن

يقتضى ذلك ، وإنما بفضل الإمام في العطاء ذوى الأسباب المقتضية لذلك ، مثل الجهاد وغيره من الأمور العام نفعها للمسلمين .

وقوله : **إِنَّ لَهُنَّ حَقًّا فِي بَيْتِ الْمَالِ صَحِيحٌ** ، إلا أنه لا يقتضى تفصيلهن على غيرهن ، وما عيب يدفع حقهن إليهن ، وإنما عيب بالزيادة عليه ، وما يعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام استمر على ذلك - وإن كان صحيحاً كما ادعى - فالسبب الداعي إلى الاستمرار عليه ، هو السبب الداعي إلى الاستمرار على جميع الأحكام ، فأمّا تمدّقه يدفع أمير المؤمنين إلى الحسن والحسين وغيرهما شيئاً من بيت المال فصَحَّ ! لأنه لم يفصل هؤلاء في العطية فيشبه ما ذكرناه في الأرواج ، وإنما أعطاهم حقوقهم ، وسوى بينهم وبين غيرهم .

فأمّا الخمس ، فهو للرسول ولأقربائه ، على ما طبق به القرآن ، وإنما عي تعالى قوله : **(وَلَدَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَاسِ السَّبِيلِ)** ^(١) من كان من آل الرسول خاصة ؛ لأدلة كثيرة لا حاجة بنا إلى ذكرها ههنا . وقد روى سليم بن قيس الهلالي ، قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : **عن والله الذين عني الله بندي القربى ، قرهم الله نفسه وبيته صلى الله عليه وآله ، فقال : (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِللرَّسُولِ وَلِدَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَاسِ السَّبِيلِ)** ^(٢) ؛ كل هؤلاء مما خاصة ، ولم يعمل لتاسهما في الصدقة ، أكرم الله تعالى سيماؤا كرمائنا يطعمنا أو يساح ما في أيدي الناس . وروى يزيد بن هرم ، قال : كتب بخدة إلى ابن عباس ، يسأله عن الخمس لمن هو ؟ فكتب إليه : كتبت تبأني عن الخمس لمن هو ؟ وإنما كننا نزع أنه لنا ، فأبى قومنا علينا ذلك ، فهدرنا عليه .

قال : وأما الاجتهاد الذي عول عليه ، فليس عذراً في إخراج الخمس عن أهله فقد أطلناه .

وأما الاقتراض من بيت المال فهو مما يدعو إلى الريبة ، ومن كان من التشدد والتحفط والتشقق على الحدة الذي ذكره ؛ كيف تطيب معه الاقتراض من بيت المال ، وفي حقوق ورتب ما مست الحاجة إلى الإخراج منها ، وأى حاجة إن كان جشيب المأكول ، خشن الملابس ، يتبلى بالقوت إلى اقتراض الأموال !

فأما حكايته عن الفقهاء ؛ أن الاحتياط أن يحفظ مال اليتام في ذمة الفنى المأمون ؛ فذلك إذا صح لم يكن بافعاله ، لأن عمر لم يكن غنياً ، ولو كان غنياً لما اقترض ، فقد خرج اقتراضه عن أن يكون من باب الاحتياط ، وإنما اشترط^(١) الفقهاء مع الأمانة الفنى ، لتلائم الحاجة إليه ، فلا يمكن ارتضاعه ، ولهذا قلنا : إن اقتراضه لحاحته إلى المال لم يكن صواباً وحسن نظر المـالـين^(٢) .



قلت : أما قوله : لا يجوز للإمام أن يفصل في العطاء إلا لسب يقتضى ذلك كالجهاد ؛ فابست أسباب التفصيل متصورة على الجهاد وحده ، فقد يستحق الإنسان التفصيل في العطاء على غيره لكثرة عبادته ، أو لكثرة علمه ، أو انتفاع الناس به ، فلم لا يجوز أن يكون عمر فضل الزوجات لذلك !

وأبداً : فإن الله تعالى فرض لدى القرى من رسول الله صلى الله عليه وآله نصيباً في الفى والغنيمة ، ليس إلا لأنهم ذؤوقرأته فقط ، فما للامع من أن يقبس عمر على ذلك ما فعله في العطاء ، فيفصل ذؤوى قرأته رسول فى ذلك على غيرهم ، ليس إلا لأنهم ذؤوقرأته ، والزوجات وإن لم يكن لهن قرى النسب فلهن قرى الروحية ! وكيف يقول المرتضى : ما جاز أن يفصل أحداً إلا بالجهاد ! وقد فصل الحسن والحسين على كثير من أكابر المهاجرين والأنصار وهما صبيان ، ما جاهددا ولا ملعا الحلم بعد ، وأبوها أمير المؤمنين

(٢) الشال ٢٥٥ ، وبسما . « وفيه كفاية » .

(١) التباى : « شرط » .

موافق على ذلك ، راضٍ به ، غير مكِر له ! وهل فعل عمرُ ذلك إلا لقُرْبهما من رسول الله صلى الله عليه وآله !

ونحن نذكر ما فعله عمر في هذا الباب مختصراً نقلناه من كتاب أبي الفرج عبد الرحمن ابن علي بن الخوري المحدث في « أخبار عمر وسيرته » .

روى أبو الفرج ، عن أبي سمية عن عبد الرحمن ، قال : استشار عمر الصحابة بمن يبدأ في القسم والمريضة ، فقالوا : ابدأ بنفسك ، فقال : بل أبدأ بأل رسول الله صلى الله عليه وآله وذوي قرابته ، فبدأ بالعاس .

قال ابن الخوري : وقد وقع الاتفاق على أنه لم يعرض لأحدٍ أكثر مما عرض له وروى أنه فرض له اثني عشر ألفاً ، وهو الأصح ، ثم فرض لروحات رسول الله صلى الله عليه وآله لكل واحدة عشرة آلاف (مواضع عائشة عيينة نالين فأبت ، فقال : ذلك بعض ما رزقك عند رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإذا أخذتِ فشا بك . واستثنى من الروحات جويرية وصفيّة وميمونة ، فرض لكل واحدة مهن ستة آلاف ، فقالت عائشة : إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعدل بيننا ، فعَدَلْ عَمْرَيْنَهُنَّ ؛ وألحق هؤلاء الثلاث بسائرهن ، ثم فرض للمهاجرين الذين شهدوا بدرًا لكل واحد خمسة آلاف ، ولمن شهدا من الأنصار لكل واحد أربعة آلاف^(١) .

وقد روى أنه فرض لكل واحد مَن شهد بدرًا من المهاجرين أو من الأنصار أو من غيرهم من القبائل حصة آلاف ، ثم فرض لمن شهد أحدًا وما بعدها إلى الحديدية أربعة آلاف ، ثم فرض لكل مَن شهد أحدًا بعد الحديدية ثلاثة آلاف ، ثم فرض لكل مَن شهد المشاهد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ألفين وخمسمائة ، وألفين ، وألفاً

(١) سيرة عمر من الخطابات لأبي الخوري . ٨٠ .

وحسمائة ، وأنها واحدا إلى مائتين ، وهم أهل هجر : ومات عمر على ذلك ^(١) .
قال ابن الجوزي : وأدخل عمر في أهل بدر ممن لم يحضر بدرأ أربعة ، وهم الحسن ،
والحسين ، وأبو ذر ، وسلمان ، عرض لكل واحد منهم حمة آلاف .
قال ابن الجوزي : وروى السدي أن عمر كما أصحاح النبي صلى الله عليه وآله ،
لم يرتض في الكسوة ما يستصاحه الحسن والحسين عابها السلام ، فبعث إلى الحسن ، فأتى
لها بكسوة فاخرة ، فلما كساهما قال : الآن طابت نفسي .

قال ابن الجوزي : فأما ما اعتمد في النساء فإنه حمل نساء أهل بدر على خمسمائة ، ونساء
من بعد بدر إلى الحديبية على أربعمائة ، ونساء من بعد ذلك على ثلاثمائة ، وحمل نساء أهل
القادسية على مائتين مائتين ، ثم سوى بين النساء بعد ذلك .
ولو لم يبدل على تصويب عمر فيما فعله إلا إجماع الصعابة وانعاقهم عليه وترك الإسكار
لذلك كان كافيا .

فأما الخس والخلاف فيه فإنها مسألة اجتهادية ، والذي يظهر لنا فيه ويطلب ^(٢) عندنا
من أمرها : أن الخس حق صحيح ثابت ، وأنه باق إلى الآن على ما يذهب إليه الشافعي ،
وأنه لم يسقط بموت رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولكنا لا نرى ما يقتضيه المرتضى من
أن الخس لآل الرسول صلى الله عليه وآله ، وأن الأيتام أيتامهم ، والمساكين مساكينهم
وابن السبيل منهم ، لأنه على خلاف ما يقتضيه طهر الآية والعطف ، ويمكن أن يحتج
على ذلك بأن قوله تعالى في سورة الخشر : ﴿ يَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ﴾ يبطل هذا القول ،
لأن هذه اللام لا بد أن تتعلق بشيء ، وليس قبلها ما تتعلق به أصلا ، إلا أن تجعل بدلا
من اللام التي قبلها في قوله : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾

وَلَدِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَارْحُ السَّبِيلَ ^(١) . وليس يجوز أن تكون بدلا من اللام في « الله » ، ولا من اللام في قوله : « ولرسول » فبقى أن تكون بدلا من اللام في قوله « ولدي القربى » ، أما الأول فمعطوف له سبحانه ، وأما الثاني فلا ، تعالى قد أخرج رسوله من الفقراء بقوله : ﴿ وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ، ولأنه يجب أن يرفع رسول الله صلى الله عليه وآله عن التسمية بالفقير . وأما الثالث ، فإما أن يفتر هذا الدل وما عطف عليه المبدل منه ، أو يفتر هذا الدل وحده دون ما عطف عليه المبدل منه ، والأول لا يصح لأن المطفوف على هذا الدل ليس من أهل القرى وهم الأنصار ، ألا ترى كيف قال سبحانه : ﴿ لَاقِرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ... ﴾ ^(٢) الآية ، ثم قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ ^(٣) وهم الأنصار . وإن كان الثاني صار تقدير الآية أن المحسن لله ولرسوله ولذي القربى الذين وصفهم الله ونعتهم بأنهم هاجروا وأخرجوا من ديارهم ، وللأنصار ؛ فيكون هذا مبالا يذهب إليه المرتضى في قصر الخمس على ذوى القربى .

ويمكن أن يفترض هذا الاحتجاج ، فيقال : لم لا يجوز أن يكون قوله : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾ ، ليس سطف ، ولكنه كلام مستدا ، وموضع « الذين » رفع بالابتداء وخبره « يحبون » ؟

وأيا فإِنَّ هذه الحجة لا يمكن التمسك بها في آية الأنفال ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(٤) .

فأما رواية سليم بن قيس الهلالي ، فليست بشيء ، وسليم معروف المذهب ، ويكفي في رد روايته كتابه المعروف بينهم المسمى « كتاب سليم » .

(٢) سورة المخر ٨ .
(٤) سورة الأهل ٤١ .

(١) سورة المخر ٧ .
(٣) سورة المخر ٩ .

على أني قد سمعت من بعضهم من يذكر أن هذا الاسم على غير مسمى ، وأنه لم يكن في الدنيا أحد يعرف سليم بن قيس الهلالي ، وأن^(١) الكتاب المنسوب إليه محمول موصوع لا أصل له ، وإن كان بعضهم يذكره في اسم الرجال ، والرواية المذكورة عن ابن عباس في كتابه إلى نجدة الحروري صحيحة ثابتة ، وليس فيها ما يدل على مذهب المرتضى من أن الخمس كله لذوي القربى ، لأن نجدة إنما سأله عن خمس الخمس لا عن الخمس كله .

ويبني أن يذكر في هذا الموضع اختلاف الفقهاء والخمس :

أما أبو حنيفة فصد أن قسمة الخمس كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله على حصة أسهم : سهم لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وسهم لذوي قرناه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل^(٢) استعقوب حينئذ بالنصرة والمطاهرة ، لما روى عن عثمان بن عفان وجبير بن مطعم أنهما قالان رسول الله صلى الله عليه وآله : هؤلاء إخوانك من بني هاشم لا سكر فصلهم ، فكانت الذي سلك الله منهم ؛ أرايت إخوانا بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا ؛ وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة . فقال صلى الله عليه وآله : « إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام ، إنما بنو هاشم وسوا المطلب شيء واحد » وشبك بين أصابعه . وثلاثة أسهم ليتامى المسلمين ومساكينهم وأما السبيل منهم ، وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فسببه ساقط بموته ، وكذلك سهم ذوي القربى ، وإنما يُعطون لفقيرهم ، فهم أسوة سائر الفقراء ، ولا يعطى أعيانهم ؛ فيقسم الخمس إذن على ثلاثة أسهم : اليتامى ، والمساكين وابن السبيل .

وأما الشافعي فيقسم الخمس خمسة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله على خمسة أسهم : سهم لرسول الله صلى الله عليه وآله يُصرف إلى ما كان يصرفه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله أيام حياته من مصالح المسلمين ، كعذة المرأة من الكراع والصلاح

ونحو ذلك ، وسهم لذوى القُرْبَى من أعْيَاشهم وفقرائهم ، يتقسم بينهم الذَّكْرُ مثل حظَّ
الأنثيين من بنى هاشم وبنى المطلب ، والدفق للفرق الثلاث .

وأما مالك بن أنس ، فعنده أنَّ الأمر في هذه المسألة مفروض إلى اجتihad الإمام ،
إن رأى قسمة بين هؤلاء ، وإن رأى أعطاه بعضهم دون بعض ، وإن رأى الإمام
غيرهم أولى وأهم ، صيرهم .

وبقي الآن البحث عن معنى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَلِلرَّسُولِ ﴾ ، وما المراد
سهم الله سبحانه ؟ وكيف يقول الفقهاء : الخمس مقسوم حصة أقسام ، وظاهر الآية يدلُّ
على ستة أقسام ؟ فتقول :

يحمل أن يكون معنى قوله سبحانه : ﴿ لِلرَّسُولِ ﴾ لرسول الله ، كقوله :
﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْصَوهُ ﴾^(١) ، أى ورسول الله أحق ؛ ومذهب أى حنيفة
والشافعية يحىء على هذا الاجتهال .

ويحتمل أن يريد بذكره إيجاب سهم سادس يصرف إلى وجه من وحوه القُرْبَى ،
ومذهب أى العالية يعنى على هذا الاحتمال ، لأنه يذهب إلى أن الخمس يقسم ستة أقسام :
أحدها سهمه تعالى يُصْرَفُ إلى رِئَاجِ الكعبة ، وقدرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله
كان يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قَبْضة فيجعلها للكعبة ، ويقول : سهم الله
تعالى ، ثم يقسم ما بقى على خمسة أقسام .
وقال : قوم سهم الله لبيت الله .

ويحتمل احتمالا ثالثا ، وهو أن يرد بقوله : ﴿ قَبْضَةُ خُمْسَةٍ ﴾ أن من حق الخمس
أن يكون متقربا به إليه سبحانه لا غير ، ثم حصن من وحوه القُرْبَى هذه الخمسة ، تفصيلا لها

على غيرها ، كقوله : (وَحَبْرِيَّ وَمَيْكَانَ)^(١) . ومذهب مالك يحيى . على هذا الاحتمال .

وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان على ستة : لله وللرسول ولأقاربه ، وثلاثة لأسهم الثلاثة ، حتى قص عليه السلام ، فاستط أبو بكر ثلاثة أسهم ، وقسم الخمس كله على ثلاثة أسهم ، وكذلك فعل عمر .

وروى أن أبا بكر منع نبي هاشم الخمس ، وقال : إنما لكم أن تعطى فقيركم ، وروج أبيكم ، ونخدم من لا خادم له منكم ، وأما السبي منكم فهو عملة ابن سبيل عفى ، لا يعطى شيئاً ، ولا ينجم مؤسر .

وقد روى عن زيد بن علي عليه السلام مثل ذلك ، قال : ليس لنا أن نبي منه القصور ، ولا أن نركب من البرادين . فثمنا مذهب الإمامية ، فإن الخمس كله للقراءة .

ويروون عن أمير المؤمنين عليه السلام ، أنه قال : أبتامنا ومساكيننا ! فإن صح عنه ذلك ، فعوله عدنا أولى بالانحياز ، وإنما الكلام في صحته .

فأما اقتراض عمر من بيت المال ثمانين ألفاً ، فليس معروف ، والمعروف المشهور أنه كان يظلف^(٢) نفسه عن الدرهم الواحد منه .

وقد روى ابن سعد في كتاب " الطبقات " أن عمر خطب ، فقال : إن قومنا يقولون : إن هذا المال حلال لعمر ، وليس كما قالوا ، لاها الله إذن ! أنا أحبركم بما استعمل منه ! يحل لي منه حلتان : حلة في الشتاء ، وحلة في الصيف ، وما أحج عليه وأعتمر من الظنهر ، وقوتي وقوت أهلي كقوت رجل من قريش ، ليس بأغنام ولا أققرم ، ثم أنا بعد رجل من المسلمين يصيبني ما أصابهم^(٣) .

(١) سورة البقرة ٩٨ . (٢) يظلف عنه يجمعها .

(٣) نقله ابن الجوزي في كتابه سيرة عمر من ٧٥ ، ٧٦ .

وروى ابن سعد أيضاً أن عمر كان إذا احتاج أتى إلى صاحب بيت المال فاستقرضه،
فرتما عسر عليه القصاص، فيأتيه صاحب بيت المال فيتقاصاه، فيحتال له، وربما خرج عطاؤه
فقبضاه، ولقد اشتكى مرة فوصف له الطبيب العسل، فخرج حتى صعد المبر، وفي بيت
المال عسكة^(١)، فقال: إن أدتم لي فيها أحدثها، وإلا فهي على حرام، وذنوا له فيها،
ثم قال: إن مثلي ومثلكم كفوم سافروا، فدفعوا بقاتهم إلى رجل منهم لينفق عليهم،
فهل يحل له أن يستأثر منها بشيء!

وروى ابن سعد أيضاً، قال: مكث عمر رما لا يأكل من مال المسلمين شيئاً،
حتى أصابته حصاة، فأرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فاستشارهم
فقال لهم: قد شعلت نفسي بأمركم، فما الذي يصالح أن أصيبه من مالكم؟ فقال عثمان:
كل وأطعم، وكذلك قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، فتركها وأقبل على علي عليه السلام،
فقال: ما تقول أنت؟ قال: عداة وعشاء، قال: أصدت، وأحد بقوله^(٢).

وروى أبو العرج بن الجوري في كتاب "سيرة عمر" عن نائلة عن ابن عمر، قال:
جمع عمر الناس لما انتهى إليه فتح القادسية ودمشق، فقال: إني كنتُ امرأ تاجراً يعني الله
عيالى شحارتي، وقد شعلتموني عن التجارة بأمركم، فما ترون أنه يحل لي من هذا المال؟
فقال القوم فأكثروا، وعلى عليه السلام ساكت، فقال عمر: ما تقول أنت يا أبا الحسن؟
قال: ما أصلحك وأصلحك عياللك بالمعروف، وليس لك من هذا المال غيره، فقال: القول
ما قاله أبو الحسن؛ وأخذ به^(٣).

وروى عبد الله بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده أن عبد الله وعبيد الله ابني عمر
مرّا بأبي موسى، وهو على العراق وهما متبادلان من أرض فارس، فقال: مرحباً بابنَي أخي،

(١) العسكة: رقيق صعب.

(٢) سيرة عمر لابن الجوزي ٧٦.

لو كان عندي شيء ، ولى قد اجتمع هذا المال عندي : فخذاه واشترى به متاعاً ، فإذا قدِّمتما فيعاه ولسكما ربحه ، وأديا إلى أمير المؤمنين رأس المال ، فقملا ، فلما قدما على عمر بالمدينة أخبراه ، فقال : أكل أولاد اللهاجر يصنع بهم أبو موسى مثل ذلك ! فقالا : لا ، قال : فإن عمر يأتى أن يجيز ذلك وجعل قرضاً .

وروى عن قتادة ، قال : كان معقيب على بيت المال لعمر ، فكسح عمر بيت المال يوماً ، وأخرجه إلى المسدين ، فوجد معقيب فيه درهماً ، فدفعه إلى ابن عمر ، قال معقيب : ثم انصرفت إلى بيتي ، فإذا رسول عمر قد جاء يدعونى ، فجلت فإذا الدرهم في يده ، فقال : ويحك يا معقيب ! أوجدت علىى نفسك شيئاً ! قلت : وما ذاك ؟ قال : أردت أن نحاصننى أمة محمدى هذا الدرهم يوم القيامة ^(١) !

وروى عمر بن شبة ، عن عبد الله بن الأرقم [وكان حازن عمر - فقال : إن عدداً حليّة من حلية جلولا وآية من قصة ، فانظر ما تأمر فيها ؟ قال : إذا رأيتنى فارعا فأدنى ، فجاء يوماً فقال : إني أراك اليوم فارعا ، فما تأمر بتلك الحلية ؟ قال : اسطلى لي بطماً ، فبطت ثم أتى ذلك المال ، فصب عليه ، فرقع بديه وقال : اللهم إني ذكرت هذا المال ، قلت : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ ﴾ ^(١) ثم قلت : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ ^(٢) اللهم إني لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا ، اللهم إني أسألك أن تضع في حقّه ، وأعوذ بك من شرّه ، ثم ابتدا فقسّمه بين الناس ، فجاءه ابن بنته ، فقال : يا أبتاه ! هب لي منه خاتماً ، فقال : اذهب إلى أمك تسئلك سويّاً ، فلم يعطه شيئاً ^(٣) .

وروى الطبري في تاريخه أن عمر خطب أم كلثوم بنت أبي بكر ، فأرسل فيها إلى

(٢) سورة الحديد ٢٣ .

(١) سورة آل عمران ١٤ .

(٣) سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي ٢٨ .

عائشة ، فقالت : الأمر إليها ، فقالت أم كلثوم : لاحاجة لي فيه ، قالت لها عائشة : وبلك !
أترعين عن أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم ، إنه يعلق ماله ، ويبيع حيره ، ويدخل عابسا ،
ويخرج عابسا ، فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص ، فأخبرته ، فقال : أما أكفيك ،
فأثنى عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، بلعي حبر^١ عبيدك بالله منه ! قال : ما هو ؟ قال : خطبت
أم كلثوم ست أمي بكر ؟ قال : نعم ، أفترعين عنها أم ترعين سباعي ؟ قال : لا واحدة ،
وسكها حدثة ، نشأت تحت كف أم المؤمنين في لين ورق ، وفيك علقو عن سهاك ،
ولا نستطيع أن نردك عن خلق من أحلافك ، فكيف سها إن حالفتك في شيء فسطوت
سها ! كنت قد خلعت أبا بكر في ولده نعيم مباح عليك ، قال : فكيف لي بعائشة وقد
كلمتها فيها ؟ قال : أما لك سها ، وأدلك على خير سها ، أم كلثوم ست علي بن أبي طالب ،
تعلق سها بسبب من رسول الله . فخرقه عنها إلى أم كلثوم ست فاطمة .

وروى عاصم بن عمر ، قال : بعث إلى عمر عند المأخرة سأو قال عند صلاة الصبح -
فأبته ، فوجدته حالسا في السعد فقال : يا بني ، إني لم أكن أرى شيئا من هذا المال يجل لي
قبل أن ألي إلا محقه ، وما كان أحرم علي منه حيوليته ، فعاد أمانق ، وإني كمت أنفقت
عليك من مال الله شهرا ، ولست بزائدك عليه ، وقد أعطيتك تمرى بالعالية ، فبعه وحذ
ثمه ، ثم انت رجلا من تجار قومك ، فكن إلى حاسه ، فإذا انتاع شيئا فاستشركه ،
وأنفق ما تربحه عليك وعلى أهلك . قال : فذهبت ففعلت^(١) .

وروى الحسن البصري أن عمر كان يمشي يوما في سكة من سكة المدينة ، إذ
صبية تطيش على وجه الأرض ، تقعد مرة ، وتقوم أخرى من الضعف والجهل ، فقال
عمر : ما بال هذه ؟ قال عبد الله الله : أما تعرف هذه ؟ قال : لا ، قال إنها إحدى بناتك ،

فأنكر عمر ذلك، فقال : هذه انقي من فلانة ! قال : ويحك وما صيرها إلى ما أرى؟ قال : منعك [ما عندك] ^(١) ، قال : أما منعك ما عندي ، فما الذي منعك أن تطلب لئناتك ما يكسب الأتوام ^(٢) لسانهم ! إنه والله مالك عدى غير سهمك في المسلمين ، وسعك أو يحجز عنك ، وكتاب الله بيني وبينك ^(٣) .

وروى سعيد بن المسيب ، قال . كتب عمر لما قسم العطاء وفضل من فصل المهاجرين الذين شهدوا بدرًا خمسة آلاف ، وكتب لمن لم يشهد بدرًا أربعة آلاف ؛ فذكر منهم عمر بن أبي سدة المحزومي ، وأسامة بن زيد بن حارثة ، ومحمد بن عبد الله بن جعش ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب . فقال عبد الرحمن بن عوف - وهو الذي كان يكتب : يا أمير المؤمنين ، إن عبد الله بن عمر ؛ ليس من هؤلاء ، إنه وإياه ... يطريه ويؤبى عليه ، فقال له عمر : ليس له عدى إلا مثل واحد منهم ، فحكيم عبد الله وطلب الزيادة ، وهو ساساكت ، فلما قصي كلامه ، قال عمر لعبد الرحمن : أكتبه على خمسة آلاف ، وأكتبني على أربعة آلاف ، فقال عبد الله : لأأربد هذا ، فقال عمر : والله لا أجمع أبوات على خمسة آلاف ، ثم إلى منزلك ؛ فقام عبد الله كئيها .

وقال أبو وائل : استعملني ابن زياد على بيت المال بالكوفة ، فأتاني رجل مصك يقول فيه : أعط صاحب المطبخ ثمانمائة درهم ، قلت له : مكالمك . ودخلت على ابن زياد ، قلت له : إن عمر استعمل عبد الله بن مسعود بالكوفة على القصاص وبيت المال ، واستعمل عثمان بن حنيف على سقي الفرات ، واستعمل عمار بن ياسر على الصلاة والجند ، فزقيم كل يوم شاة واحدة ، فجعل نصفها وسقناها وأكارعها الصغار ؛ لأنه كان على الصلاة والجند ، وجعل لابن مسعود رُبعا ، ولابن حنيف ربعا ، ثم قال : إن مالا يؤخذ منه كل يوم شاة ، إن ذلك فيه لسريع ، فقال ابن زياد : صم المفتاح فادهب حيث شئت .

(١) من سيرة عمر . (٢) سيرة عمر : « الأتواء » . (٣) سيرة عمر ٧٧ ، ٧٨ .

وروى أبو جعفر الطبري في التاريخ ، أن عمر بعث سلمة بن قيس الأشجعي إلى طائفة من الأكراد ، كانوا على الشرك ، فخرج إليهم في جيش مَرَّحِه معه من المدينة ، فلما انتهى إليهم ، دعاهم إلى الإسلام أو إلى أداء الحرية ، فأبوا ، فقاتلهم ، فصره الله عليهم ؛ فقتل المقاتلة وسبي الذرية ، وجمع الرينة ^(١) ، ووجد حية وقصصا وجواهر ، فقال لأصحابه : أتطيع أمسكم أن سمع بهذا إلى أمير المؤمنين ؟ فإنه غير صالح لكم ، وإن علي أمير المؤمنين آثمة وأتقالا ! قالوا : نعم ، قد طعت أمسا ، فجعل تلك الجواهر في سعة ، وبعث به مع واحد من أصحابه ، وقال له : سِرْ ، فإذا أتيت المصرية ، فاشترِ راحلتين فأوقِرهما راداً لك ولعالمك ، وسِرْ إلى أمير المؤمنين . قال : فعلت ، فأبى عمرو وهو بعدى الناس ، قائما منكثا على عصا كما يصنع الراعي ، وهو يدور على القصب ، فيقول : يا بَرِّ فَارِدْ هؤلاء لحماً ، رد هؤلاء حيزاً ، رد هؤلاء مَرَكَةً ^(٢) فجلست في أدنى الناس فإذا طعام فيه حشوة ، طعامي الذي معي أطيب منه ، فلف فرج أدبر فأنصه ، فدخل داراً فاستأذنت ، ولم أعلم صاحبه من أنا ، فأذنت لي ، فوجدته في صفة حالك على مسح ، متكثا على وسادين من آدم محشوتين ليعاً ، وفي الصفة عليه ستر من صوف ، فشد إلى إحدى الوسادتين ، فجلست عليها ، فقال : يأمُ كاثوم ، ألا تعدوا ما أخرج إليكم خيرة زيت في عرصها ما لم يذوق ، فقال : يأمُ كاثوم ، ألا تحرطين إليما ناكين معا ؟ فقالت : إني أسمع عندك حسن رجل ، قال : نعم ، ولا أراهم أهل هذا البلد . قال : فذاك حين عرفت أنه لم يعرفني . فقالت : لو أردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتني كما كسا الزبير امرأته ، وكما كسا طلعة امرأته ، قال : أو ما يكتفيك أنك أم كاثوم انسة علي بن أبي طالب وزوجة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ! قالت : إن ذلك عني لقليل الفناء ، قال : كل ، فلو كانت راضية لأطعمتك أطيب من هذا ، فأكلت قليلاً ، وطعامي الذي معي أطيب منه ،

وأكل ، فما رأيت أحداً أحسنَ أكلًا منه ، ما يتلبس طعامه بيده ولا فقه . ثم قال :
استقونا ، فجامعوا بصر من حُلَّت^(١) ، فقال : أعط الرُّحْلَ ، فشرت قليلاً ، وإن سويقي
الذي معي لأطيبُ منه ، ثم أحده فشر به حتى قرع القدحُ حبهته ، ثم قال : الحمد لله الذي
أطعمنا فأشبعنا ، وسقانا فأروانا ، إنك يا هذا لضعيف الأكل ، ضعيف الشرب ، فقلت :
يا أمير المؤمنين ، إن لي حاجة ، قل : ما حاجتك ؟ قلت : أما رسول سلمة بن قيس ، فقال :
مرحباً بسلمة ورسوله ! فكأنما حرحت من ضلبي ، حَدَّثَنِي عن المهاجرين كيف هم ؟
قلت : كما تحبُّ يا أمير المؤمنين ؛ من السلامة والطفر والنصر على عدوهم ، قال : كيف
أسعارهم ؟ قلت : أرخص أسعار ، قال : كيف اللحم فيهم ، فإنه شعرة العرب ، ولا تصلح
العرب إلا على شعرتها ؟ قلت : النقر فيهم بكذا ، والشاة فيهم بكذا ، ثم سِرْنَا
يا أمير المؤمنين حتى اتينا عدونا من المشركين ، فدعوناهم إلى الذي أمرت به من الإسلام
فأبوا ، فدعوناهم إلى الحراج فأتوا ، فقتلناهم فصرنا الله عليهم ، فقتلنا المقالية ، وسدنا
الفرجة وجعلنا الرثة^(٢) ، فرأى سمة في الرثة خدية ، فقال للناس : إن هذا لا يبلغ
فيكم شيئاً ، أفتطيب أنفسكم أن أمث به إلى أمير المؤمنين ؟ قالوا : نعم ، ثم استخرحت
سَفَطِي^(٣) فتحتته . فلما نظر إلى تلك المصوص ، من بين أحمر وأحمر وأصفر وثوب وجمل
يده في حاصرته يصيح صياحاً عالياً ، ويقول : لا أشبع الله إذن بطن عمر ! يكررها ، فطن
النساء أني جئت لأعتاله ؛ فجنن إلى الثر فكشفنه ، فسمعه يقول : لف ما جئت به بإرفاء
جأ عقه^(٤) ، قال : فانا أضبح سَفَطِي ، ويرفأ يحمأ عني ، ثم قال : النجاء النجاء !
قلت : يا أمير المؤمنين انزع في فاحماني ، فقال : بإرفاء ، أعطه راحلتين من إبل الصدقة ،

(٢) الطيرى : « الرشة » .

(٤) جأ : اضرب .

(١) السلت : شعر لا قصر له ، يجرد بسوكة

(٣) السفط : وعاء كالجوالق .

فإذا لقيت أقر إلىهما منك فادفعهما إليه ، وقال : أغلظك سنبطى ، أما والله لن تفرق
المسجون في مشاتيهم قبل أن يُقسَمَ هذا فيهم ، لأفعلن بك وصاحبك الفاقرة ^(١) .
قال : فارتحلت حتى أتيتُ إلى سلمة بن قيس ، فقلت : ما بارك الله فيما احتصصتني به ،
أقيم هذا في الناس قبل أن تصيبني وإياك فاقرة ، فقه فيهم . فإن الفص ليبيع خمسة
دراهم وستة ، وهو خير من عشرين ألفا ^(٢) .

وحيلة الأمر أن عمر لا يجوز أن يُطعن فيه بمثل هذا ، ولا ينسب إلى شره وحب
للمال ، فإن طريقته في التعف والتشف وحشونة الميش والزهة أظهر من كل ظاهر ،
وأوضح من كل واضح ، وحاله في ذلك معلومة ، وعلى كل تقدير ؛ سواء كان يفعل ذلك
ديماً أو ورعاً - كما هو الظاهر من حاله - أو كان يفعل ذلك ناموساً وصناعة ورياء وحيلة ،
- كما تزعم الشيعة - فإنه عظيم ، لأنه إما أن يكون على غاية الدين والثقي ، أو يكون أقوى
الناس نفساً ، وأشدهم عزمًا بموكله الأميرين عصيلة .

والذي ذكره المحدثون وأرباب السير أن عمر لما طُعن واحتُمل في دمه إلى بيته ،
وأوصى بما أوصى ، قال لابنه عبد الله : انظروا ماعلى من دين ، فحسبوه فوجدوه ستمائة
وثمانين ألف درهم ، هكذا ورد في الأحبار أنها كانت ديونا لمسلمين ، ولم تكن من
بيت المال . فقال عمر : انظروا بعد الله ، فإن وقى به مال آل عمر ، فأذه من أموالهم ،
وإلا فسئل في بني عدى بن كعب ، فإن لم تنف به أموالهم ، فسئل في قريش ، ولا تعدم
إلى غيرهم . فهكذا وردت الرواية ، فحدث قال قاصي القصة : فإن صح فالعذر كذا
وكذا ، لأنه لم يشت عنده صحة اقتراضه هذا المقدار من بيت المال .

وقد روي أن عمر كان له نخل بالحجاز عنته كل سنة أربعون ألفا ، يُخرجها في

(١) الفاقرة : الهاربة . (٢) تاريخ الحمى ١ : ٢٧١٣ - ٢٧٢١ (طبع أوروبا) مع اختلاف الرواية .

التواضع والحقوق، ويصرفها إلى بني عدي بن كعب إلى فقرائهم وأراملهم وأيتامهم، روى ذلك ابن جرير الطبري في التاريخ .

فأما قول المرتضى : أى حاجة محسن العيش وحيث المأكل إلى اقتراض الأموال؟
 فجوابه أن المتزهد المتشف قد يضيق على نفسه ويوسع على غيره ، إما من باب التكرم والإحسان ، أو من باب الصدقة والسعة ، أو من باب ، وقد يصل رحمه وإن قتر على نفسه
 وقد روى الطبري أن عمر دفع إلى أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام صداقها يوم تزوجها أربعين ألف درهم ؛ فلما هذا الاقتراض من الناس كان لهذا الوجه ولغيره من الوجوه التي قل أن يحلو أحد منها .

الطعن السادس

إنه عطل حدّ الله في الميرة من شعبة ، لا شهود^(١) عليه بالزنا ، ولقّن الشاهد الرابع الامتناع عن الشهادة ، اتباعاً لهواه ، فلما فعل ذلك عاد إلى الشهود لخدمهم وضررهم^(٢) ، فتحتب أن يفضح الميرة ، وهو واحد ، وفصح الثلاثة مع تعطيله لحكم الله ، ووصعه في غير موضعه .

أجاب قاضي القضاة ، فقال : إنه لم يعط الحد إلا لمن حيث لم تسكن الشهادة ويلزاة الرابع ، لئلا يشهد لا تسكن البيّنة ، وإنما تسكن بالشهادة .

وقال : إن قوله : « أرى وجه رجل لا يفضح الله به رجلاً من المسلمين » ، يعزى في أنه سائغ صحيح محرمى ماروى عن النبي صلى الله عليه وآله من أنه أتى سارقاً ، فقال : « لا تقر » .

(١) الثاني : « شهدوا » .

(٢) كذا في الثاني ، وفي الأصول : « فضررهم » .

وقال عليه السلام لصفوان بن أمية لما أتاه بالسارق ، وأمر بقطعه ، فقال : هوله - يعني ماسرق : هلا قبل أن تأتي بي به ! فلا يتمتع من عمر ألا يحب أن تكمل الشهادة وينبه الشاهد على ألا يشهد ، وقال : إنه جلد الثلاثة من حيث صلروا قدفة ، وإنه ليس عالم - وقد شهدوا - كحال من لم تكمل الشهادة عليه ، لأن الحيلة في إزالة الحد عنه لو لم تكمل الشهادة عليه - ممكنة متلقين ونسبه غيره ، ولا حيلة فيما قد وقع من الشهادة ، فلذلك حذم .

قال : وليس في إقامة الحد عليهم من النصيحة ما في تكامل الشهادة على المعيرة ، لأنه يتصور بأنه زان ، ويحكم بذلك ، وليس كذلك حال الشهود ، لأنهم لا يتصورون ذلك ، وإن وجب في الحكم أن يحملوا في حكم القدفة .

وحكى عرابي على أن الثلاثة ، كان القذف قد تقدم منهم للمعيرة بالبصرة ، لأنهم صاحوا به من نواحي المسجد : بآنا نشهد أنك زان ، فلو لم يبينوا الشهادة لكان يحذم لا محالة ، فلم يمكن في إزالة الحد عنهم ما أمكن في المعيرة .

وحكى عن أبي علي في جواب اعتراضه عن نفسه مما روى عن عمر أنه كان إذا رآه يقول : لقد خمت أن يرميني الله عز وجل بحجارة من السماء ؛ أن هذا الخبر غير صحيح ، ولو كان حقاً لكان تأويله التخويف ، وإظهار قوة الطن : لصدق القوم الذين شهدوا عليه ، ليكون ردعاً له . وذكر أنه غير ممنوع أن يحب ألا يفتصح لما كان متولياً للمعيرة من قبله .

ثم أجاب عن سؤال من سأله عن امتناع ريادة الشهادة ، وهل يسمى الفسق أم لا ؟ فإن قال : لا نعم أنه كان يتم الشهادة ؛ ولو عصنا ذلك لكان حيث ثبت في الشرع أن له

السكوت ؛ لا يكون طعنا ، ولو كان ذلك طعنا ، وقد ظهر أمره لأمر المؤمنين عليه السلام
لنا ولاء فارس ، ولما اتصمه على أموال الناس ودعائهم .

اعترض المرتضى فقال : إنما سبب إلى تعطيل الحد من حيث كان في حكم الثابت ،
ولما بتلقينه لم تكمل الشهادة ، لأن رباذا ما حصر إلا يشهد بما شهد به أصحابه ، وقد
صرح بذلك كما صرحوا قبل حضورهم ، ولو لم يكن هذا لما شهد القوم قبله وهم لا يعلمون :
هل حاله في ذلك الحكم كحالهم ، لكنه أحسم في الشهادة لما رأى كراهية متولى الأمر
لكاملها ، وتصريحه بأنه لا يريد أن يعمل بموجبها .

ومن العجائب أن يطلب الحيلة في دفع الحد عن واحد ، وهو لا يتدفع إلا بأصرافه
إلى ثلاثة ، فإن كان جزء الحد والاحتياط في دفعه من الشئ المشقة ، فدرؤه عن ثلاثة
أولى من درئه عن واحد !

وقوله : إن دفع الحد عن المعيرة ممكن ودفعه عن ثلاثة - وقد شهدوا - غير ممكن ،
طريف ، لأنه لو لم يلقن الشاهد الرابع الامتناع عن الشهادة لا يدفع الحد عن الثلاثة ،
وكيف لا تكون الحيلة ممكنة فيما ذكره !

وقوله : إن المعيرة يُتصور بصورة زان لو تكاملت الشهادة ، وفي هذا من العجيبة
ما ليس في حد الثلاثة غير صحيح ، لأن الحكم في الأمرين واحد ، لأن الثلاثة إذا حُدوا
يُطَن بهم الكذب ، وإن حُود أن يكونوا صادقين ، والمعيرة لو تكاملت الشهادة عليه
بالزنا نَظَن به ذلك مع التحيز لأن يكون الشهود كذبة ، وليس في أحد إلا ما في الآخر .
وما روى عنه عليه السلام من أنه أتى سارق ، فقال له : « لا تُقر » إن كان صحيحا
لا يشبه مانحن فيه ، لأنه ليس في دفع الحد عن السارق إيقاع غيره في المكروه .
وقصة المعيرة تخالف هذا لما ذكرناه .

فأما قوله عليه السلام : « هَلَّا قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنِي بِهِ ! » فلا يشبه كل ما نحن فيه ، لأنه بين أن ذلك القول يُنْقَطُ الحَدُّ لو تقدَّم ، وليس فيه تلقين يوجب إسقاط الحَدِّ .
فأما ما حكاه عن أبي عليٍّ من أن القذف من الثلاثة كان قد تقدَّم ، وأنهم لو لم يُعِيدُوا الشهادة لكان يحدُّهم لاحتالة ، فغير معروف ، والظاهر للروى خلافه ، وهو أنه حدُّهم عند نكول زيادٍ من الشهادة ، وأن ذلك كان السبب في إيقاع الحدِّ بهم .
وتأوله ^(١) عليه : لقد حُفَّتْ أَنْ يَرْمِيَّ اللَّهُ بِحِجَارَةٍ مِنَ السَّمَاءِ ، لا يليق بظاهر الكلام ، لأنه يقتضي التندُّم والتأسف على تفريط وقع ، ولم يحاف أن يرمي بالحجارة وهو لم يذُرْ الحدَّ عن مستحق له ! ولو أراد الردع والتخويف له خيرة لأنَّ بكلام يليق بذلك ، ولا يقتضي إضافة التمريط إلى نفسه . وكونه والياً من قبله لا يقتضي أن يذُرْ عنه الحدَّ ، ويعدل به إلى غيره .

وأما قوله : إِنَّمَا مَا كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ زِيَادًا كَانَ بِسْمِ الشَّهَادَةِ ، فقد بينا أن ذلك كان معلوماً بالظاهر ، وَمَنْ قَرَأَ مَارُوحِيٍّ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ عِلْمٌ بِإِلَّا شَكَّ أَنْ هَذَا رِوَاةُ كَعَالِ الثَّلَاثَةِ ، فِي أَنَّهُ إِنَّمَا حَضَرَ الشَّهَادَةَ ، وَإِنَّمَا عُدِلَ عَنْهَا لِكَلَامِ هَرٍ .

وقوله : إِنَّ الشَّرْعَ يَبِيحُ السَّكُوتَ ، ليس بصحيح ، لأنَّ الشَّرْعَ قد حُظِرَ كتمان الشهادة .

فأما استدلاله على أن زيادا لم يفسق بالإمساك عن الشهادة بتولية أمير المؤمنين عليه السلام له فارس ، فليس بشيء يعتمد ، لأنه لا يمتنع أن يكون قد تاب بعد ذلك ، وأظهر توبته لأمر المؤمنين عليه السلام ، فجاز أن يوثقه . وقد كان بعض أصحابنا يقول في قصة للخيرة شيئاً طيباً ، وإن كان معتلاً في باب الحجّة ، كان يقول : إن زيادا إنما امتنع من التصريح بالشهادة المطلوبة في الزنا ، وقد شهد بأنه شاهد بين شعبها الأربع ، وسمع نفسه عالياً ، فقد صبح على الخيرة شهادة الأربع جلوساً منها مجلس الفاحشة ، إلى غير ذلك

من مقدمات الزنا وأسبابه . فهلا ضم عمر إلى حُلْد الثلاثة تعزيرَ هذا الذي قد صحَّ عنده
شهادة الأرملة ماصح من الفاحشة ، مثل تعريك أدمه ، أو ما يجرى مجراه من حفيفِ
التعزير ويسيره ! وهل في العدول عن ذلك - حتى لو موته وتوبيخه والاستهفاف به إلا
ماد كروء من التلب الذي يشهد الحال به ^(١) !

قلت : أمّا المعيرة فلا شكَّ عندي أنه ذاتي بالمرأة ، ولكي لست أعطى عمر في
درء الحد عنه ، وإنما أذكر أولاً قصته من كتابي أبي جعفر محمد بن حرير الطبري ،
وأبي الفرج علي بن الحسن الأصمغاني ، ليعلم أن الرجل رأى بها لا محالة ، ثم اعتذر لعمر
في درء الحد عنه .

قال الطبري في تاريخه ^(٢) : وفي هذه السنة - يعني سنة سبع عشرة - وتي عمر أبا موسى
البصرة ، وأمره أن يشخص إليه المعيرة بن شعبة ، وذلك لأمر بلغه عنه . قال الطبري : حدثني
محمد بن يعقوب بن عتبة : قال : حدثني أبي ، قال : كان المعيرة يحالف إلى أم جميل ، امرأة من
بنی هلال بن عامر ، وكان لها زوج من ثقيف هلك قبل ذلك ، يقال له الحجاج بن عبيد ،
وكان للخيرة - وكان أميرَ البصرة - يختلف إليها سرّاً ، فبلغ ذلك أهل البصرة ، فاعطموه ،
فخرج المعيرة يوماً من الأيام إلى المرأة ، فدخل عليها وقد وضعا عليها الرِّصْد ، فاطلاق
القوم الذين شهدوا عند عمر فكشفوا السر ، فأرؤوه قد واقعا ؛ فكتبوا بذلك إلى عمر ،
وأوفدوا إليه بالكتاب أبا بكر . فأتى أبو بكر إلى المدينة ، وجاء إلى باب عمر فسمع صوته
وبينه وبينه حجاب ، فقال : أبو بكر ! فقال : نعم ، قال : لقد جئت لشيء ! قال : إنما
جاء به الخيرة ، ثم قص عليه القصة ، وعرض عليه الكتاب ، فبحث أبا موسى عاملاً ، وأمره

(١) لكشاف ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٢) تاريخ الطبري ١ : ٢٥٧٩ - ٢٦١ (طبع أوروبا) .

أن يبعث إليه المغيرة ، فلما دخل أبو موسى البصرة ، وقعد في الإمارة ، أهدى إليه المغيرة خيالة ، وقال : إننى قد رصيتها لك ، فبعث أبو موسى بالمغيرة إلى عمر .

قال الطبري : وروى الواقدي ، قال : حدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عمرو ابن حزم الأنصاري ، عن أبيه ، عن مالك بن أوس بن الحدثان ، قال : قدم المغيرة على عمر ، فتزوج في طريقه امرأة من بني مرة ، فقال له عمر : إنك تفارغ القلب ، شديد الشَّق . طویل الفُرمول ، ثم سأل عن المرأة فقيل ^(١) له - يقال لها الرقطاء : كان زوجها من ثقيف وهي من بني هلال .

قال الطبري : وكتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، أن المغيرة كان يُفحص أبا بكره وكان أبو بكره يُعصه ، ويُنَافِخُ ^(٢) كل واحد منهما صاحبه وينافره عند كل ما يكون منه ، وكانا متعاورين بالبصرة ، بينهما طريق ، وهما في مشرتين متقابلتين ، فهما في داريهما في كل واحدة منهما كوة مقابلة الأخرى ، فاحتج إلى أبي بكره مرة يتحدثون في مشرته ، فهبت ريح هتعت باب الكوة ، فقام أبو بكره ليُصَفِّقه ^(٣) ، فبصر بالمغيرة وقد فتحت الريح باب الكوة التي في مشرته ، وهو بين رجلين امرأة ، فقال للتفر : قوموا فانظروا ، فقاموا فنظروا ، ثم قال : اشهدوا ، قالوا : ومن هذه ؟ قال : أم جميل ، إحدى ساء بني عامر بن صعصعة ، فقالوا : إنما رأينا أهازجا ولا ندرى الوجوه ! فلما قامت صتموا ، وخرج المغيرة إلى الصلاة ، فحال أبو بكره بينه وبين الصلاة ، وقال : لاتصل بنا . وكتبوا إلى عمر بذلك ، وكتب المغيرة إليه أيضا ، فأرسل عمر إلى أبي موسى ، فقال : يا أبا موسى ، إني مستعياك ، وإني باعثك إلى الأرض التي قد باض بها الشيطان وفرخ ، فأزرم ما تصرف ، ولا تستبدل فيستبدل الله بك . فقال : يا أمير المؤمنين ، أعنى بعدة من

(١) الطبري : « قال » . (٢) كذا في الطبري ، ويأبى به . وفي الأصول : « يباغيه » .

(٣) أسفل الباب : رده .

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، فأتى وحدتهم في هذه الأمة وهذه الأعمال كالمذبح لا يصلح الطعام إلا به . قال عمر : فاستعين من أحببت ، فاستعان بتسعة وعشرين رجلاً ، منهم أس بن مالك ، وعمران بن حصين ، وهشام بن عامر . وخرج أبو موسى معهم حتى أمانح بالبصرة في الزبد ، وبلغ الميرة أن أبا موسى قد أمانح باليربد ، فقال : والله ما جاء أبو موسى زائراً ، ولا تاجراً ، ولكنه جاء أميراً . فإتاهم لقي ذلك إذ جاء أبو موسى ، حتى دخل عليهم ، فدفعت إلى الميرة كتاباً من عمر ، إنه لأوجز كتاب كتب به أحد من الناس : أربع كلمات ، عرل فيها وعاتب ، واستحث وأمر : « أما بعد ، فإنه ملغى بيا عظيم ، فبعثت أبا موسى ، فسلم ما في يدك إليه ، والعجل » . وكتب إلى أهل النخعة : « أما بعد ، فإني قد بعثت أبا موسى أميراً عليكم ، ليأخذ لصيكم من قوتكم ، وليقاتلكم عنكم ، وليدفع عن ذمتكم ، وليجزي^(١) لكم فيكم ، وليقسم فيكم ، وليجزي^(٢) لكم طرقكم » .

فأهدى إليه الميرة وليلة من موكلات العائف تدعى عقيلة ، وقال : إني قد رضيت لها لك سوكت فارقة سوار تحمل الميرة ، وأبو بكر ، ونافع بن كلفة ، وزباد ، وشبل بن معبد البجلي ، حتى قدموا على عمر ، فجمع بينهم وبين الميرة ، فقال الميرة : يا أمير المؤمنين ، سئل هؤلاء الأعد : كيف رأوني ؟ مستقبلهم أم مستدبرهم ؟ وكف رأوا المرأة وعرفوها فإن كانوا مستقبلين فكيف لم أستر ؟ وإن كانوا مستدبرين فبأي شيء استعلوا النظر إلى في منزلي على امرأتى ! والله ما أبيت إلا امرأتى ، فبدأ يذني تكرة فشهد عليه أنه رآه بين رجلين أم جميل ، وهو يدحله ويحرجه ، قال عمر : كيف رأيتهما ؟ قال : مستدبرهما ، قال : كيف استثبتت رأسيهما ؟ قال : تخافيت . فدعا شبل بن معبد ، فشهد مثل ذلك ، وقال : استقبلتهما واستدبرتهما . وشهد نافع بمثل شهادة أبي تكرة ، ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم . قال :

(١) العبري : « ليحصى » .

(٢) العبري : « لينق » .

رأيت جالساً بين رجلين امرأة ، ورأيت قسماً من مرفوعتين تمخقلان ، واستثنى مكشوفتين ؛ وسمعت حفرأ شديداً ^(١) ، قال عمر : فهل رأيت فيها كالليل في المكحلة ؟ قال : لا ، قال : فهل تعرف المرأة ؟ قال : لا ، ولكن أشبهها ، فأمر عمر بالثلاثة فجلدوا الحد ، وقرأ : ﴿ فَأُولَئِكَ يَتْلُوا الشَّهَادَةَ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ السَّكَادُونَ ﴾ ^(٢) . فقال المنيرة : الحمد لله الذي أخزاكم ! فصاح به عمر : اسكت ! اسكت ! الله تأسكت ! أما والله لو تمت الشهادة لرجمتك بأحجارك . فهذا ما ذكره الطبري .

وأما أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ، فإنه ذكر في كتاب الأغاني ^(٣) أن أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، حدثه عن عمر بن شبة ، عن علي بن محمد ، عن قتادة ، قال : كان المنيرة بن شعبة - وهو أمير البصرة - يحتفل سراً إلى امرأة من ثقيف ، يقال لها الرقطاء ، فلقية أبو بكر يومئذ ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أدور آل فلان ، فخذ سلاييه ، وقال : إن الأمير يزار ولا يزور .

قال أبو الفرج : وحدثني بحديثه جماعة - ذكر أسماءهم بأسانيد مختلفة ، لا نرى الإطالة بذكرها - أن المنيرة كان يخرج من دار الإمارة وسط النهار ، فكان أبو بكر يلتقيه ، فيقول له : أين يذهب الأمير ؟ فيقول له : إلى حاجة ، فيقول : حاجة ماذا ؟ إن الأمير يزار ولا يزور !

قالوا : وكانت المرأة التي يأتيها جارة لأبي بكر ، فقال : فبينا أبو بكر في غرفة له مع أخويه : نافع وزيد ورحيل آخر يقال له شبل بن معبد - وكانت غرفة جارة تلك محاذية غرفة أبي بكر - فضربت الريح باب غرفة المرأة ، ففتحت : فطار القوم فإذا هم بالمنيرة ينسكبها ، فقال أبو بكر : هذه بليّة قد استليت بها ، فانظروا ، فانظروا حتى أثبتوا ^(٤) ،

(٢) سورة النور ١٣ .

(١) الطبري : ٥ حرافا .

(٣) الأغاني ١٦ : ٧٧ - ١٠٠ (طبع دار الكتب) .

(٤) أثبتوا : ثبوتوا .

فَنَزَلَ أَبُو بَكْرَةَ ، فَجَلَسَ حَتَّى خَرَجَ عَلَيْهِ الْمَعِيرَةُ مِنْ بَيْتِ الْمَرْأَةِ ؛ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرَةَ : إِنْهُ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِكَ مَا قَدْ عَلِمْتُ ، فَأَعْتَزَلْنَا . فَذَهَبَ الْمَعِيرَةُ وَجَاءَ لِيَصَلِّيَ بِالنَّاسِ الطَّاهِرِينَ ، فَفَتَحْنَا أَبُو بَكْرَةَ وَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا نَصَلِّيُ بِهَا ، وَقَدْ فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ ! فَقَالَ النَّاسُ : دَعُوهُ فَلْيَصَلِّ ، إِنْهُ الْأَمِيرُ ! وَاصْبِرُوا إِلَى عَمْرٍ ، فَاصْبِرُوا إِلَيْهِ ، فَوَرَدَ كِتَابُهُ أَنْ يَقْدَمُوا عَلَيْهِ حَمِيمًا بِالْمَعِيرَةِ وَالشُّهُودِ . قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ فِي حَدِيثِهِ : فَصَلَّى عَمْرُ بْنُ مُوسَى ، وَوَعِظَ عَلَيْهِ لَا يَضَعُ كِتَابَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَرْحَلَ الْمَعِيرَةُ .

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ هَاشِمٍ فِي حَدِيثِهِ : إِنْ أَبَا مُوسَى قَالَ لِعَمْرٍو لَمَّا أَمَرَهُ أَنْ يَرْحَلَ الْمَعِيرَةَ مِنْ وَقْتِهِ : أَوْ حَبْرٌ مِنْ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ تَرَكَهُ فَيَتَعَهَّرُ ثَلَاثًا ثُمَّ يَخْرُجُ . قَالُوا : خَرَجَ أَبُو مُوسَى حَتَّى صَلَّى صَلَاةَ الْغَدَاةِ بظَاهِرِ الْمَرْبَدِ ، وَأَقْبَلَ لِإِسَانٍ فَدَخَلَ عَلَى الْمَعِيرَةِ ، فَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى قَدْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْغَدَاةَ ، وَعَلَيْهِ بُرْسٌ ؛ وَهَاهُوَ فِي حَاسِبِ الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ الْمَعِيرَةُ : إِنْهُ لَمْ يَأْتِ بِرَأْسٍ وَلَا تَأْخِرُ .

قَالُوا : وَجَاءَ أَبُو مُوسَى ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَعِيرَةِ وَمَعَهُ صَحِيفَةٌ مَلَأَ بِهَا ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : أَمِيرُ ! فَأَعْطَاهُ أَبُو مُوسَى الْكِتَابَ ، فَلَمَّا ذَهَبَ يَتَعَهَّرُكَ عَنْ سِرِّهِ فَقَالَ لَهُ : مَكَانُكَ لَا تَعَهَّرُ ثَلَاثًا .

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَقَالَ آخَرُونَ : إِنْ أَبَا مُوسَى أَمَرَهُ أَنْ يَرْحَلَ مِنْ وَقْتِهِ ، فَقَالَ لِلْمَعِيرَةِ : قَدْ عَلِمْتُ مَا وَجَّهْتُ لَهُ ، فَأَلَّا تَقْدِمْتُ وَصَلَّيْتُ ! فَقَالَ : مَا أَمَّا وَأَنْتَ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا سَوَاءٌ ، فَقَالَ لِلْمَعِيرَةِ : إِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَقِيمَ ثَلَاثًا لَا تَعَهَّرُ ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى : قَدْ عَزِمْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا أَضَعُ عَهْدِي مِنْ يَدِي ، إِذَا قَرَأْتَهُ حَتَّى أَرْحَلَكَ إِلَيْهِ . قَالَ : إِنْ شِئْتَ شَفَعْتُ ، وَأَبْرَرْتُ قَسَمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَوْجَلَّنِي إِلَى الظُّهْرِ ، وَتَمْسِكَ الْكِتَابَ فِي يَدِكَ .

قَالُوا : فَلَقَدْ رَأَى أَبُو مُوسَى مُقْبِلًا وَمُدْبِرًا ، وَإِنْ الْكِتَابَ فِي يَدِهِ مَعْلَقٌ بِخَيْطٍ ، فَصَجَّهَ الْمَعِيرَةُ ، وَبِثَّ إِلَى أَبِي مُوسَى بِقَبِيلَةٍ ؛ جَارِيَةٌ عَرَبِيَّةٌ مِنْ سَيِّدَةِ الْيَمَامَةِ ، مِنْ

بنى حنيفة ، ويقال : إنها مولدة الطائف ، ومعها خادم ، وسار المغيرة حين صلى الظهر ، حتى قدم على عمر .

قال أبو العرج : فقال محمد بن عبد الله بن حزم في حديثه : إن عمر قال له لما قدم عليه : لقد شهد عليك بأمر ، إن كان حقاً لأن تكون متاً قبل ذلك كان خيراً لك !

قال أبو العرج : قال أبو زيد عمر بن شطة : فجلس له عمر ، ودعا به بالشهود ، فتقدم أبو بكر : فقال : أرايته بين فحذيتها ؟ قال : نعم والله ! لكانى أنظر إلى نثر يريم جدري ففحذيتها ، قال المغيرة : لقد ألطفت الطمر . قال أبو بكر : لم آله أن أثبت ما يخزيك الله به ! فقال عمر : لا والله حتى تشهد : لتدرايته يلح فيها كابلج المزود في المكحلة ؛ قال : ثم أشهد على ذلك ، فقال عمر : اذهب عنك مغيرة ، ذهب رؤسك .

قال أبو العرج : ويقال إن علياً عليه السلام هو قائل هذا القول . ثم دعا ماضاً فقال : علام تشهد ؟ قال : على مثل شهادة أبي بكر ، فقال عمر : لا حتى تشهد أنك رأيتته يلبح فيها ولوج المزود في المكحلة ، قال : نعم ، حتى لمع قذذه ^(١) فقال : اذهب عنك مغيرة ، ذهب بصفتك ، ثم دعا الثالث وهو شبل بن معبد ، فقال : علام تشهد ؟ قال : على مثل شهادة صاحبي ، فقال : اذهب عنك مغيرة ، ذهب ثلاثة أرباعك . قال : فجلس المغيرة يبكي إلى المهاجرين ، وبكى إلى أمهات المؤمنين حتى بكين معه ، قال : ولم يكن زياداً حصر ذلك المجلس ، فأمر عمر أن ينحى الشهود الثلاثة ، وألا يجالسهم أحد من أهل المدينة ، وانتظر قدوم زياد ، فلما قدم جلس في المسجد ، واجتمع رهوس المهاجرين والأنصار . قال المغيرة : وكنت قد أعددت كلمة أقولها ، فلما رأى عمر زياداً مقبلاً ، قال : إني لأرى رجلاً لن يخفى الله على لسانه رجلاً من المهاجرين .

(١) قذذه : جمع قذذ ، وهي جانب الماء .

قال أبو الفرج : وفي حديث أبي ريد بن عمر بن شبة ؛ عن السري ، عن عبد الكريم ابن رشيد ، عن أبي عثمان النهدي ، أنه لما شهد الشاهد الأول عند عمر ؛ تغير الثالث لذلك لونُ عمر ، ثم جاء الثاني فشهد ، فأكسر لقلبك انكساراً شديداً ، ثم جاء فشهد ، فكان الرماد نثر على وجه عمر ، فلما جاء زياد ، جاء شابٌ يخطريده ، فرفع عمر رأسه إليه وقال : ما عندك أت يسلع العقاب - وصاح أبو عثمان النهدي صيحةً تحكي صيحة عمر - قال عبد الكريم بن رشيد : لقد كدت أن يفشي على لصيخته .

قال أبو الفرج : فكان المغيرة يحدث ، قال : فمضتُ إلى زياد ، فقلت : لا محبةَ لي بطريق بعد عروس يازياد ، أذكرك اللهواذ كركتموه في القيامة وكتابه ورسوله ، أن تتجاوزوا إلى عالم تراءى ثم صحت : يا أمير المؤمنين إن هذا لا يقدح في احترام وادمي فآله الله فدمي ! قال : فترنقت عينا زياد واحمر وجهه ، وقال : يا أمير المؤمنين ما ما إن أحق ما حق القوم ، فليس عندي ، ولكن رأيت مجلساً فيبعا ، وسمعت مباحثنا ، وانتهاراً ، ورأيت متبطنها ، فقال عمر : رأيت به دخيل ويخرج كالليل في المكحلة ؟ قال : لا !

قال أبو الفرج : وروى كثير من الرواة أنه قال : رأيت رافعا برجليها ، ورأيت خصيفيه مترددين بين غلديها ، وسمعت حفراً شديداً ، وسمعت نفساً عالياً ؛ فقال عمر : رأيت به دخله ويخرجه كالليل في المكحلة ؟ قال : لا ، فقال عمر : الله أكبر ! ثم يا مغيرة إليهم فاضربهم ، فجاء المغيرة إلى أبي بكر فاضربه ثمانين وضرب الباقيين .

وروى قوم أن الضارب لم يكن الحد لم يكن المغيرة ، وأعجب عمر قول زياد ، يوحى الحد عن المغيرة ، فقال أبو بكر بعد أن ضرب : أشهد أن المغيرة فعل كذا وكذا أفهم عمر بضربه ، فقال له علي عليه السلام : إن ضربته رجعت صاحبك ! ونهاه عن ذلك .

قال أبو الفرج : يعني إن ضربه تصير شهادته شهادتين ، فيوجب بذلك الرَّجْمَ على المغيرة .

قال : فاستتاب عمر أبا بكر ، فقال : إنما تستدبني لتقبل شهادتي ، قال : أجل ! قال : فإني لأشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا ! قال : فمأخوذوا الحد قال المغيرة : الله أكبر ، الحمد لله الذي أخراكم ! فقال عمر : اسكت أحزى الله مكانا رأوك فيه !

قال : وأقام أبو بكر على قوله ، وكان يقول : والله ما أسى قط وحديثها ، وتاب الاثنان ، فقبل شهادتهما ، وكان أبو بكر بعد ذلك إذا طلب إلى شهادة قال : اطلبوا غيري ، فإن زياداً أفد على شهادتي .

وقال أبو الفرج : وروى إبراهيم بن سعيد عن أبيه ، عن جده ، قال : لما ضرب أبو بكر أمه شاة فدمجت وجعل يحلدها على ظهره ، قال إبراهيم : فكان أبي يقول : ماداك إلا من ضرب شديد .

قال أبو الفرج : لحدثنا الجوهري ، عن عمر بن شبة ، عن علي بن محمد عن يحيى بن زكريا ، عن محالد ، عن الشعبي ، قال : كانت الرقطاء التي رؤسها المغيرة تختلف إليهم أيام إمارته الكوفة ، في حلافة معاوية في حوائجها ، فيقتصبها لها .

قال أبو الفرج : وحج عمر بعد ذلك مرة ، موافق الرقطاء الموسم ، فرآها ، وكان المغيرة يومئذ هناك ، فقال عمر للمغيرة : ويحك ! أنت جاهل علي ! والله ما أظن أبا بكر كاذب عليك ، وما رأيته إلا خفت أن أرمى بحجارة من السماء !

قال : وكان علي عليه السلام مد ذلك يقول : إن ظفرت بالمغيرة لأتبعته الحجارة . قال أبو الفرج : قال حسان بن ثابت يهجو المغيرة ويذكر هذه القصة :

لو أن اللؤم ينسب كان عبداً قبيح الوجه أعور من قبيح

تركته الدين والإسلام لما بدت لك غدوة ذات النصف
وراجعت الصبا وذكرك طوعاً^(١) مع القينات في العمر اللطيف

قال أبو الفرج : وروى المدائني أن الميرة لما شخص إلى عمر في هذه الواقعة ، رأى في طريقه جاريةً فأنجبت ، فخطبها إلى أبيها ، فقال له : وأنت على هذه الحال ! قال : وما عليك ! إن أبق^(٢) فهو الذي تريد ، وإن أقتل ترثني . فزوجته .

وقال أبو الفرج : قال الواقدي : كانت امرأة من بني مرة ، تزوجها بالرقم^(٣) ، فلما قدم بها على عمر ، قال : إنك لعارع القب ، طويل الشق .

فهذه الأخبار كما تراها تدلّ متأمّلتها على أن الرجل زنى بالمرأة لاهلّة ، وكلّ كتب التواريخ والسير تشهد بذلك ، وإنما اقتصرنا نحنُ منها على ما في هذين الكتابين . وقد روى المدائني أن الميرة كان أذى الناس في الجاهلية ، فلما دخل في الإسلام قبيده الإسلام ، وتبّت عنه منه بقية ظهرت في أيام ولايته المصرية .

وروى أبو الفرج في كتاب الأمان عن الجاحظ أن عثمان عمرو بن بحر ، قال : كان الميرة بن شعبة والأشعث بن قيس وجبر بن عبد الله البجليّ يوماً متوافقين بالسكناسة في نفر ، وطلع عليهم أعرابي ، فقال لهم الميرة : دعوني أحرّكه ، قالوا : لا تفعل ، فإنّ للأعراب جواباً يؤثّر ، قال : لا بدّ ، قالوا : فأت أعلم ، فقال له : يا أعرابي ، أنعرف للميرة ابن شعبة ؟ قال : نعم أعرفه ، أعور زانيا ، فوجم ثمّ تجلّد ، فقال : أنعرف الأشعث بن قيس ؟ قال : نعم ذلك رجل لا يفرى قومه ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنهم حاكّة . قال : فهل تعرف جرير بن عبد الله ؟ قال : كيف لا أعرف رجلاً لولاه ما عرفت عشيرته ! فقالوا : قبّحك الله ، فإنك شرّ جليس ، هل تحبّ أن يوقرّك بصيرك هذا ما لا وتموت

(٢) الأمان : « أحب » .

(١) الأمان : « عهد » .

(٣) الرّم : موضع بالمجاز قريب من وادي الفري .

أكرم العرب مودة؟ قال : فمن يئس منه إذنت أهل؟ فانصرفوا عنه فتركوه ^(١).

قال أبو الفرج : وروى علي بن سليمان الأحسن ، قال : خرج المعيرة بن شعبة وهو يومئذ على الكوفة ، ومعه الهيثم بن التيهان السحبي عبّ مطر يسير ، في ظهر الكوفة والسحب ؛ فلقى ابن لسان الحمرة ، أحد بني تيم الله بن ثعلبة ، وهو لا يعرف المعيرة ولا يعرفه المعيرة ، فقال له : من أين أقبلت يا أعرابي؟ قال : من السماوة ؟ قال : كيف تركت الأرض خلفك؟ قال : عريضة أريضة ^(٢) ، قال : فكيف كان المطر؟ قال : عني الأثر ، وملاً الحفر ، قال : من أنت؟ قال : من نكر بن وائل ، قال : كيف علمك بهم؟ قال : إن حملتهم لم أعرف غيرهم ، قال : فما تقول في بني شيبان؟ قال : سادتنا وسادة غيرنا ، قال : فما تقول في بني دهل؟ قال : سادة نوّكي ، قال : فقيس بن ثعلبة؟ قال : إن جاورتهم سرقوك ، وإن انتقمهم حاقوك ، قل : كم هو تيم الله بن ثعلبة؟ قال : رعاء النقد ^(٣) وعراقب الكلاب ، قال فني بشكر؟ قال : صريح نحسه مولى .

قال هشام بن الكلبي : لأن في ألوانهم حمرة . قال : فيعذل : قال : أحلاس ^(٤) الخليل ، قال : فعبد ^(٥) القيس؟ قال : يطعمون الطعام ويضربون الهام ، قال : ففزة؟ قال : لا تلتقي سهم الشفتان لوما ، قال : فصبيحة أصحح؟ قال : حدّعا وعقرا ^(٦) ! قال : فحبرى عن النساء ، قال : النساء أربع : ربيع مرنع ، وجميع مرمع ، وشيطان سمّيع ، وغل لا يجمع ، قال قسّر ، قال : أما الربيع المربع ، فالتقي إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا أقسمت عليها برّتك ، وأما التي هي جميع مرمع ، فالمرأة تزوّجها ولها نسب فيجتمع نسبها إلى نسبك ، وأما الشيطان السمّيع فالكلحة في وجهك إذا دخلت ، القولة في أثرك

(١) الأغاني ١٦ : ٨٩ .

(٢) الأريضة : العشة .

(٣) النظم : صغار النعم ، وفي الأغاني : العرب .

(٤) أحلاس الخيل : شيطان فرسان ملارمون ركوب الخيل .

(٥) الأغاني : « خبيثة »

(٦) دعا عليهم بالجدع والضرر ؛ يريد أصحابهم الاستئصال .

إذا خرجت ، وأما العَلّ الذي لا يُلجم ؛ فبنت عَمّت السّوداء القصيرة ، القوّهاء الدّميمة ،
التي قد نثرت لك نطها ، إن طلقها صاع ولذك ، وإن أسكنها فلي جدّع أهلك . قال (١)
للقيرة : بل أنفك . قال : فما تقول في أميرك المعيرة بن شعبة ؟ قال : أعور زاني ، فقال
المهيم بن الأسود : فصرّ الله فاك ! ويحك إبه الأمير المعيرة ! قال : إنها كلمة يقال . فانطلق
به المعيرة إلى منزله ، وعنده يومئذ أربع نسوة وستون - أو سبعون - أمة ، وقال : ويحك !
هل يزني الحرّ وعنده مثل هؤلاء ! ثم قال هنّ : أريدن إليه محليكن (٢) ، ففعلن ؛ فخرج
بملء كسائه ذهبا وفضة (٣) .

وإنما أوردنا هذين الخبرين ليعلم السامع أن الخبر تزناه كان شائعا مشهورا مستحيما
بين الناس ، ولأشهما بتخصّص أدبا ، وكتنا هذا موضوع للأدب .

وإنما قلنا : إن عمر لم يحطى في (درء الحدّ كسب) ، لأن الإمام يستعجب له ذلك ، وإن
غلب على طئه أنه قد وجب عليه الحدّ ، روى المدائني أن أمير المؤمنين عليا عليه السلام
أتى برجل قد وجب عليه الحدّ ، فقال : أهدنا شهود ؟ قالوا : نعم ، قال : فاتوني بهم
إذا أمسيتم ، ولا تأتوني إلا معتين ، فله ، أعتصموا بجاموه ، فقال لهم : شئت الله رجلا
على عنده مثل هذا الحدّ إلا انصرف ! قال : فما بقي منهم أحد . فدرأ عنه الحدّ
ذكر هذا الخبر أبو حيان في كتاب " البصائر " في الجزء السادس منه .

والخبر المشهور الذي كاد يسكون متواترا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :
« اخرجوا الحدود بالشبهات » . ومن تأمل المسائل الفقهية في باب الحدود ، علم أنها نبت
على الإسقاط عند أدنى سبب وأضعفه ، ألا ترى أنه لو أقرّ بالزنا ثم رجع عن إقراره قبل
إقامة الحدّ ، أو في وسطه قبل رجوعه وحطّ - بنبيله -

(١) الأغانى : « فقال » (٢) الأغانى . « بجلاكن » (٣) الأغانى ١٦ : ٩٠ ، ٩١ .
(١٦ - نهج - ١٢)

وقال أبو حنيفة وأصحابه : يستعيب للإمام أن يلقن المقر الرجوع ، ويقول له : تأمل ما تقول ، لعك مسئها ، أو قبلها . ويجب على الإمام أن يسأل الشهود : ما الرنا ؟ وكيف هو ؟ وأين زنى ؟ ومن زنى ؟ ومتى زنى ؟ وهل رأوه وطبهاى فرحها كالميل فى المسكحلة : فإذا ثبت كل ذلك سأل عنهم ، فلا يقيم الحد حتى يمد لهم القاضى فى السر والعلانية ، ولا يقام الحد بإقرار الإنسان على نفسه ، حتى يقر أربع مرات فى أربعة محالس ، كلما أقر رده القاضى ، وإذا تم إقراره سأل القاضى عن الرنا ؟ ما هو ؟ وكيف هو ؟ وأين زنى ؟ ومن زنى ؟ ومتى زنى ؟

قال الفقهاء : ويجب أن يتدنى الشهود بوجهه إذا تكاملت الشهادة ، فإن امتنعوا من الابتداء برجمه سقط الحد .

قالوا : ولا حد على من وطئ جارية ولته ، أو ولد ولته ، وإن قال : علمت أنها على حرام ، وإن وطئ جارية أبيه أو أمته أو أخته ، وقال : علمت أنها تحل لى فلا حد عليه ، ومن أقر أربع مرات فى محالس مختلفة بالزنا بفلانة ، قتالت هى : بل تزوجنى ، فلا حد عليه ، وكذلك إن أقرت المرأة بأنه رنى بهافلان ، فقال الرجل : بل تزوجتها ، فلا حد عليها ، قالوا : وإذا شهد الشهود بحد متقدم من الزنا لم يمنعهم عن إقامة بعدهم عن الإمام ، لم تقبل شهادتهم إذا كان حد الزنا ، وإن شهدوا أنه رنى بامرأة ولا يعرفونها لم يحد ؛ وإن شهد اثنان أنه زنى بامرأة بالكوفة ، وآحران أنه زنى بالبصرة درى الحد عسما جميعاً ، وإن شهد أربعة على رجل أنه زنى بامرأة بالثخيلة عند طلوع الشمس من يوم كذا وكذا ، وأربعة شهدوا بهذه المرأة عند طلوع الشمس ذلك اليوم بدير هند درى الحد عنه وعنهما وعنهم جميعاً ، وإن شهد أربعة على شهادة أربعة بالزنا لم يحد الشهود عليه .

وهذه السائل كلها مذهب أبي حنيفة ، ويوافقه الشافعي في كثير منها ، ومن تأملها علم أن مبنى الحدود على الإسقاط بالشهاد ، وإن ضعفت .

فإن قلت : كل هذا لا يلزم المرتضى ، لأن مذهبه في فروع الفقه مخالف لمذهب الفقهاء . قلت : ذكر محمد بن النعمان - وهو شيخ المرتضى ، الذي قرأ عليه فقه الإمامية - في كتاب "المقنعة" ، أن الشهود الأربعة إن تفرقوا في الشهادة بالزنا ولم يأتوا بها مجتمعين في وقت في مكان واحد ، سقط الحد عن الشهود عليه ، ووجب عليهم حد القذف .

قال : وإذا أقر الإنسان على نفسه بالزنا أربع مرات على اختيار منه للإقرار ووجب عليه الحد ، وإن أقر مرة أو مرتين أو ثلاثاً لم يجب عليه الحد بهذا الإقرار ، وللإمام أن يؤدبه بإقراره على نفسه حسب ما يراه ، فإن كان أقر على امرأة حينها جلد حد القذف .

قال : وإن حصل في العفوة ليرجم وهو مقر على نفسه بالزنا فقر منها ، تركوا لم يرد ، لأن فراره رجوع عن الإقرار ، وهو أعلم بنفسه .

قال : ولا يجب الرجم على المحصن الذي يمدّه الفقهاء محصناً ، وهو من وطئ امرأة في نكاح صحيح ، وإنما الإحصار عندنا من له زوجة أو يملك يمين يستغني بها عن غيرها ، ويتمكن من وطئها ، فإن كانت مريضة لا يصل إليها بنكاح ، أو صغيرة لا يوطأ مثلها ، أو غائبة عنه أو محبوسة لم يكن محصناً بها ، ولا يجب عليه الرجم .

قال : ونكاح التتمة لا يحصن عندما ، وإذا كان هذا مذهب الإمامية ؛ فقد اتفق قولهم وأقوال الفقهاء في سقوط الرجم بأدى سبب ، والذي رواه أبو الفرج الأصفهاني : إن زواجا لم يحضر في المجلس الأول ، وأمه حضر في مجلس ثانٍ ، فعمل إسقاط الحد كان لهذا .

ثم سود إلى تصفح ما اعترض به المرتضى كلام قاضي القضاة .

أما قوله : كان الحد في حكم الثابت ، فإن الله تعالى لم يوجب الحد إلا إذا كان ثابتاً ، ولم يوجبه إذا كان في حكم الثابت ، وبطل عن معنى قوله : « في حكم الثابت » : هل المراد بذلك أنه قريب من الثبوت ، وإن لم يثبت حقيقة ، أم المراد أنه قد ثبت وتحقق ؟ فإن أراد الثاني ، قيل له : لا نسلم أنه ثبت ، لأن الشبهة لم تتم ، وقد اعترف المرتضى بذلك ، وأقر بأن الشهادة لم تكمل ، ولكه نسب ذلك إلى تقين عمر ، وإن أراد الأول قيل له : ليس يكفي وحبس الحد أن يكون قريباً إلى الثبوت ؛ لأنه لو كفي ذلك لحد الإنسان شهادة ثلاثة من الشهود .

وأما قوله : إن عمر لقيه وكره أن يشهد ، فلا ريب أن الأمر وقع كذلك ، وقد قلنا : إن هذا جائز على مدح إليه ، وروينا عن أمير المؤمنين ع أنه قال : « ودكروا قول الفقهاء في ذلك وأهم استعملوا أن يقول القاضي «عقر» بالزنا . تأمل ما نقوله ، لذلك مستها أوقلتها !

فأما قول المرتضى : إنه درأ الحد عن واحد ، وكان درؤه عن ثلاثة أولى ؛ فقد أجاب قاضي القضاة عنه بأنه ما كان يمكن دفعه عنهم .

فأما قول المرتضى : بل قد كان يمكن دفعه عنهم ، ألا يلحق الرابع الامتناع من الشهادة ، فقد أجاب قاضي القضاة عنه : بأن الزنا ووسم الإنسان أعظم وأشنع وأخس من أن يوسم بالكذب والافتراء ، وعقوبة الزاني أعظم من عقوبة الكاذب القاذف عند الله تعالى في دار التكليف ، يبين ذلك أن الله تعالى أوحى الحد ثلاثة من المسلمين ، لتحليص واحد شهد الثلاثة عليه بالزنا ، فلو لم يكن هذا المعنى ملحوظاً في نظر الشارع لما أوجبه ، فكيف يقول المرتضى : ليس لأحد الأمرين إلا ما في الآخر !

وأما خبر السارق الذي رواه قاضي القضاة ، وقول المرتضى في الاعتراض عليه : ليس في دفع الحد عن السارق إيقاع غيره في الكروه ، وقصة الخيرة تحالف هذا ، فليس بمجيد

لأن في دفع الحد عن السارق إصاعة مال المسلم الذي سرق السارق في زمانه . وفيه أيضاً إغراء أهل الفساد بالسرقه ؛ لأنهم إذا لم يتم الحد عليهم لمكان الجحود أقدموا على سرقه الأموال ، فلم يكن عناية الشارع بالدماء أكثر من عاقبته بضيره من الأموال والأبشار لما قال المكلف : لا تفرّ بالسرقه ولا بالزنا ، ولما رجح واحداً على ثلاثة ، وهان في نظره أن تضرب أبشارهم بالسياط ، وهم ثلاثة حمطاً للدم واحد .

وأما حديث صفوان وقول المرتضى فلا يشبه كل ما نحن فيه ، لأن الرسول صلى الله عليه وآله بين أن ذلك القول يسقط الحد لو تقدم ، وليس فيه تلقين يوجب إسقاط الحد . فحوايه أن قاضي القضاة لم يقصد بإيراد هذا الخبر إلا تشييد قول عمر : أرى وجه رحلي لا يفصح الله به رجلاً من المسلمين ؛ لأن عمر كره فصيحة المعيرة ، كما كره رسول الله صلى الله عليه وآله فصيحة السارق الذي قال صفوان : « هو له » ، وقال عليه السلام : « هلاقل أن تأدبني به ! » أي هلا قلت ذلك قبل أن تحمّره ، فلم يمتنع بين الناس ! فإن قولك : « هو له » ، وإن درأ الحد إلا أنه لا يدرأ المصيبة !

فأما ما حكاه قاضي القضاة عن أبي علي ، من أن القذف قد كان تقدم منبههم وهم بالبصرة ، فقد ذكرنا في الخبر ما يدل على ذلك ، فمثل قول المرتضى : إن ذلك غير معروف ، وإن الظاهر الروي خلافه .

وأما قول عمر البصرة : ما رأيتك إلا خمت أن يرمي الله بحجارة من السماء ؛ فالظاهر أن مراده ما ذكره قاضي القضاة من التخوين وإظهار قوة الظن بصدق الشهود ، ليكون ردعاً له ؛ ولذلك ورد في الخبر : ما أظن أبا بكر كذب عليك ، تقديره : أظنه لم يكذب ، ولو كان كما قال المرتضى ندماً وتأسفاً على تعريض^(١) وقع ، لأقام الحد عليه ، ولو بعد حين ؛ ومن الذي كان يسمعه من ذلك لو أراد !

وقوله : لم يخاف أن يرمى بالحجارة وهو لم يدرأ الحدّ عن مستحق له ؟ جوابه أن هذا القول يجرى مجرى التهويل والتخويف الصغيرة ، كيلا يقدم على أن يعرض نفسه لشبهة فيما بعد .

فأما قول قاضي القضاة : إنه غير ممنوع أن يحبّ ألا يفتصح لما كان متولياً للبصرة من قبله ، وقول المرتضى معترضا عليه : إن كونه والياً من قبله لا يقتضى أن يدرأ عنه الحدّ ، فغير لازم ، لأن قاضي القضاة ما حمل كونه والياً من قبله مقتضياً أن يدرأ عنه الحدّ ؛ وإنما قاله في جواب من أسكر على عمر محتلم بـ الحدّ عنه ، فقال : إنه غير قبيح ، ولا يحرم محبة درء الحدّ عنه لأنه وال من قبله ! لحمل الولاية للبصرة مسوّغة لخدمة عمر لدفع الحدّ عنه ، لا مسوّغة لدفع الحدّ عنه ، وبين الأمرين فرق واضح .

وأما قول المرتضى : إن الشرع حظر كتمان الشهادة ؛ فصحيح فيما عدا الحدود ، فأما في الحدود فلا ، وقد ورد في الخبر الصحيح : « من رأى على أحيه شيئاً من هذه القاذورات وستر ، ستره الله يوم يفتضح المجرمون » .

فأما قول المرتضى : هب أن الحدّ سقط ، أما اقتضت الحال تأديب المعيرة بنوع من أنواع التعزير وإن خفت ؟ فكلام لازم لأحوال عنه ، ولو فعله عمر ليرى من التهمة براءة الذئب من دم يوسف ، وما أدرى كيف فاتته ذلك مع تشدده في الدين وصلابته في السياسة ! ولعله كان له مانع عن اعتماد ذلك لاطعه !

الطعن السابع

أنه كان يتلون في الأحكام ، حتى روى أنه قصي في الجلد بسبعين قضية - وروى

مائة قصية - وأنه كان يفصل في القسمة والعطاء وقد سوى الله تعالى بين الجميع ، وأنه قال في الأحكام من جهة الرأي واتخذ^(١) ولطخ .

أجاب قاضي القضاة عن ذلك ، فقال : مسائل الاجتهاد يسوغ فيها الاختلاف والرجوع عن رأى إلى رأى ، بحسب الأمارات وغالب الظن ، وقد^(٢) ذكر أن ذلك طريقة أمير المؤمنين عليه السلام في أمتهات الأولاد ، ومقاسمة الجد مع الإخوة ، ومسألة الحرام . قال : وإنما الكلام في أصل القياس والاجتهاد ، فإذا ثبت ذلك خرج من أن يكون طعناً ، وقد ثبت أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يؤتى من يرى خلاف^(٣) رأيه ، كابن عباس وشريح ، ولا يمنع ريذا وابن مسعود من الفتيا مع الاختلاف بينهما .

فأما ما روى من السعين قصيل^(٤) فإيراد^(٥) في مسائل من الجد ، لأن مسألة واحدة لا يوجد فيها سمون . قصية محتمة شوليس في ذلك عجب ، بل بدل على سعة علمه .

وقال : قد صح في زمان الرسول صلى الله عليه وآله مثل ذلك ، لأنه لما شور في أمر الأسرى أبا بكر أشار ألا يقتلهم ، وأشار عمر يقتلهم ، فذهبوا جميعاً ، فما الذي يمنع من كون القولين صواباً من المجتهدين ، ومن الواحد في حالتين ؟

وبعد ، فقد ثبت أن اجتهاد الحسن عليه السلام في طلب الإمامة كان بخلاف اجتهاد الحسين عليه السلام ، لأنه سلم الأمر وتمكنه أكثر من تمكن الحسين عليه السلام ، ولم يمنع ذلك من كونهما عليهما السلام مصيبين .

(١) في الأصول : « الحد » ، والصواب ما أنبته من الثاني .

(٢) الثاني : « وأدعى أن ذلك طريقة أمير المؤمنين » .

(٣) الثاني : « خلاف » .

اعترض المرتضى هذا الجواب ، فقال ^(١) : لا شك أن التلون في الأحكام والرجوع من قضاء إلى قضاء ، إنما يكون عتياً وطعاً إذا أبطل الاحتياط الذي يذهبون إليه فأمّا لم ثبت لم يكن ذلك عيباً ، ولما الدعوى على أمير المؤمنين عليه السلام أنه تنقل في الأحكام ورجع من مذهب إلى آخر ، فإنها غير صحيحة ، ولا نسده ^(٢) ونحن ننازعه فيها ^(٣) ، وهو لا ينارعنا في تلون صاحبه وننقله ؛ فلم يشقه الأمران .

وأما ما روي في ذلك خبر أمهات الأولاد ، وقد بينا فيما سلف من الكتاب مافيه ، وقلنا : إن مذهبه في يمين كان واحداً غير مختلف ، وإن كان قد وافق عمر في بعض الأحوال لم ير من الرأي ، ولما توليته من يرى خلاف رأيه ، فليس ذلك لتسوية الاحتياط الذي يذهبون إليه ، بل لما يفتاه من قبل ؛ أنه عليه السلام كان غير متمكن من اختياره ، وأنه يحرم أكثر الأمور مجراها المتقدم للتسامح والتدبير ، وهذا التيسير أنه لم يمنع من مخالفته في الفتيا .

فأما قوله : إن السبعين قضية لم تكن في مسألة واحدة ، وإنما كانت في مسائل من الجدة ؛ فكلا الأمرين واحد فيما قصدهما ، لأن حكم الله تعالى لا يختلف في المسألة الواحدة والمسائل ، فأمّا أمر الأسارى فإن صح فإنه لا يشبه أحكام الدين المبينة على العلم واليقين ، لأنه لا سبيل لأبي بكر وعمر إلى الثورة في أمر الأسارى إلا من طريق الفتن والحشبان ، وأحكام الدين مطلوبة وإلى العلم بها سبيل .

وما ادّعاء من اجتهد الحسن بخلاف احتياط الحسين ليس على ما ظنّه ، لأن ذلك لم يكن عن اجتهد وظن ، بل كان عن علم ويقين ، فمن أين له أنهما عملا على الظن ! فما نراه اعتمد على حجة ! ومن أين له أن تمكن الحسن كان أكثر من تمكن الحسين !

(١) الثاني : « يقال له » . (٢-٣) الثاني : « ونحن ننازعه في ذلك كل الرابع ، ونذهب إلى دفع أحد الدعوى ؛ وهو لا ينارعنا في تلون صاحبه في الأحكام ، فلم يشقه الأمران » .

عَلَى أَنْ هَذَا لَوْ كَانَ عَلَى مَا قَالَهُ لَمْ يَحْسَنْ مِنْ هَذَا التَّسْلِيمِ وَمِنْ ذَلِكَ الْقِتَالُ ، لِأَنَّ الْمُقَاتِلَ قَدْ
مَكُونُ مَقْرَرًا مُتَقَيِّمًا يَدِينُهُ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، وَالسَّالِمُ مُصِيبًا لِلْأَمْرِ مَقْرَرًا ، وَإِذَا كَانَ عِنْدَ صَاحِبِ
الْكِتَابِ التَّسْلِيمِ وَالْقِتَالِ إِتِمَامًا كَاهٍ عَنْ ظَنٍّ وَأُمَرَاتٍ فَلَيْسَ يَحُوزُ أَنْ يَعْطَبَ عَلَى الظَّنِّ بِأَنَّ
الرَّأْيَ فِي الْقِتَالِ مَعَ ارْتِفَاعِ أُمَرَاتِ الْإِمَّاكِ ، وَلَا أَنْ يَعْطَبَ فِي الظَّنِّ الْمَسْأَلَةَ مَعَ قُوَّةِ
أُمَرَاتِ التَّسْلِيمِ (١) .

• • •

قُلْتُ : أَمَّا الْقَوْلُ فِي صَحَّةِ الْاجْتِهَادِ وَظُلْمَانِهِ ، فَهُوَ مُوَاضِعٌ غَيْرُ هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَكَذَلِكَ
الْقَوْلُ فِي ثَقِيَّةِ الْإِمَامِ وَاسْتِصْلَاحِهِ وَفَعْلِهِ مَا لَا يُسَوِّعُ لَصَرْبِ مِنَ السِّيَاسَةِ وَالتَّنْذِيرِ .
وَأَمَّا مَسَائِلُ الْجَدِّ فَلَمْ يَمْتَرِضْ الرَّمْضِيُّ قَوْلَ قَاضِي الْقَصَاةِ فِيهَا ، وَأَمَّا قَاضِي الْقَصَاةِ فَقَدْ
اسْتَبْعَدَ ، بَلْ أَحَالَ أَنْ تَكُونَ مَسْأَلَةٌ وَاحِدَةً يَسْتَحْتَمِلُ سَبْعِينَ حُكْمًا مُخْتَلِفَةً ، فَعَمَلُ
الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ عُمَرَ أَفْقَى فِي بَابِ مِيرَاثِ الْأَحْدَادِ وَالْجَدَّاتِ سَبْعِينَ فِتْيَانًا سَبْعِينَ مَسْأَلَةً
مَعْنَاهُ الْعُصُورُ ، وَذَلِكَ لِشِدَائِلِ عَلَى عِلْمِهِ وَقَمَّةٍ ، وَتَمَكُّنِهِ مِنَ النَّعْشِ فِي تَفَارِيعِ الْمَسَائِلِ الشَّرْعِيَّةِ .
هَذَا هُوَ حَوَابِ قَاضِي الْقَصَاةِ ، فَكَيْفَ يَمْتَرِضُ قَوْلَهُ : كَلَّا الْأَمْرَيْنِ وَاحِدٌ فِيهَا
قَصْدُهُ ؛ لِأَنَّ حُكْمَ اللَّهِ لَا يَخْتَلِفُ فِي الْمَسْأَلَةِ الْوَاحِدَةِ وَالْمَسَائِلِ الْمُتَعَدِّدَةِ ؛ أَلَيْسَ هَذَا اعْتِرَاضٌ
مِنْ طَرَفٍ أَنَّ قَاضِي الْقَصَاةِ قَدْ اعْتَرَضَ تَنَاقُضَ أَحْكَامِهِ ، وَلَكِنْ لَا فِي مَسْأَلَةٍ بَعْضِهَا ، بَلَى
مَسَائِلَ مِنْ بَابِ مِيرَاثِ الْجَدِّ ؛ وَلَمْ يَقْصِدْ قَاضِي الْقَصَاةِ مَا طَمَّهَ ، وَالْوَجْهُ أَنَّ يَمْتَرِضُ قَاضِي
الْقَصَاةِ يَقَالُ : إِنَّ الرِّوَاةَ كُلَّهُمْ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ عُمَرَ تَلَوْنِ تَلَوْنًا شَدِيدًا فِي الْجَدِّ مَعَ الْإِخْوَةِ
كَيْفَ يَمَاسِمُهُمْ ؛ وَهِيَ مَسْأَلَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَقَصَصَ فِيهَا بِسَمْعَيْنِ قَضِيَّةً ، فَأَخْرَجُوا الرِّوَاةَ مَحْرَجَ
التَّعَجُّبِ مِنْ تَنَاقُضِ فِتَاوَيْهِ ، وَلَمْ يَمْحَرَجْ أَحَدٌ مِنَ الْحَدَّثَيْنِ الرِّوَاةِ مَحْرَجَ الْمَدْحِ لَهُ نِسْفَةً
تَهْرِيعُهُ فِي الْفَقْهِ وَالْمَسَائِلِ ، فَلَا يَحُوزُ صَرْفُ الرِّوَاةِ عَنِ الْمَوْضِعِ الَّذِي وَرَدَتْ عَلَيْهِ .

وقول قاضي القضاة : كيف تحتل مسألة واحدة سبعين وجها ! جوابه أنه لم يقع الأمر بموجب ما توهمه ، بل المراد أن قوماً تحاكموا إليه في هذه المسألة مثلاً اليوم ، فأفتى فيها بفتيا ، نحو أن يقول في جد و بنت و بنت : للنت النصف والباقي بين الجد والأخت ؛ لأنه كرم مثل حظ الأنثيين ، وهو قول زيد بن ثابت ، ثم يتحاكم إليه بعد أيام في هذه المسألة بعينها ، قد وقعت لقوم آخرين ، فيقول : للنت النصف وللجد السدس ، والباقي للأخت ، وهو المذهب الحنك عن علي عابه السلام ، وذلك بأن يتعلب على ظنه ترجيح هذه الفتيا على ما كان أفتى به من قبل ، ثم تقع هذه المسألة بعينها بعد شهر آخر ، فيفتى فيها بفتيا أخرى ، فيقول : للنت النصف والباقي بين الجد والأخت نصفين ، وهو مذهب ابن مسعود ، ثم تقع المسألة بعينها بعد شهر آخر ، فيقصي فيها بالفتيا الأولى ، وهي مذهب زيد ، بأن يعود ظنه مترجعاً متعلباً بالمذهب ^{زيد} ، ثم تقع المسألة بعينها بعد وقت آخر ، فيفتى فيها بقول علي عليه السلام ، وهكذا لا يزال المسألة بعينها تقع ، وأقواله فيها تتقلب ، وهي ثلاثة لا يزيد عليها ، إلا أنه لا يزال يفتى فيها فتاوى مختلفة ، إلى أن توفى فحصىت : فكانت سبعين فتيا .

فأما احتجاج قاضي القضاة بقصة أسرى بدر لحيد ، وأما ما اعترض به المرتضى فليس بحيد ؛ لأن المسألة من باب الشرع ، وهو قتل الأسرى أو تحليتهم بالفداء ، والقتل وإراقة الدّم من أهم المسائل الشرعية ، وقد علم من الشارع شدة العناية بأمر الدنيا ، فإن كانت أحكام الشرع لا يجوز أن تتلقى ، وأن يفتى فيها إلا بطريق معلومة ، وأن الظن والاجتهاد لا مدخل له في الشرع - كما يذهب إليه المرتضى - فكيف جاز من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يشاور في أحكام شرعية من لا طريق له إلى العلم ، وإنما قصارى أمره الظن والاجتهاد والحسبان ! وكيف مدحهما جميعاً ، وقد اختلفا ، ولا بد أن يكون أحدهما مخطئاً !

وأما قول المرتضى : مِنْ أَيْنَ لِقَاضِي الْقَضَاءِ أَنَّ مَا اعْتَمَدَهُ الْحُسَيْنُ وَالْحُسَيْنُ مِنَ الْكَفِّ وَالْإِقْدَامِ كَانَ عَنِ الْاجْتِهَادِ ! فَجِدِّ ، وَحَوَابِ صَحِيحٍ عَلَى أَصُولِ الْإِمَامِيَّةِ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمُسْتَحِيلٍ أَنْ يَعْتَمِدَ ذَلِكَ بَوْصِيَّةً سَاقِةً مِنْ أَيْبِهِمَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

وأما قوله لقاضي القضاة : كَلَامُكَ مَعْطَرِبٌ ، لِأَنَّكَ أَسْنَدْتَ مَا اعْتَمَدَاهُ إِلَى الْاجْتِهَادِ ، ثُمَّ قُلْتَ : وَقَدْ كَانَ تَمَكُّنُ الْحُسَيْنِ أَكْثَرَ مِنْ تَمَكُّنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهَذَا يُؤَدِّي إِلَى أَنَّ أَحَدَهُمَا غَرَّرَ بِنَفْسِهِ وَالْآخَرُ فَرَّطَ فِي تَسْلِيمِ حَقِّهِ ؛ فَلَيْسَ بِمُجِدِّ . وَالَّذِي أَرَادَهُ قَاضِي الْقَضَاءِ الدَّلَالَةَ عَلَى حَوَازِ الْاجْتِهَادِ ، وَأَنَّهُ طَرِيقَةُ الْمُسْلِمِينَ كَالِهَمِ ؛ وَأَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَأَوَّلًا إِلَى مَا اعْتَمَدَهُ الْحُسَيْنُ مِنْ تَسْلِيمِ الْأَمْرِ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، وَمَا اعْتَمَدَهُ الْحُسَيْنُ مِنْ مُسَازَعَةِ يَزِيدَ الْخُلَافَةِ ، فَعَمِلَا فِيهَا عَمَلِ اجْتِهَادِهِمَا ، وَمَا عَنَّبَ عَلَى ظَنُونِهِمَا مِنَ الْمَصْلُحَةِ ؛ وَقَدْ كَانَ تَمَكُّنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْحَالِ الْخَاصِرَةِ أَكْثَرَ مِنْ تَمَكُّنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَالِهِ الْخَاصِرَةِ ، لِأَنَّ جُنْدَ الْحُسَيْنِ كَانَ حَوْلَهُ وَمُطِيعًا لَهُ - وَهُمْ كَارُوا مِائَةَ الْمَسِيفِ - وَلَمْ يَكُنْ مَعَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنَّا يَحِيطُ بِهِ وَيُسِيرُ تَمِيمُهُ إِلَى الْعِرَاقِ إِلَّا دُونَ مِائَةِ فَارَسٍ ؛ وَلَكِنْ طَنَّهُمَا فِي عَاقِبَةِ الْأَمْرِ وَمُسْتَعْبِلِ الْحَالِ كَانَ مُخْتَلَفًا ، فَكَانَ الْحُسَيْنُ يَظُنُّ خِذْلَانِ أَصْحَابِهِ عِنْدَ الْإِقْدَامِ وَالْحَرْبِ ، وَكَانَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَظُنُّ نُصْرَةَ أَصْحَابِهِ عِنْدَ الْإِقْدَامِ وَالْحَرْبِ ، فَلِذَلِكَ أَحْبَبَ أَحَدَهُمَا وَأَقْدَمَ الْآخَرَ ؛ قَدْ بَانَ أَنَّ قَوْلَ قَاضِي الْقَضَاءِ غَيْرُ مُضْطَرِبٍ وَلَا مُتَنَاقِضٍ .

الطعن الثامن

ماروَى عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا نَأْتِيهِمَا مِنْ عَمَلٍ إِلَّا جَاءَهُمَا » ؛ وَهَذَا اللَّفْظُ قَبِيحٌ لَوْ صَحَّ الْمَعْنَى ، فَكَيْفَ إِذْ قَدْ ! لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ

يشرع فيقول هذا القول ، ولأنه يوم مساواة الرسول صلى الله عليه وآله في الأمر والنهي ، وأن أتباعه أوّل من اتّباع رسول الله صلى الله عليه وآله .

أجاب قاضي القضاة ، فقال : إنه إنا عني ^(١) قوله : « وأنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما » كراهته لذلك ، وتشدّده فيه ، من حيث نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عنهما بعد أن كانتا في أيامه ، مسبباً بذلك على حصول النّسخ فيهما وتغيّر الحكم ، لأننا نعلم أنه كان متبّعاً للرسول ، متديّناً بالإسلام ، فلا يجوز أن نحمل قوله على خلاف ما تواتر من حاله . وحكى عن أبي عليّ أن ذلك بمنزلة أن يقول : إني أعاقب من صليّ إلى بيت المقدس ، وإن كان صليّ إلى بيت المقدس في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله . واعتمد في تصويبه على كفت الصحابة عن التكبر عنه . وادّعى أن أمير المؤمنين عليه السلام أسكر على ابن عباس إحلال المتعة ، وروى عن النبي صلى الله عليه وآله تحريمهما : فأما متعة الخمر فإنما أراد ما كانوا يفعلون من قسح الخمر ، لأنه كان يحصل لهم عنده التمتع ، ولم يرد بذلك التمتع الذي يجري مجرى تجرّي العمرة وإضافة الخمر إليها بعد ذلك ، لأنه جائز لم يقع فيه قبح .

اعترض المرتضى هذا الكلام ^(٢) فقال : ظاهر الخبر المروي عن عمرى المتعتين يبطل هذا التأويل ، لأنه قال : « متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما » ، فأضاف النهي إلى نفسه ، ولو كان الرسول نهى عنهما لأضاف النهي إليه ، فكان آكد وأوّل ، فكان بقول : فنهى عنهما أو نسخهما وأنا من بعده أنهي عنهما وأعاقب عليهما . وليس يشبه ما ذكره من الصلاة إلى بيت المقدس ، لأن نسخ

(١) الشافعي : « وهذا غير لازم ، لأنه عني بقوله : أنا أنهي عنهما » .

(٢) الشافعي : « يقال له : ظاهر الخبر المروي . . . » .

الصلاة إلى بيت المقدس معلومة ضرورة من دية صلى الله عليه وآله ، وليس كذلك
المنفعة ، على أنه لو قال : إن الصلاة إلى بيت المقدس كانت في أيام النبي صلى الله عليه وآله
جائزة وأنا الآن أسهى عنها لكان قبيحاً شنيعاً ، مثل ما استجبنا من القول الأول ،
وليس هذا القول منه ردّاً على الرسول صلى الله عليه وآله ، لأنه لا يمتنع أن يكون
استحسن حظرها في أيامه لو حرم لم يكن فيما تقدم ، واعتقد أن الإباحة في أيام رسول الله
صلى الله عليه وآله كان لها شرط لم يوجد في أيامه ، وقد روى عنه أنه صرح بهذا
المعنى ، فقال : إنما أحل الله المنفعة للناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، والنساء
يومئذ قبله ، ولذلك روى عنه في منة الحج أنه قال : قد علمت أن رسول الله صلى الله
عليه وآله فعلها وأصحابه ، ولكن كرهت أن يطلوها ممرسين تحت الأراك ، ثم يرموا
بالحج تقطر رؤوسهم .

وأما ^(١) اعتماده على الكعبة عن الكبر ، فقد تقدم أنه ليس بحجة إلا على شرائط
شرحناها ؛ على أنه قد روي أن عمر قال بعد هيبه عن المنعة : لا أوتى بأحد تزوج منعة
إلا عدته بالحجارة ، ولو كنت تقدمت فيها لرجمت . وما وجدنا أحداً أنكر عليه هذا
القول ، لأن المنفعة عديم لا يستحق الرحمة ، ولم يدل ترك التكبير على صوابه .

فأما ادّعاؤه على أمير المؤمنين عليه السلام أنه أنكر على ابن عباس إحلالها ؛ فالأمر
بخلافه وعكسه ، فقد روى عنه عليه السلام من طرق كثيرة أنه كان يفتي بها ، وينكر
على محرّمها والناسي عنها ، وروى عمر بن سعد الحمداق ، عن حبيش بن العتمر ، قال :
سمعتُ عليّاً عليه السلام يقول : لولا ما سبق من ابن الخطاب في المنعة مازنى إلا شقي .
وروى أبو بصير ، قال : سمعتُ أبا حمزة محمد بن علي الباقر عليه السلام يروي عن جده
أمير المؤمنين عليه السلام : لولا ما سبق من ابن الخطاب مازنى إلا شقي . وقد أفنى بالمنعة

جماعة من الصحابة والتابعين كعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ، وسلمة بن الأكوع ، وأبي سعيد الخدري ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وغير ما ذكرناه ممن يطول ذكره ، فأما سادة أهل البيت عليهم السلام وعلمائهم فأمروهم واضح في الفتيا بها ، كعلي بن الحسين زين العابدين ، وأبي جعفر الباقر عليه السلام ، وأبي عبد الله الصادق عليه السلام ، وأبي الحسن موسى الكاظم ، وعلي بن موسى الرضا عليهما السلام . وما ذكرناه من فتيا من أشربا إليه من الصحابة بها يدل على أوضح بطلان ما ذكره صاحب الكتاب من ارتفاع التكبير لتعريضها ؛ لأن مقامهم على الفتيا بها نكير .

فأما متعة الحج فقد فعلها النبي صلى الله عليه وآله والناس أجمع من بعده ، والفقهاء في أعصارنا هذه لا يرونها خطأ بل جهواً .
فأما قول صاحب الكتاب : إن عمر إنما أكره فسخ الحج فباطل ؛ لأن ذلك أولاً لا يسي متعة ، ولأن ذلك ما قيل في أيام النبي صلى الله عليه وآله ، ولا فعله أحد من المسلمين بعده ، وإنما هو من سنن الخاهية ، فكيف يقول عمر : متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وكيف يعلظ ويشدد فيما لم يفعل ، ولا فعل^(١) !

• • •

قلت : لا شبهة أن الطاهر من كلام عمر إضافة النهي إلى نفسه ، لكننا يجب علينا أن نترك ظاهر اللفظ إذا علمنا من قائله ما يوجب صرف اللفظ عن الطاهر كما يعتمد كل أحد في القرائن المقترنة بالألفاظ ، والمعلوم من حال عمر أنه لم يكن يدعي أنه ناسخ لشريعة

(١) الشافعي ٢٥٧ ، وفيه : « ولا يصل » .

الرسول صلى الله عليه وآله ، وأنه كان مندوباً بالإسلام وتاماً للرسول الذي جاء به ، فوجب أن يحمل كلامه على أنه أراد أنها كانتا ثم حرمتا ، ثم أنا الآن أعاقب من فعلهما ، لأنه قد كان نفعه عن قوم من المسلمين صد عنهم بالتعريم . وقول المرتضى : لعله كان اعتقداً أن الإباحة أيام رسول الله صلى الله عليه وآله كانت مشروطة بشرط لم يوجد في أيامه ، فوالله يبطل طعنه في عمر ، ويمهد له عنراً ويصير للسألة اجتهدية .

وأما طعنه في الاحتجاج على تصويب عمر بترك الإنكار عليه وقوله: فهلاً أسكروا عليه قوله : لا أرى أحداً يستمتع إلا رحمة ، فليس بطن مستقيم ، وإنما يكون طعناً صحيحاً لو كان أتى بمتنع فامر برحمه ، فَمَا أَنْ يَسْكُرُوا عَلَيْهِ وَعِيْدَهُ وَتَهْدِيدَهُ ، لَا لِإِسَانٍ مَعَيْنٍ ، بَلْ كَلَامًا مطلقاً ، وقولاً كلياً بقصد به حشم المادة في اللذة ، وتحويف فاعلها ، فإنه ليس بمحتمل للإنكار عليه ، وما زالت الأئمة والصالحون يتوعدون بأمر ليس في نفوسهم فعله ، على طريق التأديب والتهذيب ؛ على أن قوماً من الفقهاء قد أوجبوا إقامة الحد على المتمتع ، فلا يمتنع أن يكون عمر ذاهباً إلى هذا المذهب .

فأما ما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن الطاهرين من أولاده ، من تحليل اللذة ، فلسنا في هذا المقام نتذكره في ذلك وبنارعه فيها ، والسألة فقهية من فروع الشريعة ، وليس كتابنا موضوعاً لذلك ، ولا الموضع الذي نحن فيه يقتضى إلحاجاً فيها ، والبحث في تحليلها وتحريمها ، وإنما الموضع موضع الكلام في حال عمر ، وما نقل عنه من الكلمة ؛ هل يقتضى ذلك الطعن في دينه أم لا ؟

فأما متعة الحج فقد اعتذر لنفسه ، وقال ما قدمنا ذكره ، من أن الحج بهاء من بهاء الله ، وأن التمتع يكسفه ويذهب نوره وروقه ، وأنهم يظنون معرسين تحت الأراك ، ثم

يُهلون بالحجّ ورءوسهم تقطر ، وإذا كان قد اعتذر لنفسه فقد كفانا مؤنة الاعتذار .

• • •

الطعن التاسع

ماروى عنه من قصة الشورى ، وكونه خرج بها عن الاختيار والنصّ جميعاً ، وأنه دمّ كل واحد ، بأن ذكر فيه طعننا ثم أمّده للخلافة بعد أن طعن فيه ، وأنه جعل الأمر إلى ستة ، ثم إلى أربعة^(١) ؛ ثم إلى واحد ، قد وصّاه بالضعف والقصور ، وقال : إن اجتمع علىّ وعثمان فالتول ما قالاه ، وإن صاروا ثلاثة وثلاثة فالتول للدين فيهم عبد الرحمن ، وذلك لعلمه بأن علياً وعثمان لا يجتمعان ، وأن عبد الرحمن لا يكاد يعمل بالأمر عن حثه وإن عهده ، وأنه أمر بضرب أعناقهم إن تأخروا عن البيعة فوق ثلاثة أيام ، وأنه أمر بقتل من يخالف الأربعة منهم أو الذين فيهم عبد الرحمن .

أجاب قاصى القصة عن ذلك ، فقال : الأمور الظاهرة لا يحوز أن يعترض عليها بأخبار غير صحيحة ، والأمر في الشورى ظاهر ، وإن الجماعة دخلت فيها بالرضا ، ولا فرق بين من قال في أحدهم : إنه دخل فيها لا بالرضا وبين من قال ذلك في جميعهم ، ولذلك حملنا دخول أمير المؤمنين عليه السلام في الشورى أحد ما يعتمد عليه في أن لا نصّ يدل عليه ، أنه المختص بالإمامة ، لأنه قد كان يجب عليه أن يصريح بالنصّ على نفسه ، بل يحتاج إلى ذكر فضائله ومسايقه ، لأن الحال حال مناظرة ، ولم يكن الأمر مستقراً لواحد ، فلا يمكن أن يتعلق بالتقية ، والمتعالم من حاله أنه لو امتنع من هذا الأمر في الشورى أصلاً لم يلحقه الخوف فضلاً عن غيره ، ومعلوم أن دلالة الفعل أحسن من دلالة القول ، من حيث كان الاحتمال فيه أقل ، والروى أن عبد الرحمن^(٢) أخذ الميثاق على الجماعة

(١) الثاني : « ثم جعل الأمر إلى ستة ، ثم إلى أربعة » .

(٢) في الأصول : « عمر » ، والصواب « أئبته من الناس » .

معرضاً بمن يختاره ، ولا يجب القدح في الأفضال بالفنون ، بل يجب حملها على ظاهر الصفة دون الاحتمال ، كما يجب مثله في غيرها ، ويجب إذا تقدمت للفاعل حالة تقتضي حسن الظن به ، أن يحمل فعله على ما يوافقها ، وقد علمنا أن حال عمر وما كان عليه من النصيحة للمسلمين ، منع من صرف أمره في الشورى إلى الأعراض التي يظنها أعداؤه ، فلا يصح لم أن يقولوا : كان مراده في الشورى بأن يعمل الأمر إلى الفرقة التي فيها عبد الرحمن عند الخلاف ، أن يتم الأمر لعمان ؛ لأنه لو كان هذا مراده لم يكن هناك ما يمنع من النص على عثمان ، كما لم يمنع ذلك أبا بكر ، لأن أمره إن لم يكن أقوى من أمر أبي بكر لم ينقص عنه ؛ وليس ذلك مدعة ، لأنه إذا جاز في غير الإمام إذا احتار أن يعمل ذلك ، بأن ينظر في أمثال القوم فيعلم أنهم عشرة ، ثم ينظر في العشرة ؛ فيعلم أن أمثلهم حجة ، ثم ينظر في واحد من الخمسة ؛ فما الذي يمنع من مثله في الإمام ؟ وهو في هذا الباب أقوى اختياراً ، لأن له أن يختار واحداً بينه

ثم ذكر أنه إنما حصره في الجماعة الذين انتهى إليهم الفضل ، وجعله شورى بينهم ، ثم بين أن الانتقال من ستة إلى الأربعة ، ومن الأربعة إلى الثلاثة ، لا يكون متناقضاً ، لأن الأقوال مختلفة ؛ وليست واحدة ، ولو كانت أيضاً واحدة لكان كالرجوع ؛ وللا إمام أن يرجع في مثل ذلك ، لأنه في حكم الخوصية .

قال : وقولهم : إنه كان يعلم أن عثمان وعلياً لا يختصمان ، وأن عبد الرحمن يميل إلى عثمان ، قلّة دين ، لأن الأمور المستقلة ، لا تعلم وإنما يحصل فيها أمارات . قال : والأمارات توجب أنه لم يكن فيهم حرص شديد على الإمامة . بل الغالب من عالم طلب الاتفاق والاتلاف والاسترواح إلى قيام العير بذلك . وإنما حمل عمر الأمر إلى عبد الرحمن عند الاختلاف ، لعله بزهد في الأمر ؛ وأنه لأجل ذلك أقرب أن يتثبت ، لأن الرابع

عن الشيء يحصل له من التثبت مالا يحصل للراغب فيه ، ومن كانت هذه حاله كان القوم إلى الرضا به أقرب .

وحكى عن أبي عليٍّ أن الخادعة إنما تظن بمن قصده في الأمور طريق الفساد ، وعمر برى من ذلك .

قال : والصف الذي وُصف به عبدالرحمن ، إنما أراد به الضعف عن القيام بالإمامة ، لا ضعف الرأي ؛ ولذلك ثرثرة الاختيار والرأي إليه . وحكى عن أبي عليٍّ ضعف ما روى من أمره بضرب أعناق القوم إذا تأخروا عن البيعة ، وأن ذلك لو صح لأسكره القوم ، ولم يدخلوا في الشورى بهذا الشرط ؛ ثم نوله إذ سلم محقه ، على أنهم إن تأخروا عن البيعة على سبيل شق العصا وطلب الأمر من غير وجهه . وقال : ولا يمتنع أن يقول ذلك على طريق التهديد ، وإن صدق عدم أن يقدموا عليه ، كما قال تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ .

• • •

اعترض المرتضى هذا الكلام ، فقال : إن الذي رتبته عمر في قصة الشورى ، من ترتيب العدد واتفاقه واختلافه ، يدل أولاً على تطلان مذهب أصحاب الاختيار في عدد العاقلين للإمامة ، وأنه يتم تعقد واحد لميره برضا أربعة ، وأنه لا يتم بدون ذلك ؛ فإن قصة الشورى تصرح بخلاف هذا الاعتبار ؛ فهذا أحد وجوه المطاعن فيها .

ومن جعلها أنه وصف كل واحد منهم بوصف زعم أنه يمنع من الإمامة ، ثم جعل الأمر فيمن له تلك الأوصاف ، وقد روى محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن محمد بن عبد الله الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : قال عمر : لا أحري ما أصنع بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وذلك قبل أن يصطنع ، فقلت : ولم تهتم وأنت تجهل من تستخلفه

عليهم ؟ قال : أصحابكم ؟ يعني علياً ، قلت : نعم ؛ هو لها أهل ، في قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعشيرته وسابقتها وولائه ، قال : إن فيه نكالاً ^(١) وفكاهة ، قلت : فأين أنت من طلحة ؟ قال : فأين الرُّهُو والسَّحوة ! قلت : عند الرحمن ؟ قال : هو رجل صالح على ضَنْفٍ فيه ، قلت : فاسعد ، قال : ذلك صاحب مِقْسَبٍ ^(٢) وقاتل لا يقوم بقرينة لو حمل أمرها ، قلت : فالريز ، قال : وعقّة نَقِيسٍ ^(٣) ، ومن الرُّضَا ، كافر المصعب ، شحيح ؛ وإن هذا الأمر لا يصلح إلّا لقوى في غير عصف ، رفيق في غير صنف ، وجواد في غير سرف ، قلت : فأين أنت عن عثمان ؟ قال : لو وليها لجل بنى أبي مُبَيْطٍ على رقاب الناس ، ولو فعلها لقتلوه ^(٤) .

وقد يروى من غير هذا الطريق أن عمر قال لأصحاب الشورى : رُوحُوا إِلَى ؛ فلفظ نظر إليهم قال : قد جاءني كلُّ ^(٥) واحدٍ منهم بِرُوحٍ عَفْرِتَةٍ ، يروحو أن يكون حابفة ، أما أنت يا طلحة ؛ أفأنت القاتل ؛ إن قُبِضَ النبي صلى الله عليه وآله أسكح أزواجه من بعده ؟ فما جعل الله محمداً أحقَّ يمسك أعمامنا منا ، فأزل الله تعالى فيك : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِرُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ تَمَذُّدِهِ أَبَدًا ﴾ ^(٦) . وأما أنت يا زبير ، فوالله ما لأن قلّك يوماً ولا ليلة . وما زلت جنماً ^(٧) جافياً ؛ وأما أنت يا عثمان ، فوالله لآروثة ^(٨) خير منك ، وأما أنت يا عبد الرحمن ، فربك رجل عاحز تحبُّ قومك جميعاً ، وأما أنت يا سعد ، فصاحب عصية وقتنة ، وأما أنت يا علي ، فوالله لو ورن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجعهم ، فقام عليٌّ مولياً يخرج ، قال عمر : والله إنّي لأعلم مكان رجلٍ لو وليتموه

(١) القائل : « ذلك رجل فيه خطاه » . (٢) للثب من الحبل : الأرميون أو الخشون .

(٣) في القائل : « رجل وعقّة ولغة » ، إن كان فيه حرس ودروع في الأمر ، مجهول وضيق نفس وسوء خلق .

(٤) خبر أن عيسى مع عمر في القائل ٢ : ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، مع اختلاف في الصارة .

(٥) سورة الأحزاب ٥٣ . (٦) الجلف : الرجل الجاني المبيط .

(٧) الآروثة : واحدة الروث ، وهو مرجوح العرس .

أمركم لحكم على المحجة البيضاء ، فقلوا : مَنْ هو ؟ قال : هذا اللؤلؤ من يسكم ، قالوا :
فما يسمعك من ذلك ؟ قال : ليس إلى ذلك سبيل .

وفي خبر آخر ؛ رواه البلاذري في تاريخه ؛ أنَّ عمر لما خرج أهل الشورى من
عنده ؛ قال : إنَّ ولّوها الأجلع^(١) سلك بهم الطريق ، فقال عبدالله بن عمر : فما يسمعك منه
يا أمير المؤمنين ؟ قال : أكره أن أتحملها حياً وميتاً .

فوصف كما ترى كل واحد من القوم بوصف قبيح يجمع من الإمامة ؛ ثم جعلها في
جملتهم ، حتى كأنَّ تلك الأوصاف تزول في حال الاجتماع ؛ ونحن نعلم أنَّ الذي ذكره
إن كان مانعاً من الإمامة في كل واحد على الانفراد ، فهو مانع من الاجتماع ؛ مع أنَّه وصف
علياً عليه السلام بوصف لا يليق به ، ولا ادعاء عدوٍّ قط ، بل هو معروف بصدِّه ، من
الركابة والبعد عن المزاج والدُّعاة^(٢) وهذا معلوم ضرورة لمن سمع أخباره عليه السلام ؛
وكيف يُظنُّ به ذلك ؛ وقد روي عن ابن عباس أنه قال : كان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام
إذا أتى هبنا أن نبتدئه بالكلام ؛ وهذا لا يكون إلا من شدة الزمّت والتوقُّر ؛ وما يخالف
الدُّعابة والفكاهة .

ومما تضمنته قصّة الشورى من المطاعن ، أنه قال : لا أتحملها حياً وميتاً ، وهذا إن كان
علّة عدوله عن النصِّ إلى واحدٍ بعينه ؛ فهو قول متلصص متعصص ، لا يعتدُّ على الناس في
آرائهم ، ثم نقض هذا بأن نصَّ على سعة من بين العالم كله ، ثم رتب العدد ترتيباً
مخصوصاً ، يؤول إلى أنَّ اختيار عبدالرحمن هو المقدم ؛ وأى شيء يكون من التعمُّل أكثر^(٣)
من هذا ؛ وأى فرق بين أن يصحَّ لها ، بأن ينصَّ على واحدٍ بعينه ، وبين أن يفعل ما فعله
من الحصر والترتيب !

ومن جملة المطاعن أنه أمر بضرب الأعناق إن تأخروا عن البيعة أكثر من ثلاثة أيام ؛ ومعلوم أنهم بذلك لا يستحقون القتل ، لأنهم إذا كانوا إنما كلفوا أن يجتهدوا آراءهم في اختيار الإمام ، فربما طال زمان الاجتهاد ، وربما قصر بحسب ما يعرض فيه من العوارض ، فأى معنى للأمر بالقتل إذا تجاوزوا الأيام الثلاثة ؟ ثم إنه أمر بقتل مَنْ يخالف الأربعة ، وَمَنْ يخالف العدد الذى فيه عبد الرحمن ، وكل ذلك مما لا يستحق به القتل .

فأما تصنيف أبى على ذكر القتل فليس بحجة ، مع أن جميع مَنْ روى قصة الشورى روى ذلك ؛ وقد روى الطبرى ذلك [(١)] فى تاريخه وغيره .

فأما تأوله الأمر بالقتل على أن المراد به إذا تأخروا على طريق شق العصا ، وطلب الأمر من غير وجهه ، فبعد من الصواب ، لأنه ليس فى ظاهر الخبر ذلك ، ولأنهم إذا شقوا العصا ، وطلبوا الأمر من غير وجهه من أول يوم ، وحسب أن يمسحوا ويقاتلوا ، فأى معنى لأمر بالقتل الأيام الثلاثة أحلا ؟

فأما تعاقبه بالتهديد ، فكيف يجوز أن يشهد الإنسان على من لا يستحقه ، وإن علم أنه لا يهزم عليه ؟

فأما قوله تعالى : ﴿ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْطَنَ عَمَلُكَ ﴾ (٢) ، فيحالف ما ذكر ؛ لأن الشرك يستحق به إحباط الأعمال ، وليس يستحق بالتأخير عن السعة القتل .

فأما ادعاء صاحب الكتاب أن الجماعة دحوا فى الشورى على سبيل الرضا ، وأن عبد الرحمن أخذ عليهم العهد أن يرصوا بما يعمه ، ثم قرأ قصة الشورى على وجهها ، وعدل عما تسوَّله النفس من ناء الأضرار على المذهب ؛ علم أن الأمر بخلاف ما ذكر . وقد روى الطبرى فى تاريخه عن أشياخه من طرق مختلفة ، أن أمير المؤمنين عليه السلام قال حين خرج من عند عمر بعد خطابه للجماعة بما تقدم ذكره لقوم كانوا معه من بنى هاشم : إن طمع فيكم قومكم لم تؤمروا أبدا . وولقاءه العباس بن عبد المطلب ،

فقال : يا عم عدت عنا ا قال : وما عليك ؟ قال : قُرن بي عثمان ، وقال : كونوا مع الأكثر ، وإن رضى رحلان رجلاً ، ورجلان رجلاً ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن ؛ فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفان ، فيوليها عبد الرحمن عثمان ، أو يوليها عثمان عبد الرحمن ، ولو كان الآخران معي لم ينفعاني بَلَه أَنى لا أرحو إلا أحدهما . فقال له العباس : لم أدفئك عن شيء إلا رجعت إلى مستأخراً ١ أشرت عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أن تسأله فيمن هذا الأمر ؟ فأبيت ، وأشرت عليك عند وفاته أن تعجل الأمر فأبيت ، وأشرت عليك حين سمالك عمر في الشورى ألا تدخل معهم ، فبيت ا فاحفظ على واحدة ؛ كلما عرض عليك القوم قتل : لا ؛ إلا أن يوتوك ، واحذر هؤلاء الرهط ، فإنهم لا يبرحون يذفوننا عن هذا الأمر ، حتى يقوم لنا به غيرنا وغيرهم ، ثم أيم الله لا تسأله إلا بشر لا ينفع معه خير . فقال على عليه السلام : أما والله لئن بقي عمر لأذكر به ما أتى إليما ، ولئن مات ليتداولها بينهم ، ولئن فعلوا ليعدوني حيث يكرهون ، ثم تمثل :

حللت رب الرقصات عشية عذون حماماً فاشترى الحصبا

ليحتلبن رهط ابن بصر مارثا نجما ، بنو الشذاخ وردا مصلا

فالتفت برأى أبا طلحة الأنصاري فكره مكانه ، فقال أبو طلحة : لا تُزع أبا حسن ^(١) .

قال المرتضى : فإن قال قائل : أى معنى لقول العباس : إني دعوتك إلى أن تسأل ول الله صلى الله عليه وآله فيمن هذا الأمر من قبل وفاته ؟ أليس هذا مطلقا تدعونه من النص ؟

قلنا : غير ممتنع أن يريد العباس سؤاله عما يصير الأمر إليه ، وينتقل إلى يديه ،

لأنه قد يستحقه من لا يصل إليه ، وقد يصل إلى من لا يستحقه ، وليس يمتنع أن يريد :
إنما كنا نأله صلى الله عليه وآله إعادة النصف قبل الموت ، ليتجدد ويتأكد ، ويكون
لقرب العهد إليه بعيداً من أن يطرح .

فإن قيل : أليس قد أسكرتم على صاحب الكتاب من التأويل بعينه فيما استعمله من
الرواية عن أبي بكر من قوله : ليتنى كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل
للأنصار في هذا الأمر حق ؟

قلنا : إنما أسكرناه في ذلك الخبر ، لأنه لا يليق به من حيث قال : فكنا لا سارعه
أهله ، وهذا قول من لا علم له بأنه ليس للأنصار حق في الإمامة ، ومن كان يرجع في أن
لهم حقاً في الأمر أو لاحقاً لهم فيه ، إلى ما يسمعه مستأثراً ، وليس هذا في الخبر
الذي ذكرناه ^(١) .

وروى العباس بن هشام الكلبي عن أبيه ، عن جده ، عن إسماعيل ، أن أمير المؤمنين
عليه السلام شكاً إلى العباس ماسع من قول عمر : كرموا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن
ابن عوف ، وقال : والله لقد ذهب الأمر منا ، قال : وكيف قلت ذلك يا ابن أخي ؟ قال :
إن سعداً لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن بطير عثمان وصهره ، فأحدهما
يختار لصاحبه لا محالة ، وإن كان الرئير وطلحة معي ، فلن أمتنع بذلك إذا كان ابن عوف
في الثلاثة الآخرين .

قال ابن الكلبي : عبد الرحمن روج أم كلثوم بنت عتبة بن أبي مصيصة ، وأما
أروى بنت كرز ، وأروى أم عثمان ، فلهذا قال : صهره .

وفي رواية الطبري أن عبد الرحمن دعا علياً عليه السلام ، فقال : عليك عهد الله

وميثاقه لتعملن بكتاب الله وستة رسوله ، وسيرة الخليفين ؟ فقال : أرجو أن أفعل وأعمل بتبلغ على وطاقتي ^(١) .

وفي خبر آخر عن أبي الطمیل ، أن عبد الرحمن قال لعلي عليه السلام : هلم يدك خذها بما فيها ، هل أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر ، فقال : آخذها بما فيها ، على أن أسير فيكم بكتاب الله وستة بيته جهدي . فترك يده ، وقال : هلم يدك يا عثمان ، آخذها بما فيها هل أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر ؟ قال : نعم ، قال : هي لك يا عثمان .

وفي رواية الطبري أنه قال لثمان مثل قوله لعلي ، فقال : نعم ، فبايعه ، فقال علي عليه السلام : حُتونة حنت دهرًا ^(٢) .

وفي خبر آخر : نعت الحتونة يا بني عوف ! ليس هذا أول يوم تظاهرتُم فيه علينا ! ﴿ فَخَبِّرْ حَمِيلٌ وَاللَّهُ السَّمْعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك ، والله كل يوم هو في كلمة .

وفي غير رواية الطبري أن عبد الرحمن قال له : لقد قلت ذلك لعمر ، فقال عليه السلام : أو لم يكن ذلك كما قلت !

وروى الطبري أن عبد الرحمن قال : لا تحملن يا علي على نفسك سيلا ، فإني نظرت وشاورت الناس ، فإذا هم لا يعدلون بثمان ، فقام علي عليه السلام ، وهو يقول : سيبلغ الكتاب أجله ^(٣) .

وفي رواية الطبري أن الناس لما بايعوا عثمان تلكا علي عليه السلام ، فقال عثمان : ﴿ فَمَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٣٦ (الحسبية) .

(٢) الطبري : « حوتة حبة دهر » ، والختونة الصاهرة .

(٣) تاريخ الطبري ٥ : ٣٧ (الحسبية) .

عَلِيًّا (١). فرجع عليٌّ عليه السلام حتى بايعه ، وهو يقول : خُذْهُ وَأَيُّ (٢)
خُذْهُ (٣) !

وروى البلاذري في كتابه ، عن ابن الكلبي ، عن أبيه ، عن أبي مخنف ، في إسناده ،
أن عليا عليه السلام لما بايع عبد الرحمن عثمان كان قائما ، فقال له عبد الرحمن : بايع
وإلا ضربت عنقك ، ولم يكن يومئذ مع أحد سيف غيره ، فخرج عليٌّ معصبا ، فلاحقه
أصحاب الشورى ، فقالوا له : بايع وإلا جاهدك . فقبل معهم يمشى حتى بايع عثمان .
قال المرتضى : فأي رصاهاها ، وأي إجماع ! وكيف يكون مختارا من تهديد بالقتل
وبالجهاد ! وهذا اللعنى وهو حديث ضرب العمق لو رويته الشيعة لتصاحك المخالفون منه
وتفامزوا ، وقالوا : هذا من حملة مائدعوته من الخيال ، وتروونه من الأحاديث ، وقد أطلق
الله به روايتهم ، وأجراه على أفواه نقابهم ، ولتفهم تسكلم المقداد في ذلك اليوم كلام طويل ،
يمتد فيه ما فعلوه من نيعة عثمان ، وعيولهم بالأمر عن أمير المؤمنين إلى أن قال له عبد الرحمن :
يا مقداد ، اتق الله ، فإني حائف عليك الفتنة . ثم إن المقداد قام فأتى عليا ، فقال : أتناقل
فتناقل معك ؟ فقال عليٌّ : فبمن أقاتل ! وتكلم أيضا عمار - فيما رواه أبو مخنف - فقال :
يا معشر قريش ، أين تصرفون هذا الأمر عن بيت نبيكم ؟ تحولونه هاهنا مرة وهاهنا
مرة ! أما والله ما أنا بآمن أن يترعه الله منكم فيصمه في غيركم كما استزعموه من أهله ،
ووضعتموه في غير أهله . فقال له هشام بن الوليد : يا ابن سمية ، لقد عدوت طورك ، وما
عرفت قدرك ، وما أنت وما رأتك قريش لأنفسها إنك لست في شيء من أمرها وإمارتها ،
فتبع عنها . وتكلمت قريش بأجمعها ، وصاحت بعمار واتهرته ، فقال : الحمد لله ما زال
أعوان الحق قليلا .

روى أبو مخنف أيضا أن عمارا قال هذا البيت ذلك اليوم :

(٢) الطري : « أيما » .

(١) سورة الفتح ١٠

(٣) تاريخ الطري : ١١ .

يَا نَاعِي الْإِسْلَامُ قُمْ قَائِمَةً قَدْ مَاتَ عُرْفٌ وَأَتَى مِنْكَ

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِي أَعْوَانًا لِقَاتِلِهِمْ ، وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَئِنْ قَاتَلْتَهُمْ
بِوَاحِدٍ لَأَكُونَنَّ ثَابِيًا ، فَقَالَ : وَفَقَّ مَا أَجِدُ عَلَيْهِمْ أَعْوَانًا ، وَلَا أَحِبُّ أَنْ أَعْرِضَ عَنْكُمْ
لَمَّا لَا تَطْلِقُونَ .

وَرَوَى أَبُو مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حُدَّابٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكُنْتُ حَاضِرًا بِمَدِينَةِ يَوْمِ بَوَيْعِ عُمَانَ ، فَإِذَا هُوَ وَاحِدٌ كَثِيبٌ ، فَقُلْتُ :
مَا أَصَابَ قَوْمَ صَرْفُوا هَذَا الْأَمْرَ عَنْكُمْ ! ، فَقَالَ صَبْرٌ جَمِيلٌ ! فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! إِنَّكَ
لَصَوْرٌ ! قَالَ : فَأَصْبَحَ مَاذَا ؟ قُلْتُ : تَقُومُ فِي النَّاسِ خَطِيئًا فَتَدْعُوهُمْ إِلَى مَعِكَ ، وَتَحْبِرُهُمْ
أَنْتَ أَوَّلَى بِالْبَيْتِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْعَمَلِ وَالسَّابِقَةِ ، وَتَسْأَلُهُمُ النَّصْرَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُتَعَاهِدِينَ
عَلَيْكَ ، فَإِنْ أَجَابَكَ عَشْرَةٌ مِنْ مِائَةِ شِدْدَتِ الْكَعْشَةِ عَلَى الْمِائَةِ ، فَإِنْ دَانُوا لَكَ كَانَ
مَأْخِيتٌ ، وَإِنْ أَبَوْا قَاتَلْتَهُمْ ، فَإِنْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ فَهُوَ سُلْطَانُ اللَّهِ آتَاهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ ، وَكَتَبَ أَوَّلَى بِهِ مِنْهُمْ إِذْ ذَهِبُوا بِدَلِكِ ، فَردَّ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَإِنْ قَاتَلْتَ فِي طَلَبِهِ
فَقَتَلْتَ شَهِيدًا ، وَكَتَبَ أَوَّلَى بِالْعَدْرِ عَدُوُّ اللَّهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
أَوْ تَرَاهُ كَانَ تَامِيًّا مِنْ كُلِّ مِائَةِ عَشْرَةٍ ! قَاتِ : لَأَرْحُو ذَلِكَ ، قَالَ : لَكِنِّي لَا أَرْجُو
وَلَا وَاللَّهِ مِنَ الْمِائَةِ اثْنَيْنِ ، وَسَخْبِرُكَ مِنْ أَيْنَ ذَلِكَ ! إِنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ إِلَى قَرِيشٍ ؛
فَيَقُولُونَ : هُمْ قَوْمُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَبِيلَتُهُ ، وَإِنْ قَرِيشًا تَنْظُرُ إِلَيْنَا فَتَقُولُ :
إِنَّ لَهَا بِالنِّسْبَةِ فَصْلًا عَلَى سَائِرِ قَرِيشٍ ، وَإِنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ هَذَا الْأَمْرِ دُونَ قَرِيشٍ
وَالنَّاسِ ، وَإِنَّهُمْ إِنْ وَلَّوْهُ لَمْ يَخْرُجْ هَذَا السُّلْطَانُ مِنْهُمْ إِلَى أَحَدٍ أَبَدًا ، وَمَتَى كَانَ
فِي غَيْرِهِمْ تَدَاوَلَتْهُمُ يَسْكُمُ ، فَلَا وَاللَّهِ لَا تَدْفَعُ قَرِيشٌ إِلَيْنَا هَذَا السُّلْطَانُ طَائِفَةً أَبَدًا . قُلْتُ :
أَفَلَا أَرْجِعُ إِلَى الْمِثْرِ فَأُخْبِرُ النَّاسَ بِمَقَاتِلِكَ هَذِهِ ، وَأَدْعُو النَّاسَ إِلَيْكَ ! فَقَالَ : يَا حُدَّابُ ؛
لَيْسَ هَذَا زَمَانُ ذَلِكَ ، فَرَجَعْتُ فَكَلَّمْتُ ذَكَرْتُ لِلنَّاسِ شَيْئًا مِنْ فَضْلِ عَلِيٍّ زَبْرُونِي

ونهروني ، حتى رفع ذلك من أمرى للوليد بن عُقبة ، فبعث إلى غبسى .

قال : وهذه الجملة التي أوردناها قليل من كثير ، في أن الخلاف كان واقعاً ، والرضا كان مرتفعاً ، والأمر إتماماً بالحيلة والمكر والخداع ؛ وأول شيء مكر به عبد الرحمن أنه ابتداءً فأخرج نفسه من الأمر ، ليتمكن من صرعه إلى من يريد ، وليقال : إنه لولا إيثاره الحق ، وزهده في الولاية لما أخرج نفسه منها ، ثم عرض على أمير المؤمنين عليه السلام ما يعلم أنه لا يحيب إليه ، ولا تلزمه الإجابة إليه ؛ من السير فيهم بسيرة الرحلين ، وعلم أنه عليه السلام لا يتمكن من أن يقول : إن سيرتهما لا ترمى ، لئلا ينسب إلى الطعن عليهما . وكيف يلوم سيرتهما ، وكل واحد منهما لم يسر بسيرة الآخر بل اختلفا وتباينا في كثير من الأحكام ، هذا بعد أن قال لأهل الشورى : وثقوا إلى من أمركم بأنكم ترصون باحتباري إذا أخرجت نفسي ، فأجابوه علي ماروكه أبو مخنف بإسنادهم إلى ما عرض عليهم ، إلا أمير المؤمنين عليه السلام ، فإنه قال : أطر ، لعلمه بما يحرّ هذا المكر ، حتى أنام أبو طلحة ، فأحبره عبد الرحمن بما عرض وما جاء به القوم إياه إلا علياً ، فأقبل أبو طلحة على علي عليه السلام ، فقال : يا أبا الحسن ، إن أبا محمد ثقة لك والمسلمين ، فما بالك تخافه وقد عدل بالأمر عن نفسه ، فلن يتعدل المائتم لغيره ! فأحلف علي عليه السلام عبد الرحمن بما عرض ألا يميل إلى الهوى وأن يؤثر الحق ويجتهد للأمة ، ولا يحابي ذا قرابة ، فحلف له ، وهذا غاية ما يتمكن ^(١) منه أمير المؤمنين عليه السلام في الحال ، لأن عبد الرحمن لما أخرج نفسه من الأمر ، وظفت به الجماعة الخيرة ، وفوضت ^(٢) إليه الاختيار لم يقدر أمير المؤمنين عليه السلام على أن يحالفهم وينقص ما اجتمعوا عليه ، فكان أكثر ما تمكن منه أن أحلفه ، وصرح بما يحافه من جهته ، من الميل إلى الهوى ، وإيثار القرابة ، غير أن ذلك كله لم يَنْ شَيْئاً !

قال : وأما قول صاحب الكتاب : إنَّ دحوله في الشورى دلالة على أنه لانص عليه بالإمامة ، ولو كان عليه نصٌ لصرح به في تلك الحال ، وكان ذكره أولى من ذكر الفضائل والمناقب ، فإنَّ المانع من ذكر الصمة كونه يقتضى تفصيل من تقدم عليه وتفسيرهم ، وليس كذلك تعديد المناقب والفضائل .

وأما دحوله عليه السلام في الشورى ، فهو لم يدخل فيها إلا ليجتنب بما احتج به من مقاماته وفضائله ودرايته^(١) ووسائله إلى الإمامة وبالأخبار الدالة عندنا عليها على النص والإشارة بالإمامة إليه ، لكان عرصاً صحيحاً ، وداعياً قوياً . وكيف لا يدخل في الشورى وعندهم أن واضعها قد أحسن النظر السليم ، وفصل ما لم يسبق إليه من الصعز للذين !

فأول ما كان يقال له لو امتنع منها : إنك تصرح بالظن على واضعها وعلى جماعة المسلمين بالرضا بها ، وليس طعنك إلا لأنك ترى أن الأمر لك ، وأنت أحق به ! فيعود الأمر إلى ما كان عليه السلام يحاهه ، من تفرق الكلمة^(٢) ووقوع الفتنة^(٣) . قال : وفي أمحاننا القائلين بالنص من يقول : إنه عليه السلام إنما دخل في الشورى لتعويذه أن ينال الأمر منها ، وعليه أن يتوصل إلى ما يلزمه القيام به من كل وجه . يغان أن يوصله إليه .

قال : وقول صاحب الكتاب إنَّ التقي لا يمكن أن يتعلق بها ، لأنَّ الأمر لم يكن استقر لواحد طريف ، لأنَّ الأمر وإن لم يكن في تلك الحال مستقراً لأحد ، فمعلوم أن الإظهار بما يطمئن في المتقدمين من ولادة الأمر لا يمكن منه ، ولا يرضى به ، وكذلك

(٢) الثاني : « الأمة »

(١) الثاني : « وفرائده » .

(٣) بمعنى الثاني : « وتشتت الكلمة » .

الخروج عما يتفق أكثرهم عليه ، ويرمى جمهورهم به مولا يقرءون أحداً عليه ، بل يعدونه شفوذاً عن الجماعة ، وحلاقاً على الأمة .

فأما قوله : إن الأفعال لا يقدح فيها بالعاون ، بل يجب أن تحمل على ظاهر الصحة ، وإن الفاعل إذا تقدمت له حالة تقتضى حسن الظن به ، يجب أن تحمل أفعاله على ما يطابقها ، فإنما متى سلسا له بهذه المقدمة لم يتم قصده فيها ، لأن الفعل إذا كان له ظاهر وحب أن يحمل على ظاهره ، إلا بدليل يعدل بنا عن ظاهره ، كما يجب مثله في الألفاظ ، وقد بينا أن ظاهر الشورى وما جرى فيها ؛ يقتضى ما ذكرناه للأمارات اللائحة ، والوجوه الظاهرة ، فما عدلنا عن ظاهر إلى محتمل ، بل المحلف هو الذى يسوئنا أن يعدل عن الظاهر ، فأما المعامل وما تقدم له من الأحوال ، فمضى تقدم للمعامل حالة تقتضى أن يُظن به الخير من غير علم ولا يقين ، فلا بد أن يؤثر فيها ، ويقدح ^{أب} يرى له حالة أخرى تقتضى ظن القبيح به ، لدلالة ظاهرها على ذلك . وليس لنا أن نقضى بالأولى على الثانية ، وهما جميعاً مظهرتان ، لأن ذلك بمرة أن يقول قائل : اقضوا بكى على الأولى ؛ وليس كذلك إذا تقدمت للمعامل حالة تقتضى بالخير منه ، ثم تليها حالة تقتضى ظن القبيح به ، لأننا حينئذ نقضى بالعلم على الظن ، وببطل حكمه لمكان العلم ، وإذا صحت هذه الجملة فما تقدمت لمن ذكر حالة تقتضى العلم بالخير ، وإنما تقدم ما يقتضى حسن الظن ، وليس لنا ألا نقضى العلم به عند ظهور أمارات سوء الظن ، لأن كل ذلك مظنون غير معلوم .

وقوله : لو أراد ذلك مأمعه من أن يصح على عثمان مانع ، كما لم يمنع ذلك أبا بكر من النص عليه ، فليس بشيء ؛ لأنه قد فعل ما يقوم مقام النص على من أراد إيصاله إليه ، وصرفه عن أن يصرفه عنه ، من غير شناعة التصريح ، وحتى لا يقال فيما قيل فى أبى بكر ، ويراجع فى قصته كما روى أبو بكر ، ولم يتعسف أبداً الطريقين وغرضه يتم من أقرهما ١

قال : فأما بيان صاحب الكتاب أن الانتقال من الستة إلى الأربعة في الشورى ، ومن الأربعة إلى الثلاثة ، لا يكون تناقصاً ، فهو ردٌّ على مَنْ زعم أن ذلك تناقص ، وليس من هذا الوجه قطعاً ، بل قد بينّا وجوه للطعن وفصلهاها .

وأما قوله : إن الأمور المستقبلية لا تعلم ، وإنما يحصل فيها أمارات ردّاً على مَنْ قال : إن عمر كان يعلم أن عليّاً عليه السلام وعثمان لا يجتمعان ، وأن عبد الرحمن يميل إلى عثمان ، فكلام في غير موضعه ، لأنّ المراد بذلك الظنُّ لا العلم ، وإنّ عبّر عن الظنِّ بالعلم على طريقة في الاستعمال معروفة ، لا ينسأ كره المتكلمون . ولعلّ صاحب الكتاب قد استعمل العلم في موضع الظنِّ فيما لا يحصى كثرة من كتابه هذا وغيره ، وقد بينّا فيما ذكرناه من رواية الكلبي عن أبي مخنف ، أن أمير المؤمنين عليه السلام أوّل مَنْ سبق إلى هذا المعنى في قوله للعاص شاكياً إليه : ذهب والله الأمر منّي لأنّ سعداً لا يحالف ابن عمه عبد الرحمن وعبد الرحمن صهر عثمان ، فأحدما يختار لصاحبه لا محالة ، وإن كان الزبير وطلحة معي ، فمن أنفع بذلك إذا كان ابن عوف في الثلاثة الآخرين .

فأما قوله : إن عبد الرحمن كان زاهداً في الأمر ، والزاهد أقرب إلى التثبيت ؛ فقد بينّا وجه إظهاره الرهد فيه ، وإياه جعله الطريقة إلى سراحه .

فأما قول صاحب الكتاب : إن الصعف الذي وصفه به إنما أراد به الضعف عن القيام بالإمامة لا ضعف الرأي ؛ فهو أن الأمر كذلك ، أليس قد جعله أحد مَنْ يجوز أن يُختار للإمامة ، وفوض إليه مع ضعفه عنها وهذا بمنزلة أن يصفه بالفسق ، ثم يدخله في جملة القوم ؛ لأنّ الصعف عن الإمامة مانع منها ، كما أن الفسق كذلك .

قلت : الكلام في الشورى والمطاعن فيها طويل جداً ، وقد ذكرت من ذلك في كتبى الكلامية وتعليقاتى ما قاله الناس وما لم أسق إليه ، ولا يحتمل هذا الكتاب الإطالة باستقصاء ذلك ، لأنه ليس بكتاب حجاج ونظر ؛ ولكنى أذكر منه فكتاً بيرة ، فأقول :

إن كانت أفعال عمر وأقواله قد تناقضت في واقعة الشورى - كما رعم المرتضى رحمه الله - فكذلك أفعال أمير المؤمنين - إن كان منصوباً عليه كما تقول الإمامية - قد تناقضت أيضاً . أمّا أولاً فإن كان منصوباً عليه ، فكيف أدخل معه في الشورى المبينة على صحة الاختيار وعدم النص ؟ أليس هذا إيهاماً مذهباً لأكثر المسلمين ، خصوصاً الصنف منهم ، ومن لا نظر له في دقائق الأمور عنده أن يغير منصوباً عليه فكيف يجوز له إصلال المكلفين وأن يوقع في عوسهم عدم النص لمع كوني بنص كان حاصلًا !

وأما عذر المرتضى عن هذا ، أنه دخل في الشورى ، ليمكن من الاحتجاج على أهل الشورى بمقاماته وفصائله ، فيقال له : قد كان الدهر الأطول محالطاً لأهل الشورى وغيرهم ، مجتمعاً معهم في السعد وغيره من مواطن كل يوم بل كل ساعة ؛ فلا يجوز أن يقال : دخل ليضمه وإياهم أو يظلمهم سقف ، فيمكن بذلك من ذكر مقاماته وفصائله بينهم ؛ لأن العاقل لا يجوز أن يرتكب أمراً يؤم القبيح ، ليعمل فعلاً قد كان من قبله بثلاث عشرة سنة متمكناً من أن يفعله من غير أن يرتكب ذلك الأمر الموم للقبيح ؛ ولت شعري من الذي كان يمنعه أبداً من أن يكره وعمر من أن يذكر مقاماته وفصائله ويفتخر بها ! ولم انك عليه السلام من ذكر فصائله والفخر بمناقضه في تلك المدة الطويلة وقد كان عمر وهو المعروف للشهور بالعظيمة والقطعة يدكر فصائله ويعترف بها فاستأرى لعذر المرتضى أصلاً بهذا الوجه أو معنى !

فأما عذره الثاني عن دخوله في الشورى بقوله : لو لم يدخل فيها لقليل له : إنك قد طمعت على واصل الشورى ، وليس ذلك إلا لأنك ترى الأمر لك ، فليس بعذر جيد ؛ لأنه لو امتنع من الدخول فيها على وجه الرهد وقلة الالتفات إلى الولاية والإعراض عن السلطان والإمرة لما نسّه أحدٌ إلى ما ذكره المرتضى أصلاً ، ولقال الناس : رجلٌ زاهد لا يريد الدنيا ، ولا يرغب في الرئاسة ؛ ثم ما المانع من أن يقول لغير وهو حق : شددتُك الله لا تدخِلني فيها ؛ فأبى لا أريدها ولا أوترها ! أترأه كان في جواب هذا الكلام يأمر بقتله ، ويقول له : إنما امتناعك لأنك تدعى أن رسول الله صلى الله عليه وآله نعمٌ عليك ؛ فلا ترى أخذ الأمر من حقه وتوليّه من طريق ، وإنما تريده بمحض النصّ الأول لا غير ! ما أظن أن عاقلاً يحظر له أن ذلك كان يكون ، فهذا العذر بارد لا معنى له كالعذر الأول .

فأما عذره الثالث ، وهو قوله : إنه كان يجب عليه أن يتوصّل إلى القيام بالأمر بكلّ طريق ، لأنه يلزمه القيام به ، فعذرٌ جيد لا بأس به .

وأما ثانياً فيقال للمرتضى : هب أبا نزلنا عن الدخول في الشورى ، هلّا عرض للبيعة وهم مجتمعون ، وهو بعد لم مناقبه وفضائله بذكر النصّ ؛ وذلك بأن يكفي عنه كناية لطيفة ، فيقول لهم : قد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله بالأمس في حقّ ما تملّون ! أترأهم كانوا في جواب هذه الكلمة يقتلونه ! ما أظن أنهم كانوا مجتمعون على ذلك . ولا بدّ لو عرض بشيء من ذلك كان من كلام يدور بينهم في المعنى ، نحو أن يقولوا : إن ذلك النصّ رجع عنه رسول الله صلى الله عليه وآله ، أو يقولوا : رأى المسلمون تركه للمصلحة ، أو يجري بينه وبينهم جدال ونزاع ؛ ولم يكن هناك خليفة يخاف جائئه ؛ وإنما كان مجلس مناظرة وبحث ، ولم يستقرّ الأمر لأحد .

وقول المرتضى : إنه وإن كان كذلك ؛ إلا أنهم كانوا لا يرضون أن يطلعن في المتقدمين

منهم، ويكرهون منه ذلك، ولا يُقرّونه عليه، ويعدّونه شذوذاً له عن الجماعة، وخلافاً للامة
قول صحيح، إذا كان القاتل بقوله على وجه شقّ العصا والمناينة، وكشف القناع، وإذا قاله
على وجه الاستعطاف لهم، والاذكار عما عاصم سؤره، وحسن التلطّف والرفق بهم،
والاستمالة لهم، وتذكيرهم بحقوق رسول الله صلى الله عليه وآله، وميثاقه الذي واثقهم به،
فإنه لا يقع منهم في مقابلة ذلك قتله، ولا قطع عصو من أعضائه، ولا إقامة الحدّ عليه.
وأقصى ما في الباب أنهم كانوا يردّون ذلك عليه بكلامٍ مثل كلامه، ويحيسونه بخواب
يناسب حوائه، ويدفعونه عما يرومه بوجه من وجوه الدفع، إن كانوا مقيمين على الإصرار
على عصب الحقّ منه.

وأما ثالثاً، فإن كان عليه السلام - كما نقوله الإمامية - منصوباً عليه، فما الذي سمعنا
قال له عبد الرحمن: أما إليك على أن تسيرَ قيفاً سيرة الشيخين، أن يقول: نعم! فإنه لو قال:
نعم، لبأيه عند الرحمن، ووصل إلى الأمر الذي يلزمه القيام به؛ وإلى الحال التي كان
يتوصل بكلّ طريق إلى الوصول إليها.

وقول المرتضى: إن سيرتهما كانت محتمة، لأن أحدهما حكم كثير بما حكم الآخر بضده
ليس نعيده، لأن السيرة التي كان عبد الرحمن يطأها ذلك اليوم، هو الأمر الكلي في إمالة
الرعية وسياستهم، وحماية النعماء، وطأف الوالي نفسه وأهله عنه وصرفه إلى المسلمين، وورم
الأمر، وجُمع العمال؛ وقهر الطائفة؛ وإصااف المطعومين، وحماية السيعة، وتسريب الجيوش إلى
بلاد الشرك، هذه هي السيرة التي كان عبد الرحمن يشترطها، وهي التي طلبها الناس بعد
ذلك، فقلوا المعاوية في آخر أيامه، ولعد الملك وأغيرها وصاحوا بهم تحت المنابر: نطلب
سيرة الأمير؛ ولم يريدوا في الأحكام والمتاوى الشرعية، نحو القول في الجد مع الإحوة،

والقول في الكلالة ، والقول في أمهات الأولاد ؛ فما أعلم الذي منع أمير المؤمنين عليه السلام من أن يقول لعبد الرحمن : نعم ، فيأخذها ! ثم كان إذا أخذها أقدر الناس على هذه السيرة ، وأقوام عليها . فوامحوا ! ينهاه يضرب الخلافة أشد الطلب ، وإذا هو ما كص عنها ، وقد عرضت عليه على أمر هو قيم به ! ولهذا كان الرأي عدى أن يدخل فيها حينئذ ، ومن الذي كان يناظره بعد ذلك ويحمله ، فيقول : قد أحلت شئ من سيرة أبي بكر وعمر ! كلاً إن السيف لصاربه ، والأمر لمالكه ، والرعية أتباع ، والحكم لصاحب السلطان منهم !

ومن المحب أن يقول المرتضى : إنه لأجل التقية وافق على الرضا بالشورى ! فملا اتقى القوم ، وقد ذكروا له سيرة الشيخين فأباهم كرهها ! ومن كان يحاف على الله أن لو أظهر الزهد في الخلافة والرعية عن الدخول في أمر الشورى اكف لم يحجب على نفسه ، وقد ذكرت له سيرة الشيخين عترتها ، ولم يوافق عليها ، وقال : لا بل عني أن أجتهد رأي !

وأما قول المرتضى : إنه وصف القوم بصفات تمتع من الإمامة ، ثم عيهم للإمامة ، فنقول في جوابه : إن تلك الصفات لا تمتع من الإمامة بالكلية ، بل هي صفات تنقص في الجملة ، أي لو لم تكن هذه الصفات فيهم ، لكانوا أكمل ، ألا ترى أنه قال في عبد الرحمن : رحل صالح على ضعف فيه ! وقد ذكر أن فيه ضعفاً يسيراً ، لأنه لو كان يرى ضعفه مانعاً من الإمامة لقال : ضعيف عنها حذراً ، أو لا يصلح لها لضعفه . وكذلك قوله في أمير المؤمنين : فيه فُكاهة ، لأن ذلك لا يمنع من الإمامة ، ولا هو طلعة ونحوته ، ولا ما وصف به الزبير من أنه شديد السخط وقت غصه ، وأنه يحيل ، ولا تولد الأقارب على رقاب الناس إذا لم يكونوا افتاقاً . وأقوى عيب ذكره ما عاب به سعداً في قوله : صاحب

مُتَغَبٍّ وَقَتَالٌ ، لَا يَقُومُ بِقُرْبَةٍ لَوْ تَحَمَّلَ أَمْرَهَا . وَبِحُوزِ أَنْ يَكُونَ قَالَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ
الْمُبَالَغَةِ فِي اسْتِصْلَاحِهِ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ صَاحِبَ حَبِشٍ يَقَاتِلُ بِهِ بَيْنَ يَدَيِ الْإِمَامِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ
لَهُ دُرِّيَّةٌ وَنَظَرٌ فِي تَدْيِيرِ الْبِلَادِ وَالْأَطْرَافِ ، وَحَبَابَةِ أُمُومِهَا : أَلَا نَرَاهُ كَيْفَ قَالَ : لَا يَقُومُ
بِقُرْبَةٍ ! وَبِحُوزِ أَنْ يَلِيَ الْخِلَافَةَ مَنْ هَدَمَ حَالَهُ ، وَاسْتَعْيَنَ فِي أَمْرِ الْمَبَادِ وَالْبِلَادِ وَجِبَابَةِ
الْأُمُومِ بِالسَّكْفَةِ الْأَمْنَاءِ .

فَأَمَّا الرِّوَايَةُ الْأُخْرَى الَّتِي قَالَ فِيهَا لَعْنٌ : لَرَوَيْتُهُ خَيْرٌ مِنْكَ ! فَهِيَ مِنْ رَوَايَاتِ
الشَّيْعَةِ ، وَلَسْنَا نَعْرِفُهَا مِنْ كُتُبِ غَيْرِهِمْ .

فَأَمَّا قَوْلُهُ : كَيْفَ قَالَ : لَا أَتَحَمَّلُهَا حَيًّا وَمَيِّتًا ؛ فَخَصَرُ الْخِلَافَةِ فِي الْعَدَدِ الْمَخْصُوصِ ،
ثُمَّ رَتَّبَهَا ذَلِكَ التَّرْتِيبَ ، إِلَى أَنْ آتَى إِلَى [اِحْتِيَارِ] عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَحْدَهُ ! فَتَقُولُ فِي
حَوَابِهِ : إِنَّهُ كَانَ يَحِبُّ أَنْ لَا يَسْتَقِلَّ وَحْدَهُ بِأَمْرِ الْخِلَافَةِ ، وَأَنْ يَشَارَكَهُ فِي ذَلِكَ غَيْرُهُ مِنْ
صُلَحَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ، لِيَكُونَ أَعْدَاءُ اللَّهِ تَعَالَى وَعَدُوُّ النَّاسِ ، وَإِذَا كَانَ قَدْ وَصَعَ الشُّرُورِ
عَلَى ذَلِكَ الْوَضْعِ الْمَخْصُوصِ ، فَلَمْ يَتَعَمَّلْهَا اسْتِغْلَالًا لِمَنْ يَشَارَكَهُ فِيهَا غَيْرُهُ ، فَهُوَ أَقْلٌ ؛
لَتَعَمَلَهُ أَمْرَهَا لَوْ كَانَ عَيْنٌ عَلَى وَاحِدٍ نَعِيهِ .

وَأَمَّا حَدِيثُ الْقَتْلِ ، فَلَيْسَ مَرَادُهُ إِلَّا شِقَ الْعَصَا ، وَتَخَالُفُ الْجَمَاعَةِ ، وَالتَّوَثُّبُ عَلَى
الْأَمْرِ مَعَالِيَةً .

وَقَوْلُ الْمُرْتَضَى : لَوْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ لَوَجِبَ أَنْ يَمْنَعَ قَاعَهُ وَيَقَاتِلَ ، فَاعْنِ
مَعْنَى لَضَرْبِ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ أَحْلًا ؛ فِيهِ تَقَالُ لَهُ : إِنَّ الْأَحْلَ الْمَذْكُورَ لَمْ يَضْرَبْ أَقْتَلَ
مَنْ يَشُقُّ الْعَصَا ، وَإِنَّمَا صُرِبَ لِإِرَامِهِمُ الْأَمْرَ وَفَصَلَهُ قَبْلَ أَنْ تَتَطَاوَلَ الْأَيَّامُ بِهِمْ ؛
وَيَسْمَعُ مَنْ بَعْدَ عَنْ دَارِ الْمُحَرَّةِ أَنْ تُخْلِبُهُ قَدْ قَتَلَ ، وَأَسْهَمَ مُصْطَرِّفُونَ إِلَى الْآنَ ، لَمْ
يَقِيمُوا لِأَنْفُسِهِمْ خَلِيفَةً نَعْلَهُ ، فَيَطْمَعُ أَهْلُ الْفَسَادِ وَالذَّعَارَةِ ^(١) ، وَلَا يُؤْمِنُونَ وَقُوعَ الْفِتَنِ ،

(١) الذَّعَارَةُ (بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ) : الْحُبْثُ وَالنَّعْرُ .

ولا يؤمن أيضا أن يترد الروم وفارس بلاناً قد كان الإسلام استولى عليها ، لأن عدم الرئيس مطيع للعدو في ملكه ورعيته .

فأما الأخبار والآثار التي ذكرها المرتضى في مباينة علي عليه السلام لعثمان ، وأنه كان مكرهاً عليها أو كالمكره ، وأن الرضا كان مرتفعاً ، والخلاف كان واقعاً ، فكلام في غير موضعه ، لأن قاضي القضاة لم ينبع بكلامه هذا النحو ، ولا قصد هذا القصد ، ليناقضه بما رواه وأسنده من الأخبار والآثار ، ولا هذا الموضع من كتاب " المعنى " موضع الكلام في بيعة عثمان وصحتها ووقوع الرضا بها ، فيطعن المرتضى في ذلك بما رواه من الأخبار والآثار الدالة على تبرئ القوم لأمر المؤمنين عليه السلام وأصحابه وشيعته وتهدم ، وإنما الرضا الذي أشار إليه قاضي القضاة ، فهو رضا أمير المؤمنين عليه السلام بأن يكون في جملة أهل الشورى ، لأن هذا الباب من كتاب " المعنى " هو باب نفي المطاعن عن عمر ، وقد تقدم ذكر كثير منها .

ثم انتهى إلى هذا العلم ، وهو حديث الشورى ؛ فذكر قاضي القضاة أن الشورى إنما طعن بها عليه ، وادّعى أنها كانت خطأ من أفعاله ، لأنها لا نص ولا اختيار ، ألا تراه كيف قال في أول العلم : نخرج بها عن النص والاختيار ! فنقول في الجواب :

لو كانت خطأ لما دخل على عليه السلام فيها ، ولا رضى بها ، فدخوله فيها ورضاه بها دليل على أنها لم تكن خطأ ، وأين هذا من تيممة عثمان ، حتى يحاط أحد البايين بالآخر !

فأما دعواه أن عمر عمل هذا العمل حيلة ، ليصرف الأمر عن علي عليه السلام من حيث علم أن عبد الرحمن صهر عثمان ، وأن سعداً ابن عم عبد الرحمن فلا يحالفه ؛ فجعل

الصواب في الثلاثة الذين يكون فيهم عبد الرحمن ، فنقول في جوابه :

إن عمر لو فعل ذلك وقصده لكان أحق الناس وأجملهم ، لأنه من الجائز ألا يوافق سعد بن عمة لعداوة تكون بينهما ، خصوصاً من بني العمة ، ويمكن أن يستميل علي عليه السلام سداً إلى عمة ، بطريق آمنة بنت وهب ، وبطريق حمزة بن عبد المطلب ، وبطريق الدين والإسلام ، وعهد الرسول صلى الله عليه وآله ؛ ومن الجائز أن يعطف عبد الرحمن على علي عليه السلام لوجه من الوجوه ، ويعرض عن عثمان ، أو يبدؤا من عثمان في الأيام الثلاثة أمر بكرهه عبد الرحمن ، فيتركه ويميل إلى علي عليه السلام . ومن الجائز أن يموت عبد الرحمن في تلك الأيام ، أو يموت سعد ، أو يموت عثمان ، أو يقتل واحد منهم فيخلص الأمر لعلي عليه السلام ، ومن الجائز أن يحالف أبو طلحة أمره له أن يعين علي الفرقة التي فيها عبد الرحمن ، ولا يعمل بقوله ، ويميل إلى حمة علي عليه السلام ، فتميل حينئذ وتديره .

ثم هب أن هذا كله قد أسقطناه ، من الذي أحبر عمر وأكرهه وقصره على إدخال علي عليه السلام في أهل الشورى ؟ وإن كان مراده - كما زعم المرتضى - صرف الأمر بالحيلة ، فقد كان يمكنه أن يعمل الشورى في حمة ، ولا يذكر عليا عليه السلام فيهم ، أتراه كان يخاف أحداً لو فعل ذلك ! ومن الذي كان يحسر أن يراحمه في هذا أو غيره ! وحيث أدخله من الذي أحبره علي أن يقول : إن وليها ذلك لمخلفهم على الحجة البيضاء ، وحاتهم على الصراط المستقيم ، ومحو ذلك من للدح ! قد كان قادراً ألا يقول ذلك ؛ الكلام الفسيفساء البارد لا أحته .

فأما قوله : إن عبد الرحمن فعل ما فعل من إخراج عمة من الإمامة حيلة ليسم الأمر إلى عثمان ، ويصرفه عن علي عليه السلام ؛ فكلام بعضه صحيح وبعضه غير صحيح . أما الصحيح منه فبأن عبد الرحمن إلى حمة عثمان ، وانحرافه عن علي عليه السلام قليلاً ،

وليس هذا بمخصوص بعبد الرحمن ، بل قريش قاطبة كانت منخرقة عنه .

وأما الذى هو غير صحيح ، فتقوله : إنه أخرج نفسه منها لذلك ؛ فإن هذا عندى غير صحيح ، لأنه قد كان يمكنه ألا يخرج نفسه منها ، ويبلغ غرضه ، بأن يتجاوز هو وابن عمه إلى عمان ، ويدفع عليا وطلحة والزبير طائفة أخرى ، فيولى المسلمون الأمر الطائفة التى فيها عبد الرحمن ، بمقتضى نص عمر على ذلك ، ثم يعتمد عبد الرحمن بعد ذلك ما يشاء ، إن شاء وليها هو أو أحد الرحلين ؛ فإى حاجة كانت به إلى أن يخرج نفسه منها ليبلغ غرضه قد كان يمكنه الوصول إليه بدون ذلك !

وأيضاً فإن كان عرضه ذلك ، فإنه من رجال الدنيا قد كان لا محالة ، ولم يكن من رجال الآخرة ، ومن هو من رجال الدنيا ومحبيها كيف نسمع نفسه بترك الخلافة ليعطيها غيره ! وهلاً واطأ سعداً ابن عمه ، وطلحة صديقه ، على أن يوليها الخلافة ، وقد قال عمر : كوني مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن ، لاسيما وطلحة منصرف عن علي عليه السلام وعثمان ، لأنهما ابنا عبد مناف ، وكذلك سعد وعبد الرحمن منصرفان عنهما لذلك أيضاً ، ولما احتصا به من صهر رسول الله صلى الله عليه وآله . والصحيح أن عبد الرحمن أخرج نفسه منها ، لأنه استضعف نفسه عن تحمل أقالها وكلفتها ، وكره أن يدخل فيها ، فيقتصر عن عمر ، ويراه الناس بعين النقص ، ولا يستطيع أن يقوم بما كان عمر يقوم به ، وكان عبد الرحمن غنياً موسراً كثير المال ، وشيخاً قد ذهب عنه ترف الشباب ، فنقص عنها يده ، استغناء عنها ، وكراهية لخلل يدخل عليه إن وليها .

وأما ميله عن علي عليه السلام ، فقد كان منه بعض ذلك ، والطباع لا تمك ، والحسد مستقر في نفوس البشر ، لاسيما إذا انصاف إليه ما يقضى الازدياد في الأمور . فأما تربيته المرتضى لعلي عليه السلام عن الفكاهة والدعابة الحق ، ولقد كان عليه

السلام على قديم عطيمة من الوفا والجد والسمت العظيم ، والهدى الرصين ، ولكنه كان طلق الوجه ، سمح الأخلاق ، وعمر كان يريد مثله من دوى الفظاظة والخشونة ، لأن كل واحد يستحسن طبع نفسه ، ولا يستحسن طبع من يباينه في الخلق والطبع . وأنا أعجب من لفظة عمر - إن كان قالها : « إن فيه تطله ^(١) » ؛ وحاش لله أن يوصف على عليه السلام بذلك ! وإنما يوصف به أهل الدعاية والهبوط ، وما أظن عمر - إن شاء الله - قالها ، وأظنها زيدت في كلامه ، وإن الكلمة هاهنا لدالة على انحراف شديد .

فأما قول أمير المؤمنين عليه السلام للعاس ونصيره : ذهب الأمر منا ؛ إن عبد الرحمن لا يخالف ابن عمه ، فليس معناه أن عمر قصد ذلك ، وإنما معناه أن من سوء الاتفاق أن وقع الأمر هكذا ، ووشك ألا يصل إلينا حيث قد اتفق فيه هذه النكته .

فأما قول قاصى القصة : إذا تقدمت للفاعل حالة تقتضى حسن الظن ، وجب أن يحمل فعله على ما يطاقها ، واعتراض المرتضى عليه بقوله : إن ذلك إنما يجب إذا كان الخبر معلوماً فيه فيما تقدم لا مغلوناً ، ومتى كان مغلوناً ثم وجدنا له فعلاً يظن به القبيح لم يكن لنا أن نقضى بالسابق على اللاحق ؛ فنقول فى حواه : إن الإنسان إذا كان مشهوراً بالصلاح والخير ، وتكرر منه فعل ذلك مدة طويلة ، ثم رأينا قد وقعت منه حركة تنافى ذلك فيما بعد ، فإنه يجب علينا أن نحملها على ما يطاق أحواله الأولى ما وجدنا لها محملاً ، لأن أحواله الأولى كثيرة ؛ وهذه حالة معردة شاذة ؛ وإلحاق القليل بالكثير وحمله عليه أولى من نقض الكثير بالقليل ، وقد كانت أحوال عمر مدة عشرين سنة منتظمة فى إصلاح الرعية ومناصرة الدين ، وهذا معلوم من ضرورة - أعنى طاهر أحواله - فإذا وقعت عنه حالة واحدة ، وهى

(١) التالة (بفتح الباء) : الضلال والخروج من السبل .

قصة الشورى فيها شبهة ما ، وجب أن تتأولها ما وجدنا لها في الخبر عملاً ، ونلحقها بتلك الأحوال الكثيرة التي تكررت منه في الأزمان الطويلة ، ولا يجوز أن نضع اليد عليها ونقول : هذه لا غيرها ، ونقبحها ، ومهتحها ، ونسد أبواب هذه التأويلات عنها ، ثم نحمل أفعالها الكثيرة المتقدمة كلها عليها في التقييع والتهمين ؛ فهذا خلاف الواجب ، فقد بان صحة ما ذكره فاضى القضاء ، لأنه لا حاجة بنا في القضاء بالسابق على اللاحق ؛ إلا أن يكون خبره معلوماً ، وعلم علماً يقيناً ؛ فإن الظن العام كافٍ في هذا المقام على الوجه الذي ذكرناه .

وأما قوله عن عمر : إنه بلغ ما في نفسه من إيصال الأمر إلى من أراد ، بوصفه ممن أراد : من غير شناعة بالتصريح ، وحتى لا يقال فيه ما قيل في أبي بكر ، أو يراجع في نفسه كما روجع أبو بكر ، ولأى حال يتسلف بعد الطريقين ، وعرضه يتم من أقرهها ؛ فقد قلنا في حواش ما كفى ، وتبيننا أن عمر لو أراد ما ذكره لمصرف الأمر ممن يريد صرفه عنه ، ونص على من يريد إيصال الأمر إليه ، ولم يبال بأحد ، فقد عرف الناس كلهم كيف كانت هيئته وسلطوته وطاعة الرعية له ؛ حتى إن المسلمين أطاعوه أعظم من طاعتهم رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته ، ونهوا أمره فيهم أعظم من نهوا أمره عليه السلام ، فمن لدى كان يحسر أو يقدر أن يراجع في نفسه ، أو يراده ، أو يلفظ عنده أو عائناً عنه بكلمة تنافي مراده ؛ وأى شيء صرّ أبابكر من مراجعة طلحة له حيث نص ؛ ليقول المرتضى : خاف عمر من أن يراجع كما روجع أبو بكر ، وقد سمع الناس ما قال أبو بكر نطحة لما راجعه ، فإنه أخزاه وحته ، حتى دخل في الأرض ، وقام من عنده وهو لا يهتدى إلى الطريق ؛ وأين كانت هيبة الناس لأبي بكر من هيبتهم لعمر ؟ فقد كان أبو بكر وهو خليفة يهابه وهو رعية وسوقة بين يديه ، وكل أفاضل الصحابة كان يهابه ، وهو بعد لم يل الخلافة ، حتى إن الشيعة تقول : إن النبي صلى الله عليه وآله يهابه ، فمن

كانت هذه حاله وهو رعية وسوقة ، فكيف يكون وهو خليفة ، قد ملك مشارق الأرض ومفارسها ، وخطب له على مائة ألف منبر ! ولو أراد عمر أن يخطب بالخلافة لأنى هريرة لما خاله أحد من الناس أبدا ! فكيف يقول المرتضى : لماذا بتعسف عمر أئمة الطريقين ، وغرضه يتم من أقرسهما !

والعجب منه كيف يقول : خاف شاعة التصريح ، فمن لم يخف عندهم شاعة المخالفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وهو يعلم أن المسلمين يعلمون أنه مخالف لله تعالى ورسوله قائم في مقام لم يعمله الله تعالى له ، كيف يخاف شاعة التصريح باسم عثمان لو كان يريد استعلاؤه ! إن هذا لأعجب من العجب !



هو لم : إنه أمدع في الدين ما لا يخور ، كالتراويح ، وما عمله في الحراج الذي وصمه على السواد ، وفي ترتيب الجريبة ، وكل ذلك مخالف للقرآن والسنة ، لأنه تعالى جعل العصية للعائين ، والمحس منها لأهل المحس ، مخالف القرآن ، وكذلك السنة نطق في الحرية أن على كل عالم دينارا ، مخالف في ذلك السنة ، وأن الجماعة لا تكون إلا في المكتوبات ، مخالف السنة .

أحاب قاضي القضاة عن ذلك ، بأن قيام شهر رمضان ، قد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه عمله ثم تركه ، وإذا علم أن الترك ليس بسنخ ، صار سنة يجوز أن يعمل بها ، وإذا كان مألوفه تركه^(١) من التسمية بذلك على أنه ليس بفرض ، ومن تخفيف التعميد

(١) الشافعي : تركه .

ليس بقائم في فعل عمر لم يمتنع أن يدوم عليه ، وإذا كان فيه الدعاء إلى الصلاة والتشدد في حفظ القرآن ، فما الذي يمنع أن يعمل به !

فأما أمر الخراج ، فأصله السنة ، لأن النبي صلى الله عليه وآله بين أن لمن يتولى الأمر ضرباً من الاختيار في المصلحة ، ولذلك فصل بين الرجال والأموال ، فجعل الاختيار في الرجال إلى الإمام في القتل والاسترقاق والمداغة ؛ وفصل بينه وبين المال ، وإن كان الجميع غنيمة .

ثم ذكر أن الغنيمة لم تُصَف إلى اثنين إضافة الملك ، وإنما المراد أن لهم في ذلك من الاختصاص والحقوق ما ليس لعمرهم ؛ فإذا عرض ما يقتضي تقديم أمر آخر ، جاز للإمام أن يفعله ، ورأى عمر في أمر السواد الاحتياط للإسلام ، بأن يقر في أيديهم على الخراج الذي وصَّه ، وإن كان في الأناس من يقول : فعل ذلك حرصا العاممين ، وما أن عوّض . ويدل على صحة فعله إجماع الأمة ورضاهم به ، ولما أوصى الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام تركه على جملة ، ولم يعبه .

ثم ذكر في الجزية أن طريقها الاحتداد ؛ فإن الخبر المروي في هذا الباب ليس بمقطوع به ، ولا معاه معلوم .

اعترض المرتضى هذا الجواب ، فقال : أمّا التراويح فلا شبهة أنها بدعة ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « أيها الناس ، إن الصلاة بالليل في شهر رمضان النافلة جماعة بدعة وصلاة الصبح بدعة ، ألا فلا تجتمعوا ليلا في شهر رمضان في النافلة ، ولا تصلّوا صلاة الصبح فإن قليلا في سنة خير من كثير في بدعة ، ألا وإن كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة سبيلها في النار » .

وقد روى : أن عمرَ خرج في شهر رمضان ليلاً ، فرأى المصاييح في المسجد ، فقال : ما هذا ؟ فقيل له : إن الناس قد اجتمعوا لصلاة التطوع ، فقال : بدعة ، فنعمت البدعة ! فاعترف كما ترى بأنها بدعة ، وقد شهد الرسول صلى الله عليه وآله أن كل بدعة ضلالة .

وقد روى أن أمير المؤمنين عليه السلام لما اجتمعوا إليه بالكوفة ، فسألوه أن ينصب لهم إماماً يصلي بهم نافلة شهر رمضان ، رحرم وعرفهم أن ذلك خلاف السنة ، فتركوه واجتمعوا لأنفسهم ، وقدّموا معهم ، فسب إليهم ابنه الحسن عليه السلام ، فدخل عليهم المسجد ، ومعه الدرة ؛ فلما رأوه تادروا الأبواب ، وصاحوا : واعمره !

قال : فأما ادّعاؤه أن قيام شهر رمضان كان في أيام الرسول صلى الله عليه وآله ، ثم تركه فمخالفة منه ، لأنما لا سكر قيام شهر رمضان بالكفر على سبيل الأفراد ، وإنما أسكرنا الاجتماع على ذلك ، فإن ادّعى أن الرسول صلى الله عليه وآله صلاها جماعة في أيامه ، فإنها مكاررة ما أقدم عليها أحد ، ولو كان كذلك ما قال عمر : إنها بدعة ، وإن أراد غير ذلك فهو ممّا لا ينفعه ، لأن الذي أسكرناه غيره .

قال : والذي ذكره من أن فيه التشدد في حفظ القرآن ، والمحافظة على الصلاة ؛ ليس بشيء ، لأن الله تعالى ورسوله بذلك أعلم ، ولو كان كما قاله لسكانا يسنان هذه الصلاة ، ويأمران بها ، وليس لنا أن بدع في الدين بما نظن أن فيه مصلحة ، لأنه لا خلاف في أن ذلك لا يسوغ ولا يحل .

وأما أمر الخراج فهو خلاف لنص القرآن ؛ لأن الله تعالى جعل الزكاة في وجوه مخصوصة ، فمن خالفها فقد أبدع ، وليس للإمام ولا لغيره أن يجتهد فيخالف النص ، فعمل قوله : إنه رأى من الاحتياط للإسلام أن يقر في أيديهم على الخراج ؛ لأن خلاف النص

لا يكون من الاحتياط ورسوله أعلم بالاحتياط منه ؛ ولو كان لرضا الفائمين عن ذلك أو عوصهم منه على ما ادّعاء صاحب الكتب لوجب أن يظهر ذلك ويُعَلَّم ، وما عرفنا في ذلك شيئا ، ولا نقله الناقلون .

وأما ما ادّعاء من الإجماع ، فعموله فيه على ترك التكبير ، وقد تقدم الكلام عليه وتكرّر ، وكذلك قد تقدم الكلام في وجه إقرار أمير المؤمنين عليه السلام بأفقره من أحكام القوم ، وما ادّعاء أن خبر الجزية غير معلوم ولا مقطوع به ، فهب أن ذلك مسلم على مافيه ، أليس من مذهبه أن أخبار الأحاد في الشريعة يعمل بها ، وإن لم تكن معلومة ! مهلاً عمل عمر بالخبر المروى في هذا الباب ، وعدل عن احتجاده الذي أدّاه إلى مخالفة الله تعالى^(١) !

(٢) أما كون صلاة التراويح بدعة وإطلاق عمر عليها هذا اللفظ ؛ فإن لفظ البدعة يطلق على مفهومين :

أحدهما ما حوّل به الكتاب والسنة ، مثل صوم يوم السر وأيام التشريق ، فإنه وإن كان صوماً إلا أنه منهي عنه .

والثاني ما لم يرد فيه نص ، بل سكّت عنه ، فعمله للسلون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله . فإن أريد بكون صلاة التراويح بدعةً للمفهوم الأول ، فلا سلم أنها بدعة بهذا التفسير ، والخبر الذي رواه المرتضى غير معروف ، ولا يمكنه أن يسنده إلى كتاب من كتب الحديث ، ولو قدر على ذلك لأسنده ، ولعله من أخبار أصحابه من محدّثي الإمامية والأخباريين منهم ، والألفاظ التي في آخر الحديث ، وهي : « كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة

(١) الشافعي ٢٦٢ .

(٢) من هنا بدء رد المؤلف على قول المرتضى .

في النار « مروية مشهورة ، ولكن على تفسير البدعة بالمفهوم الأول . وقول عمر : « إنها بدعة » خبر مروي مشهور ، ولكن أراد به البدعة بالتفسير الثاني ؛ والخبر الذي رواه أمير المؤمنين عليه السلام بتعذر هو وطائفته بنقله ، والحدثون لا يعرفون ذلك ولا يثبتونه .

فأما إسكاره أن تكون نافلة شهر رمضان صلاها رسول الله صلى الله عليه وآله في جماعة ، فإسكارٌ لست أرصيه لمثله ؛ فإن كتب الحديثين مشحونة برواية ذلك ، وقد ذكره أحمد بن حنبل في مسنده غير مرة بسدة طرق ، ورواه الفقهاء ، ذكره الطحاوي في كتاب " اختلاف الفقهاء " ؛ وذكره أبو الطيب الطبري الشافعي في شرحه كتاب المروءة ، وقد ذكره المناجرون أيضاً ؛ ذكره المزالي في كتاب " إحياء علوم الدين " وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى التراويح في شهر رمضان في جماعة ليلتين أو ثلاثاً ، ثم ترك ، وقال : أخاف أن يوجب عليكم . وأجارني الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الحوزي ، رأيته عن شيعه محمد بن ناصر ، عن شيوحي ورجاله ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى نافلة شهر رمضان في جماعة يأتون به ليالي ثم لم يخرج وفام في بيته ، وصلى الناس فرادى بقبّة أيامه وأيام أبي بكر وصدرأ من حلقة عمر ، فخرج عمر ليلة ، فرأى الناس أوراخاً يصلّون في المسجد ، فقال : لو جمعهم على إمام أو أمير أبي بن كعب أن يصلّ بهم ، فصلّى بهم تلك الليلة ثم خرج ، فرأهم مجتمعين إلى أبي بن كعب يصلّ بهم ، فقال : بدعة ونسمة البدعة ! أما إنها تفضل ، والتي ينامون عنها أفضل .

قال : يعني قيام آخر الليل ، فإنه أفضل من قيام أوله .

وأما قول قاضي القضاة إن في التراويح فائدة وهي التشدد في حفظ القرآن والالتصاء إلى الصلاة ، واعتراض المرتضى إياه بقوله : الله أعلم بالمصلحة ؛ وليس لنا أن نسنّ ما لم يسنّه

الله ورسوله ، فإنه يقال له : أليس يجوز للإسار أن يخترع من النوافل صلوات مخصوصة بكيفيات مخصوصة ، وأعداد ركعات مخصوصة ، ولا يكون ذلك مكروها ولا حراما ، نحو أن يصلي ثلاثين ركعة متليمة واحدة ، ويقرأ في كل ركعة منها سورة من قصار الفصّل ! أفيقول أحد : إن هذا بدعة ، لأنه لم يرد فيه نص ولا سبق إليه المسلمون من قبل ! فإن قال : هذا يسوغ ؛ فإنه داخل تحت عموم ماورد في فصل صلاة النافلة ، قيل له : والتراويح جائزة ومسنونة لأنها داخلة تحت عموم ماورد في فصل صلاة الجماعة .

فإن قال : كيف تكون نافلة ، وهي جمعة ! قيل له : قدر أيما كثيرا من النوافل تصلي جماعة ، نحو صلاة العيد ، وصلاة الكسوف ، وصلاة الاستسقاء ، وصلاة الجساسة ، إذا لم يتعين للصلي بأن يقوم غيره مقامه فيها .

فأما ما أشار إليه قاضي القضاة بن التشندي في حفظ القرآن ، فهو أنه روى أن هرأتى سارق ، فأمر قطعه ، فقال : لم أعلم أن الله أوجب القطع في السرقة ، ولو علمت لم أسرق ، فأحلله على ذلك . وسن التراويح جماعة ليتكثر سماع القرآن على أسماع المسلمين .

وقد اختلف الفقهاء أيما أفضل في نافذة شهر رمضان ؟ الاجتماع عليها أم صلاتها فرادى ؟ فقال قوم : الجماعة أفضل لأن الاجتماع بركة وله فضيلة ، ولولا فضيلته لم يكن في المكتوبة ، ولأنه ربما يكسل في الأفراد ، ويشط عند مشاهدة الجمع .

وقال قوم : الأفراد أفضل ، لأنها سنة ليستمن الشعائر كالعيدين فالحقاقها بتحية المسجد أولى ، وقد جرت العادة بأن يدخل للسجد جمع معا ، ثم لم يصلا التحية بالجماعة .

وروى القائلون بهذا القول عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « فضل صلاة التطوع في بيته على صلاة التطوع في المسجد ، كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت » .

وقد روى عنه عليه السلام ؛ أن أفضل السواقل ركعتان يصليهما المسلم في زاوية بيته لا يصليهما إلا الله وحده .

قالوا : ولأنها إذا صليت مرادى كانت الصلاة أبعد من الرياء والتصنع . وبالجملة الاختلاف في أيهما أفضل ، فأما تحريم الصلاة ولزوم الإثم بفعلها ، فمما لم يذهب إليه إلا الإمامية ، وقد روى الرواة أن علياً عليه السلام خرج ليلاً في شهر رمضان في خلافة عثمان بن عفان ، فرأى الصاييح في الساجد ، والمسلمون يصلون التراويح ، فقال : نور الله قبر عمر كما نور مساجدنا ! والشئمة يروون هذا الخبر ، ولكن بحمل اللفظ على معنى آخر .

فأما حديث الخراج فقد ذكره أرباب علم الحراج والكتاب ، وذكره الفقهاء أيضاً في كتبهم ، وذكره أرباب السيرة وأصحاب التاريخ . قال قدامة بن حنبل في كتاب " الخراج " : اختلف الفقهاء في أرض العنوة ، فقال بعضهم : تحمس ، ثم تقسم أربعة أخماس على الذين افتتحوها ، وقال بعضهم : فلك إلى الإمام ، إن رأى أن يجعلها غنيمة ليحتسبها ويقسم الباقي كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله بخيبر ففلك إلى الله ؛ وإن رأى أن يجعلها فيئاً فلا يحتسبها ولا يقسمها ، بل تكون موقوفة على سائر المسلمين ، كما فعل عمر بأرض التواد وأرض مصر وغيرها ، مما افتتحه عنوة ، فعل الوجهين جميعاً ؛ فيها قدوة ومتبع ، لأن النبي صلى الله عليه وآله قسم خيبر وصيرها غنيمة ، وأشار الزبير بن العوام على عمر في مصر وبلاد الشام مثل ذلك ، وهو مذهب مالك بن أنس ، وجعل عمر السواد وغيره فيئاً موقوفاً على المسلمين ، من كان منهم حاضراً في قتله ، ومن أتى بعده ولم يقسمه ، وهو رأى رأى رآه على بن أبي طالب عليه السلام ومعاذ ابن جبل ، وأشارا عليه ، وبه كان يأخذ سعيد بن مسعود ، وذلك رأى من جعل الخيار إلى الإمام في نصيب أرض العنوة غنيمة أو فيئاً راحماً للمسلمين في كل سنة .

قال قدامقرحه الله : فأما ما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله من تصديره حبيب عسيمة ، فإنه عليه السلام اتبع فيه آية محكمة ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُصَّةٌ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾ ^(١) فهذه آية الغنيمة وهي لأهلها دون الناس ، ومها عمل رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأما الآية التي عمل بها عمر وذهب إليها على عليه السلام ومعاذ بن جبل فيما أشارا عليه به ، فهي قوله تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ ^(٢) . انتهت ألفاظ قدامة .

وروى محمد بن جرير الطبري في تاريخه ، أن عمر هم أن يقسم أرض السواد بين الغاميين ، كما يقسم الشام ، ثم قال : فكيف بالأحلام ومناطق المياه والقياس والمصب المرتفع والمناطق المنخفض ؟ وكيف يصنع هؤلاء بالساء وقسمته بينهم ؟ أخاف أن يصرب بعضهم وحوه مصر ! ثم جمع الغاميين فقال لهم : ذلك ، فرضوا أن تفر الأرض حياً لم يولوها من تراصوا عليه ، ثم يقتسمون غلتها كل عام ، فقال عمر : اللهم إني قد اجتهدت ، وقد قصيت ما علي ، اللهم إني أشهدك عليهم فاشهد .

فأما قول قاضي القضاة : إن النبي صلى الله عليه وآله جعل لتولي أمر الأمة صرباً من الاختيار في الغنيمة ، وما ذكره من الفرق بين الرجال والأموال ، وما ذكره من أن الغانمين ليسوا مالكى الغنيمة ملكاً صريحاً ، وإنما هو ضرب من الاختصاص ، فكله جيد لا كلام عليه ، ولم يعترضه للرفض شيء ولا تعرض له .

وأما قول قاضي القضاة : إنه روي أن عمر فعل ما فعل برضا الغاميين ، وبأن عوضهم

عنه ، وإنكار المرتضى وقوع ذلك ، وقوله : إنه لم ينقل ، قد بينا أن الطبري ذكر في تاريخه أن عمر فعل ذلك برضا الفاتمين ، وبعد أن جمعهم وقال لهم ما استصلحه ، وما أدى إليه اجتباؤه ، فرضوا به ، وأشهدوا الله عليهم والحاضرين .

وقد ذكر كثير من الفقهاء أن عمر عوض الفاتمين عن أرض السواد ، ووقفه على مصالح المسلمين ، وهذا ما رواه الشافعي ، وذكر حديث التعويض أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي في كتاب " الحاوي " في الفقه ، وذكره أيضاً أبو الطيب طاهر بن عبد الله العائدي في " شرح المزي " .

وأما تعلق قاضي القضاة بإجماع المسلمين ، فتعلق صحيح ، وطعن المرتضى فيه بالتقية وموافقة الإمام المعصوم على الباطل طعن يشجع التعلق به ، وللبحث فيه سنج طويل .
وأما أمر الجزية ، فطريقه الاجتهاد ، والإمام أن يرى فيه رأيه بمشاورة الصلحاء والفقهاء ، وقد قال قاضي القضاة : **إن الخبر الذي ذكره المرتضى هو ذكر أنه مرفوع ، وهو « على كل دينار » خبر مقلون غير معلوم ، واعتراض المرتضى عليه بقوله : هب أن الأمر كذلك ، ألسم تزعمون أن خبر الواحد معمول عليه في الفروع ! فهلاً عمل عمر بهذا الخبر ، وإن كان خبر واحد - اعتراض ليس بلازم ، لأنه إذا كان خبر واحد عندنا لم يلزم أن يكون أيضاً خبر واحد عند عمر ، بل من الجائز أن يكون مفتعلاً بعد وفاة عمر ، ولو كان قد ثبت أن عمر سمع هذا الخبر من واحد أو اثنين من الصحابة ، ثم لم يعمل به ، كانت لاعتراض لازماً ، ولكن ذلك مما لم يثبت .**

تم الجزء الثاني عشر من شرح نهج البلاغة ويليهِ الجزء الثالث عشر



مرکز تحقیقات کتب و پژوهش‌های اسلامی

فهرس الموضوعات

صفحة

٣٠	٢٢٣ - من كلامه عليه السلام في شأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
٦ - ١٠٨	نسكت من كلام عمر وسيرته وأخلاقه
١١٢ - ١٠٨	خطب عمر الطوال
١١٦ - ١١٢	عود إلى ذكر سيرته وأخباره
١١٨ - ١١٦	نبذ من كلام عمر
١١٩ - ١١٨	أخبار عمر مع عمرو بن معد يكرب
١٢٠ - ١٢٧	فصل فيما نقل عن عمر من الكلمات العربية
١٨٢ - ١٢٧	ذكر الأحاديث الواردة في فضل عمر
١٨٤ - ١٨٢	ذكر ماورد من الخبر عن إسلام عمر
١٩٤ - ١٨٤	تاريخ موت عمر والأخبار الواردة بذلك
١٩٥ -	فصل في ذكر ما طعن به على عمر والجواب عنه

الطعن الأول :

ما ذكروا عنه من قوله عندما علم بموت الرسول عليه السلام ،

والجواب عن ذلك ٢٠٢ - ١٩٥

الطعن الثاني :

ما ذكروا من أنه أمر برجم حامل حتى يسهل معاذ ، والجواب عن ذلك ٢٠٥ - ٢٠٢

الطعن الثالث :

ما ذكروا من خبر الجنونة التي أمر برجمها ، والجواب عن ذلك ٢٠٨ - ٢٠٥

صفحة

الطعن الرابع :

ما ذكروه من أنه منعه من الغلات في صدقات النساء ، والجواب عن ذلك ٢٠٨ - ٢١٠

الطعن الخامس :

ما ذكروه من أنه كان يعطى من بيت المال ما لا يجوز ، والجواب عن ذلك ٢١٠ - ٢٢٧

الطعن السادس :

ما ذكروه من أنه عطل حد الله في الميرة بن شعبة ، والجواب عن ذلك ٢٢٧ - ٢٤٦

الطعن السابع :

ما ذكروه من أنه كان يتلون في الأحكام ، والجواب عن ذلك ٢٤٦ - ٢٥١

الطعن الثامن :

ما ذكروه من قوله في المتعة ، والجواب عن ذلك ٢٥١ - ٢٥٦

الطعن التاسع :

ماروى عنه في قصة الشورى ، وكونه خرج بها عن الاختيار والنص

جميعاً ، والجواب عن ذلك ٢٥٦ - ٢٨١

الطعن العاشر :

ما ذكروه من قولهم : إنه أبدع في الدين ما لا يجوز ، والجواب عن ذلك ٢٨١ - ٢٨٩